1

JENNY HAN

چيني هان

مكتبة ياسمين

الصَّيفُ الذي أصبحتُ فيه جميلة

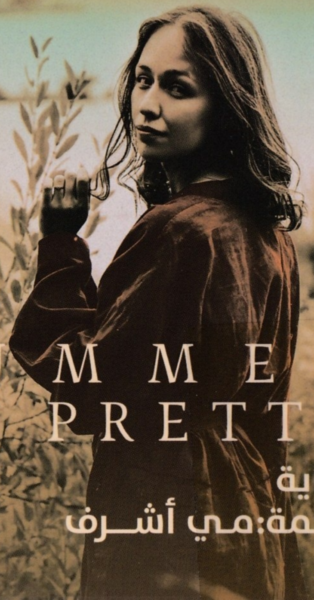

يعرض الآن على
أمازون برايم فيديو
prime video

THE SUMMER
I TURNED PRETTY

عصير الكتب

رواية
ترجمة: مي أشرف

الصَّيف الذي أصبحتُ فيه جَميلة

إن بعض مواسم الصيف من المُقدَّرِ لها أن تكون جميلة فحسب.

تقيس بيلي حياتها بعدد أشهر الصيف التي تعيشها. فإن كلَّ شيء جميلٌ، وكلَّ شيء سحريٌّ يحدث ما بين شهرَيْ يونيو وأغسطس. وما الشتاء إلا وقت لعدِّ الأسابيع حتى الصيف المُقبِل، في مكان بعيد عن الشاطئ، وعن منزل سوزانا، والأهم من ذلك، بعيد عن جيرمايا وكونراد. إنهما الوَلَدان اللذان عرفَتْهما بيلي منذ أول صيف عاشته. لقد كانا بمنزلة أخَوَيْها، ووَلَدان قد تحركت مشاعرها تجاه كلٍّ منهما في وقت من الأوقات.

ولكن في ذات صيف، صيف رائع ومريع، حين تغيَّر كل شيء، انتهت الأمور بالطريقة التي كان ينبغي أن تكون عليها دائمًا.

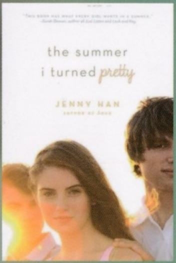

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

غلاف: عبد الرحمن الصواف

9 789779 922232

عصير الكتب

aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb

JENNY HAN

چيني هان

الصَّيفُ الذي أصبحتُ فيه جميلة

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

عصير الكتب
للنشر و التوزيع

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

- العنوان الأصلي:
The Summer I Turned Pretty
- العنوان العربي:
الصيف الذي أصبحتُ فيه جميلة
- طُبِع بواسطة: SCHUSTER & SIMON

- حُقوق النشر:
Copyrights © 2023 by Jenny Han
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- ترجمة: مي أشرف
- تحرير: محمد المتيم
- تدقيق لغوي: سلسبيل بهاء الدين
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: مايو /2023م
- رقم الإيداع: 2023/4380م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-223-2

إلى جميع الأخوات.. النساء المُهِمَّات في حياتي،
وبخاصةٍ كلير.

أقول له وهو يديرُ المُحرِّك: «لا أصدق أنكَ هنا بحق».

يبدو خَجِلًا بعض الشيء وهو يقول: «ولا أنا. (يتردَّد قليلًا) أما زلتِ تريدين المجيء معي؟».

لا أصدق أنه كان عليه أن يسألني أصلًا؛ سأرافقه إلى أي مكان.

أجيبه قائلةً: «بلى».

أشعر بأنه ليس ثمة شيء خارج حدود هذه الكلمة، وهذه اللحظة. ليس هناك سوانا فحسب. إن كل ما حدث في الصيف الماضي، وفي كل صيف قبله، قد أدى إلى هذا، وإلى الآن.

الفصل الأول

كنا نقود السيارة لما يقرب من سبعة آلاف عام، أو على الأقل هذا ما شعرت به. قاد أخي، ستيفن، بسرعة أبطأ مما تقود بها جدَّتنا. جلست بجانبه في مقعد الراكب الأمامي وقدماي مسنودتان فوق لوحة القيادة. وفي هذه الأثناء، كانت والدتي تغط في النوم في المقعد الخلفي. وحتى في أثناء نومها، تبدو وكأنها متيقظة، كما لو تستطيع في أي لحظة أن تستفيق وتبدأ في توجيه حركة المرور.

حثثتُ ستيفن، وقد وخزتُه في كتفه، قائلةً: «فلتُسرع! دعنا نتخطى ذلك الولد صاحب الدرَّاجة».

هزَّ ستيفن كتفه قائلًا: «لا تلمسي السائق أبدًا، وأنزلي قدميكِ القذرتين من فوق لوحة القيادة خاصتي».

أخذتُ أهزُّ أصابع قدميَّ، لقد بدتا في غاية النظافة بالنسبة إليَّ.

- إنها ليست بلوحة التحكم خاصتك. فكما تعلم، ستصبح هذه سيارتي عما قريب.

قال ساخرًا: «هذا إذا تمكنتِ من الحصول على رخصتكِ يومًا ما. فلا ينبغي أن يُسمَح لأشخاص مثلكِ بالقيادة».

أشرت من النافذة، وقلت: «مهلًا، انظر، إن ذلك الرجل على الكرسي المتحرك قد سبقنا للتو!».

تجاهلني ستيفن، لذا بدأت أعبث بالراديو. كانت المحطات الإذاعية من أكثر الأشياء المفضلة لدي بشأن الذهاب إلى الشاطئ، كنتُ أعرف المحطات هنا عن ظهر قلب، تمامًا كما كنت أعرف المحطات التي اعتدتُ سماعها هناك بالبيت، وبمجرد الاستماع إلى «94.5» أدركتُ حقًّا في داخلي أنني قد وصلت إلى الشاطئ.

وجدتُ محطتي المفضلة، المحطة التي تذيع كل شيء بدءًا من موسيقى البوب إلى الأغاني القديمة والهيب هوب. كان «توم بيتي» (Tom Petty) يغني أغنية «سقوط حر» (Free Fallin')، وغنيت معه:

«إنها فتاة طيبة، مهووسة بإلفيس[1].

تحب الخيول، وتحب صديقها كذلك».

مدَّ ستيفن يده ليغير المحطة، فصفعتُ يده لأُبعِدَها، تظاهر بالانحراف يمينًا بالسيارة قائلًا: «بيلي، صوتكِ يجعلني أرغب في أن أدير تلك السيارة نحو أعماق المحيط».

غنيت، وبصوت أعلى، مما أيقظ والدتي، وبدأت تغني هي أيضًا، كان لكلتينا صوت فظيع، وظلَّ ستيفن يهزُّ رأسه بطريقة «ستيفن المشمئز» الخاصة به. لقد كرِهَ كونه أقليَّة، كان هذا أكثر ما يزعجه بشأن طلاق والدينا، كونه الرجل الوحيد، دون أن يقف والدنا إلى جانبه.

سِرنا عبر البلدة ببطء، ورغم سخريتي من ستيفن للتو بخصوص هذا الأمر، فإنني لم أكن أمانع حقًّا في ذلك. فقد أحببت هذه الرحلة، وهذه اللحظة. أحببتُ رؤية البلدة من جديد، مطعم جيمي للمأكولات البحرية، وملعب الجولف المُصَغَّر، وجميع متاجر أدوات ركوب الأمواج. كان الأمر أشبه بالعودة إلى

---

(1) إلفيس آرون بريسلي، هو مغنٍّ وكاتب أغانٍ وممثل أمريكي، يُعتبر أحد أهم الأيقونات في ثقافة «الروك آند رول» في القرن العشرين.

الديار من بعد غياب طويل، طويل جدًّا. كان الجو يحمل ملايين الوعود بشأن الصيف، وما قد يحمله بين طيَّاته.

كلما اقتربنا أكثر فأكثر من المنزل، ازداد شعوري بذلك الخفقان المألوف في صدري. لقد كنَّا على وشك الوصول، أنزلتُ زجاج النافذة واستنشقتُ ملء صدري، بدا طعم الهواء كما كان بالضبط، ورائحته هي نفسها تمامًا، وبدت تلك الرياح التي تُلَبِّكُ شعري، ونسيم البحر المالح، وكل شيء آخر مثاليًّا تمامًا، كما لو كان المكان ينتظر وصولي إليه.

وخزني ستيفن بمرفقه وسألني في استهزاء قائلًا: «أتفكرين في كونراد؟».

ولأول مرة، كان الجواب لا.

قلتُ بجفاء: «لا».

أقحمت والدتي رأسها بين مقعدينا قائلة: «بيلي، أما زلتِ معجبة بكونراد؟ مما بدت عليه الأمور في الصيف الماضي، اعتقدتُ أنه قد يكون هناك شيء ما بينكِ وبين جيرمايا».

- ماذا؟! أنتِ وجيرمايا؟ (بدا ستيفن مشمئزًّا). ماذا جرى بينكِ وبين جيرمايا؟

قلتُ لهما: «لا شيء».

شعرتُ بالاحمرارِ يضرب في وجنتيَّ، تمنيت لو كنتُ قد اسمررتُ بالفعل من الشمس، لكيلا يلاحظا ذلك.

- أمي، لمجرد أنه ثمة صديقان جيدان لا يعني أن هنالك شيئًا ما يحدث بينهما. أرجو ألا تطرحي هذا الموضوع مجددًا.

اتكأت أمي إلى الوراء في المقعد الخلفي وقالت: «وهو كذلك».

سمعتُ في صوتها تلك النبرة الحاسمة التي كنتُ أعلم أن ستيفن لن يكون قادرًا على تحديها. ولكن، لأنه ستيفن، فقد حاول متابعة تحقيقه على أي حال.

- ماذا جرى بينكِ وبين جيرمايا؟ لا يمكنكِ قول شيء كهذا وألا توضحيه.

قلت له: «تجاوز الأمر».

كان إخبار ستيفن بأي شيء لن يمنحه سوى ذريعة ملائمة ليسخر مني. وعلى كل حال، لم يكن هناك ما يقال. لم يكن هناك قط أي شيء يمكن قوله، ليس بالضبط. إن كونراد وجيرمايا هما وَلَدا بيك. وبيك هي سوزانا فيشر، والتي كان لقبها «بيك» قبل الزواج. إن أمي هي الوحيدة التي تدعوها بيك. إنهما تعرفان بعضهما بعضًا منذ أن كانتا في التاسعة من عمريهما. أختان بالدم، هكذا سَمَّتا نفسيهما. وكانت لديهما ندبتان إثباتًا على ذلك. علامتان متماثلتان على معصميهما على شكل قلبين.

أخبرتني سوزانا بأنني منذ وُلِدتُ، وقد عَلِمَت بأنني مقدَّرة لواحد من وَلَدَيها. قالت بأن هذا قدر مكتوب. وقالت أمي، التي لم تكن تؤمن عادة بهذا النوع من الأشياء، بأن هذا سيكون مثاليًّا، ما دمتُ قد حظيتُ على الأقل ببعض تجارب الوقوع في الحب قبل أن أستقر. في واقع الأمر، لقد قالت «عُشَّاق»، ولكن تلك الكلمة كانت تثير ارتعادي. كانت سوزانا قد وضعتْ يديْها على خدَّيَّ وقالت: «بيلي، لديكِ موافقتي التامة ومباركتي الخالصة. فسأكره ترك وَلَديَّ لأي فتاة أخرى».

كنا نذهب إلى منزل سوزانا الشاطئي الواقع على شاطئ «كازينز» كل صيف منذ أن كنتُ طفلة، وحتى من قبل أن أُولَد أصلًا. بالنسبة إليَّ، كان كازينز يتعلق بهذا المنزل أكثر من كونه متعلقًا بالبلدة، كان هذا المنزل هو عالمي، كنا نمتلك شاطئًا ممتدًّا خاصًّا بنا، بنا فحسب.

تألَّف المنزل الصيفي من أشياء عديدة: الشرفة الدائرية المطوِّقة للمنزل التي اعتدنا الجري فيها، وأباريق الشاي المُثلَّج، وحوض السباحة في الليل، والأولاد، الأولاد فوق كل شيء آخر.

لطالما تساءلت كيف كان يبدو شكل الأولاد في ديسمبر؛ حاولت تصورهم وهم يرتدون أوشحة بلون التوت البري، وكنزات صوفية ذات رقبة عالية وخدود وردية، ويقفون بجانب شجرة عيد الميلاد، ولكن دائمًا ما كانت تبدو الصورة مزيَّفة. لم أكن أعرف النسخة الشتوية من جيرمايا ولا كونراد، وكنت أشعر بالغيرة تجاه كل من عرف نسختيهما الشتويتين. دائمًا ما أحظى بالجزء الخاص بالنعال الشاطئية وأنفيهما المحروقين من الشمس وسراويل السباحة القصيرة والرمال. ولكن ماذا عن فتيات «نيو إنجلاند» هؤلاء اللائي

خاضا معهن معارك كرات الثلج في الغابة؟ وأولئك اللائي عانقاهن في أثناء انتظار تسخين السيارة، وأولئك اللائي قد أعطياهن معطفيهما عندما كان الجو باردًا بالخارج. حسنًا، ربما جيرمايا. وليس كونراد. كونراد لم يكن ليفعل هذا أبدًا. هذا ليس أسلوبه، وفي كلتا الحالتين لم يبدُ الأمر عادلًا.

كنت أجلس بجانب جهاز التدفئة في درس التاريخ وأتساءل عما كانا يفعلانه، عما إذا كانا يدفِّئان أقدامها عند الجزء السفلي من جهاز التدفئة في مكان ما أيضًا، وأعدُّ الأيام حتى الصيف المقبل. بالنسبة إليَّ، كان الأمر كما لو أن الشتاء لا يحتسبُ تقريبًا، وأن الصيف هو كل ما يهم. إني أقيس حياتي بعدد أشهر الصيف التي أعيشها، وكأنني لا أبدأ في العيش حقًّا حتى يأتي يونيو، حتى أصل إلى ذلك الشاطئ، وأصبح بداخل ذلك المنزل.

إن كونراد هو الأكبر سنًّا، أكبر بعام ونصف. وهو غامض، غامض، غامض بحق. صعب المنال تمامًا، لا يمكن سبر أغواره. كان فمه من النوع الذي يرتسم على إحدى زاويتيه ابتسامة خفيفة تنطوي على شيء ما من السخرية والاستخفاف، ودائمًا ما كنت أجد نفسي أحدق إليه. إن الأفواه من هذا النوع تجعلك راغبًا في تقبيلها، تقبيلها قبلات تُلَطِّفها وتذيب ذلك التعجرف تمامًا. أو ربما ليس تمامًا، ولكنك ترغب في السيطرة عليه بطريقة ما، تجعله مِلكًا لك، كان هذا بالضبط ما أردت فعله بكونراد؛ أردته مِلكًا لي.

أما جيرمايا، فكان صديقي. إنه لطيف معي. لقد كان من ذلك النوع من الفتيان الذي لا يزال يحتضن أمه، لا يزال يريد الإمساك بيدها حتى بعدما صار كبيرًا جدًّا على فعل ذلك، ولم يكن محرجًا من ذلك أيضًا. كان جيرمايا فيشر مشغولًا جدًّا باللهو والمرح حتى إنه لم يمتلك وقتًا للشعور بالحرج قط. أراهن أن جيرمايا كان أكثر شهرة من كونراد في المدرسة. أراهن أن الفتيات أحببنه أكثر، وأراهن أنه لولا كرة القدم، لما كان كونراد ليكون معروفًا من الأساس. سيكون حينها مجرد كونراد الهادئ، متقلب المزاج، وليس إلهًا لكرة القدم، وقد أحببتُ ذلك، أحببتُ كيف كان كونراد يفضل البقاء بمفرده، يعزف على جيتاره، أحببت طريقته في أن يكون مُتَرَفِّعًا عن كل تلك الأمور الغبية المتعلقة بالمدرسة الثانوية، أحببت التفكير في أنه إذا ذهب كونراد إلى

مدرستي، فلن يلعب كرة القدم، بل سيشارك في المجلة الأدبية، وكان ليلاحظ شخصًا مثلي.

عندما وصلنا أخيرًا إلى المنزل، كان جيرمايا وكونراد جالسين في الشرفة الأمامية. مِلْتُ على ستيفن وضغطت بوق السيارة مرتين، وهو ما يعني في لغتنا الصيفية: *تعال وساعد في حمل الحقائب، فورًا.*

إن كونراد في الثامنة عشرة من عمره الآن، وقد حظيَ بحفل عيد ميلاد للتو. لقد أصبح أطول مما كان عليه في الصيف الماضي، إن أمكنكَ تصديق ذلك. كان شعره قصيرًا من حول أذنيه وداكنًا كما كان دائمًا. على عكس جيرمايا، الذي صار شعره أطول، لذا فقد بدا أشعث بعض الشيء، ولكن على نحو جيد مثل لاعب تنس في سبعينيات القرن الماضي. عندما كان أصغر سنًّا، كان شعره أصفر ومجعَّدًا، ويصبح شبه بلاتيني اللون في الصيف. كان جيرمايا يكره شعره المجعَّد، ولفترة من الوقت، قد أقنعه كونراد بأن أكل قشور الخبز هو ما جعل شعره مجعَّدًا، لذا توقف جيرمايا عن أكل قشور الشطائر، وكان كونراد يلتهمها بدلًا عنه. ومع ذلك، كلما تقدَّم جيرمايا في السنِّ، كان شعره يصير أقل تجعُّدًا ويصبح أقرب إلى التموُّج. أفتقدُ تجعيدات شعره. كانت سوزانا تدعوه «ملاكي الصغير»، وقد كان بالفعل يبدو كالملاك، بخدَّيه الورديين وشعره الأصفر المجعَّد. كان لا يزال يمتلك الخدَّين الورديين.

وضع جيرمايا يديه حول فمه مثل مكبِّر الصوت وصاح قائلًا:

- أوه، ستيف!

جلست في السيارة وشاهدت ستيفن وهو يسير إليهما ويعانقهما على طريقة الأولاد. كانت رائحة الهواء مالحة ورطبة، وكأن السماء قد تمطر علينا زخَّات من مياه البحر في أية لحظة. تظاهرت بمحاولة ربط أربطة حذائي الرياضي، ولكنني في الحقيقة أردتُ فقط أن أحظى بلحظة للنظر إليهما، وإلى المنزل، سرًّا. كان المنزل كبيرًا، وملونًا باللونين الرمادي والأبيض، وقد بدا مشابهًا لمعظم المنازل الأخرى على الطريق، ولكن على نحو أفضل. كان

يبدو تمامًا كما اعتقدتُ أن المنزل الشاطئي يجب أن يكون. شعرت وكأنني قد وصلت إلى حيث أنتمي. كان يُشعرك كما لو أنك في منزلك.

نزلت أمي من السيارة أيضًا، ونادت قائلة: «مرحبًا يا أولاد، أين أمكما؟».

نادى جيرمايا مُجيبًا: «مرحبًا يا لوريل، إنها تأخذ قيلولتها».

عادة ما كانت تطير إلى خارج المنزل في الثانية التي تتوقف فيها سيارتنا. خطت والدتي إليهما نحو ثلاث خطوات واسعة، وعانقت كليهما، بقوة. كان عناق أمي حازمًا وجامدًا تمامًا كمصافحة يدها. ثم ما لبثت أن اختفت داخل المنزل ونظارتها الشمسية مرفوعة فوق رأسها.

نزلتُ من السيارة وعلقتُ حقيبتي على كتفي. لم يلاحظا حتى أنني كنت أسير إليهما في البداية. ولكنهما لاحظا بعد ذلك، لاحظا بحق، رمقني كونراد بنظرة سريعة من رأسي إلى أخمص قدميَّ، بالطريقة التي ينظر إليَّ بها الأولاد في المركز التجاري. لم ينظر إليَّ بهذه الطريقة من قبل طيلة حياتي، ولا مرة واحدة. أمكنني الشعور بالاحمرار وقد عاد يضرب في وجنتيَّ ثانية. وعلى الجانب الآخر، بدا جيرمايا دهشًا. نظر إليَّ وكأنه حتى لم يتعرف عليَّ. حدث كل هذا في غضون ثلاث ثوانٍ تقريبًا، لكنني شعرت بأنها أطول، أطول بكثير.

عانقني كونراد أولًا، لكنه كان نوعًا من العناق البعيد، الحريص على عدم الاقتراب أكثر من اللازم. لقد حصل على حلاقة شعر للتو، وبدت بشرة رقبته من الخلف ورديَّة ونضرة، مثل بشرة الأطفال. كانت تفوح منه رائحة المحيط، رائحة كونراد.

قال وشفتاه قريبتان من أذني: «كنتِ تعجبينني أكثر بالنَظَّارة».

كان ذلك لاذعًا.

دفعته بعيدًا عني وقلت: «حسنًا، لسوء الحظ سأظل أرتدي العدسات اللاصقة طوال الفترة القادمة على أية حال».

ابتسم لي، وبتلك الابتسامة أغرقني. كانت ابتسامته تنجح في ذلك كل مرة.

قال وهو ينقر على أنفي: «أعتقد أن لديكِ بعض الصغار الجدد قد وُلِدوا هنا».

كان يعرف مدى خجلي من النمش في وجهي، وما زال يضايقني ويسخر مني في كل مرة، ثم ضمَّني جيرمايا بعد ذلك، وكاد أن يرفعني في الهواء.

صاح قائلًا: «لقد كَبِرَت بيلي الصغيرة».

ضحكتُ وقلتُ له: «أنزلني! إن رائحة العرق تفوح منك».

ضحك جيرمايا بصوت عالٍ وقال: «بيلي بطباعها القديمة».

لكنه كان يحدق إليَّ وكأنه لم يكن متأكدًا تمامًا مَنْ أكون.

أمال رأسه وقال: «شيء ما يبدو مختلفًا بشأنكِ يا بيلي».

جهَّزتُ نفسي لسماع بيت القصيد من أضحوكته.

- ماذا؟ لقد وضعتُ عدسات لاصقة.

أنا أيضًا لم أكن معتادة نفسي تمامًا من دون النظارة. كانت صديقتي المُقَرَّبة تايلور تحاول إقناعي بارتداء العدسات منذ الصف السادس، وها قد استمعت إلى نصيحتها أخيرًا.

ابتسم قائلًا: «الأمر ليس كذلك. إنكِ تبدين مختلفة فحسب».

عدتُ إلى السيارة بعد ذلك، وتبعني الأولاد. أفرغنا حمولة السيارة بسرعة، وبمجرد الانتهاء من ذلك، التقطتُ حقيبتي وشنطة كتبي وتوجهت مباشرة إلى غرفة نومي القديمة. إن غرفتي هي غرفة نوم سوزانا عندما كانت طفلة. كانت جدرانها مغطاة بورق حائط «كاليكو» باهت وتحتوي على أثاث غرفة نوم أبيض اللون، وكان هناك صندوق موسيقى أحببته.

عندما فتحته، كانت ثمة راقصة باليه دوَّارة ترقص على أنغام أغنية «روميو وجوليت»، تلك النسخة العتيقة منها. كنت أحتفظ بمجوهراتي بداخله. بدا كل شيء في غرفتي قديمًا وباهتًا، ولكني أحببت ذلك بشأنها. شعرت أن الجدران قد تكون محمَّلة بالأسرار، والسرير ذو الأعمدة الأربعة أيضًا، وبخاصةٍ صندوق الموسيقى ذلك.

بعد رؤيتي لكونراد مجددًا، وبعد أن نظر إليَّ بتلك الطريقة، شعرت بأنني بحاجة إلى ثانية لالتقاط أنفاسي، أمسكت بالدب القطبي المحشو الموضوع

فوق تسريحتي وضممته إلى صدري، كان اسمه «جونيور مِنت»، جونيور للاختصار. جلست مع جونيور على سريري المزدوج، وكان قلبي ينبض بصوت مرتفع جدًّا لدرجة أنني استطعت سماع نبضاته. بدا كل شيء كما هو ولكنه مختلفٌ في الوقت نفسه. لقد نظرا إليَّ كفتاة حقيقية، وليس كمجرد الأخت الصغرى لشخص ما.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الثاني

في عمر الثانية عشرة

تلك هي المرة الأولى التي انفطر فيها قلبي داخل هذا المنزل، كنت في الثانية عشرة من عمري، وكانت واحدة من تلك الليالي النادرة جدًّا التي لم يكن فيها الأولاد معًا؛ ذهب ستيفن وجيرمايا في رحلة صيد ليلية مع بعض الفتيان الذين قد التقياهم في صالة ألعاب الآركيد. قال كونراد بأنه لا يشعر برغبة في الذهاب. وبالطبع أنا لم أكن مدعوة، لذلك بقيت أنا وهو فحسب. حسنًا، ليس معًا، ولكن في المنزل نفسه. كنتُ أقرأ رواية رومانسية في غرفتي وقدماي مرفوعتان على الحائط عندما مرَّ كونراد أمام الغرفة.

توقفَ وقال: «بيلي، ماذا ستفعلين الليلة؟».

طويتُ غلاف كتابي بسرعة. وقلتُ: «لا شيء».

حاولتُ الحفاظ على صوتي هادئًا، غير متحمس كثيرًا ولا متلهِّف. كنتُ قد تركتُ بابي مفتوحًا عن قصد، على أمل أن يمر.

سأل قائلًا: «أتودين الذهاب إلى الممشى الخشبي معي؟».

بدا مجرد سؤال عابر وعفوي، عفوي جدًّا تقريبًا. كانت هذه هي اللحظة التي أنتظرها، هذه هي، لقد صرتُ أخيرًا كبيرة بما يكفي، عرف جزءٌ مني ذلك أيضًا، وقد كان جاهزًا.

نظرت إليه نظرة خاطفة، وكأنها عابرة وعفوية كسؤاله بالضبط. وقلتُ: «ربما، لقد كنتُ أشتهي تفاحة بالكراميل».

عَرَضَ قائلًا: «سأشتري لكِ واحدة. فقط أسرعي وارتدي بعض الملابس وسنذهب. إن أُمَّينا ذاهبتان إلى السينما؛ وستوصلاننا في الطريق».

نهضتُ جالسة وقلتُ: «حسنًا».

وحالما غادر كونراد، أغلقتُ بابي وركضتُ نحو مرآتي. فككتُ ضفائر شعري ومشَّطته. كان شعري طويلًا في ذلك الصيف، يصل إلى خصري تقريبًا، ثم غيَّرتُ ملابس السباحة وارتديتُ سروالًا قصيرًا أبيض اللون والقميص الرماديَّ المفضل لديَّ، قال أبي من قبل إنه يليق على لون عينيَّ. وضعت بعضًا من ملمع الشفاه بنكهة الفراولة على شفتيَّ ووضعتُ الأنبوب في جيبي، لوقت لاحق. في حال احتجتُ إلى تجديده.

وفي السيارة، ظلَّت سوزانا تبتسم إليَّ في مرآة الرؤية الخلفية. وقد رمقتها بنظرة تقول: *كفى، أرجوكِ*. ولكنني أردتُ أن أبادلها الابتسام. لم يكن كونراد منتبهًا على أي حال، فقد قضى طوال الطريق يطل من النافذة.

قالت سوزانا وهي تغمز لي بينما كنتُ أغلقُ بابي: «استمتعا بوقتكما يا أطفال».

اشترى لي كونراد تفاحة الكراميل أولًا. واشترى لنفسه مشروبًا غازيًّا. ولكن كان هذا هو كل شيء، عادةً ما كان يأكل تفاحة أو اثنتين على الأقل، أو فطيرة. لقد بدا متوترًا، وهو ما جعل شعوري بالتوتر يقل.

وبينما كنا نتمشَّى على الممشى الخشبي، تركتُ ذراعي متدلية.. *فيما لو*. ولكنه لم يمد يده إليها. لقد كانت واحدة من تلك الليالي الصيفية المثالية، من النوع الذي يحمل نسيمًا عليلًا من دون قطرة مطر واحدة. سيكون المطر في الغد، ولكن في تلك الليلة كانت ثمة نسمات عليلة فحسب.

قلتُ: «دعنا نجلس حتى أتمكن من أكل تفاحتي».

وبالفعل، جلسنا على مقعد مواجه للشاطئ، قضمتُ تفاحتي بحذر؛ كنتُ قلقة من أن يعلق الكراميل في أسناني، فحينها كيف سيُقَبِّلني؟

ارتشف الكولا الخاصة به بصخب، ثم نظر إلى ساعته.

- عندما تنتهين من هذه، دعينا نذهب للعب لعبة رمي الأطواق.

أرادني أن أكسب دمية حيوان محشوة! لقد كنتُ أعرف بالفعل أيهم سأختار أيضًا، الدب القطبي ذا النظّارة والوشاح؛ كنتُ أضع عيني عليه طوال الصيف، يمكنني بالفعل تخيُّل نفسي وأنا أتباهى به أمام تايلور. أوه، هذا؟ لقد ربحه كونراد فيشر من أجلي.

أكلتُ ما تبقى من تفاحتي على قضمتين، ثم قلتُ وأنا أمسح فمي بظهر يدي: «حسنٌ، فلنذهب».

اتجه كونراد إلى لعبة رمي الأطواق مباشرة، وكان عليَّ أن أمشي بسرعة فائقة لمواكبة خطواته، وكالعادة لم يتحدث كثيرًا، لذا ثرثرتُ بالكلام لتعويض ذلك.

قلتُ: «أعتقدُ أنه بحلول عودتنا، ربما تكون أمي قد حصلت على كابل التلفاز أخيرًا. لقد كنتُ أنا وأبي وستيفن نحاول إقناعها منذ زمن. إنها تدَّعي أنها ضد التلفاز، ولكنها من ثم تشاهد الأفلام على شبكة «إيه آند إي» (A&E) طوال مدة وجودنا هنا. هذا نفاق حقًّا...».

ثم خَفَتَ صوتي حتى تلاشى عندما رأيتُ أن كونراد لم يكن حتى يستمع إلى ما أقول؛ كان يراقب الفتاة التي تعمل في كُشك لعبة رمي الأطواق. لقد بدت في نحو الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمرها. إن أول شيء لاحظته حيالها هو سروالها القصير، كان أصفر كناري، وقد كان قصيرًا حقًّا، قصيرًا جدًّا. النوع نفسه من السراويل القصيرة بالضبط التي سخر مني الأولاد لارتدائها قبل يومين. شعرت بسعادة كبيرة عند شرائي لذلك السروال القصير مع سوزانا، ثم ضحك عليَّ الأولاد بسببه. لقد بدا السروال القصير أفضل بكثير عليها.

كانت ساقاها نحيفتين ومُنَمَّشتين، وكذلك ذراعاها. بدا كل شيء فيها نحيفًا، حتى شفتيها، وكان شعرها طويلًا ومموجًا. بدا لونه أحمر، ولكنه

حَمَار خفيف أقرب إلى اللون الخوخي. أعتقد أنه ربما كان أجمل شعر رأيته في حياتي. لقد أسدلته كله على إحدى كتفيها، وكان طويلًا جدًّا لدرجة أنها اضطرت إلى الاستمرار في دفعه بعيدًا وهي تُسَلِّم الأطواق للناس. لقد جاء كونراد إلى الممشى من أجلها، وأحضرني لأنه لم يُرِد أن يأتي بمفرده ولم يُرِد أن يضايقه ستيفن وجيرمايا. هذا كل شيء. هذا هو السبب الوحيد. استطعتُ معرفة كل شيء من طريقة نظرته إليها، وكيف بدا وكأنه كان يحبس أنفاسه.

سألته قائلةً: «أتعرفها؟».

بدا مذهولًا، وكأنه قد نسي أنني هنا.

- هي؟ كلا.

عضضتُ شَفتي وقلتُ: «حسنًا، أتود ذلك؟».

- أوَدُّ ماذا؟

بدا كونراد مرتبكًا، وهو ما كان أمرًا مزعجًا بالنسبة إليَّ.

سألت بنفاد صبر: «أتود التعرف عليها؟».

- أعتقدُ ذلك.

أمسكته من كُمِّ قميصه وسرت مباشرة إلى الكُشك. ابتسمت الفتاة إلينا، وبادلتُها الابتسامة، ولكن ذلك كان ظاهريًّا فقط، كانت ابتسامة مزيفة ليس إلا. كما لو كنتُ أؤدي دورًا تمثيليًّا في عرض ما.

سألَتْ قائلةً: «كم عدد الأطواق التي تريدانها؟».

كانت تضع تقويم أسنان، ولكنه بدا أخَّاذًا عليها، وكأنه مجوهرات للأسنان وليس تقويمًا.

قلتُ لها: «سنأخذ ثلاثة. أحببتُ سروالكِ القصير».

قالت: «أشكركِ».

تنحنح كونراد وقال: «إنه يبدو لطيفًا عليكِ بالفعل».

- ظننتُ أنك قلتَ إنه كان قصيرًا للغاية عندما ارتديتُ السروال القصير نفسه قبل يومين، (ثم التفتُّ إلى الفتاة ثانية) إن كونراد متحفظ أكثر من اللازم. هل لديكِ أخ كبير؟

ضحكت وقالت: «كلا. (ثم نظرت إلى كونراد) أتعتقد أنه قصير جدًّا؟».

احمرَّ خجلًا. لم أره وقد احمرَّ خجلًا من قبل، ولا مرة خلال كل الوقت الذي عرفته فيه. وقد انتابني شعور بأنها قد تكون آخر مرة. افتعلت استعراضًا مبالغًا فيه بالنظر إلى ساعتي وقلتُ: «كون، أنا ذاهبة لركوب دولاب الهواء قبل أن نغادر. اربح الجائزة من أجلي، حسنًا؟».

أومأ كونراد برأسه بسرعة، وقلتُ وداعًا للفتاة ثم غادرتُ. مشيت إلى دولاب الهواء بأسرع ما يمكن لكيلا يرياني أبكي.

ولاحقًا، اكتشفت أن اسم الفتاة كان أنجي، وانتهى الأمر بأن فاز كونراد بالدب القطبي ذي النظَّارة والوشاح وأعطاني إياه، وقال إن أنجي قد أخبرته بأن هذا الدب كان أفضل جائزة من بين جميع الجوائز التي لديهم، وقال إنه اعتقد بأنني سأحبه أيضًا. إلا أنني قلتُ له إنني كنتُ أفضل الحصول على الزرافة، ولكن شكرًا على أي حال. سميته جونيور مِنت، وتركته حيث ينتمي، في المنزل الصيفي.

الفصل الثالث

بعد أن أفرغتُ حقيبتي، نزلتُ مباشرة إلى المسبح، حيث كنتُ أعلم أن الأولاد سيكونون هناك. كانوا مستلقين على كراسي التَشَمُّس، وأقدامهم الحافية المتسخة تتدلى من حوافها.

حالما رآني جيرمايا، نهض على الفور، وقال بشكل دراماتيكي وهو ينحني كما لو كان مديرًا لحلبة سيرك: «سيداتي سادتي، أعتقد أن الوقت قد حان... لمشاهدة رميتنا الأولى لبيلي في هذا الصيف».

ابتعدتُ بضعة إنشات للخلف في اضطراب. فمع حركة واحدة سريعة جدًّا، سينتهي الأمر برمته، كانوا سينقضُّون عليَّ في ذلك الحين.

قلتُ: «هذا محال».

ثم نهض كونراد وستيفن، وأحاطا بي.

قال ستيفن: «لا يمكنكِ كسر التقاليد».

ابتسم كونراد ابتسامة شريرة.

قلت في يأس: «لقد كبرتُ على هذا الشيء».

تراجعتُ للخلف، وفي تلك اللحظة أمسكا بي، أمسك كلٌّ من ستيفن وجيرمايا ذراعيَّ.

قلتُ وأنا أحاول التملص من قبضتيْهما: «بربكم يا رفاق!».

حاولت إثقال خطواتي بينما كنتُ أجرجر قدميَّ، ولكنهما سحباني. كنت أعلم أن المقاومة غير مجدية، ولكني دائمًا ما أحاول، رغم أن باطن قدميَّ قد احترقا على طول رصيف المسبح في أثناء ذلك.

قال جيرمايا، وقد رفعني من تحت إبطيَّ: «مستعدة؟».

أمسك كونراد بقدميَّ، ثم أمسك ستيفن بذراعي اليمنى بينما تشبَّث جيرمايا بذراعي اليسرى، أرجَحوني للأمام والخلف كما لو كنت كيس دقيق، صحتُ بصوت يعلو على صوت ضحكاتهم قائلةً: «أكرهكم يا رفاق!».

بدأ جيرمايا العدَّ قائلًا: «واحد».

قال ستيفن: «اثنان».

وأنهاه كونراد قائلًا: «ثلاثة».

ثم ألقوا بي في حوض السباحة، بملابسي وكل شيء، صفعتُ الماء صفعة مدوية، وتحت الماء، كان بإمكاني سماعهم يركضون. كان رميي في الماء بهذا الشكل مزحة قد بدؤوها منذ نحو مليون صيف مضى، ربما كان ستيفن هو من بدأها. كنت أكرهها، على الرغم من كونها واحدة من المرات القليلة التي يُشركونني فيها في لحظات مرحهم، فإنني كرهت كوني أنا من يدفع ثمن ذلك المرح. لقد جعلتني أشعر بالعجز التام، وقد كان ذلك تذكيرًا بأنني دخيلة، وأضعف من أن أتشاجر معهم، كل ذلك لأنني فتاة. الأخت الصغرى لأحدهم.

اعتدت أن أبكي بسبب ذلك، وأن أركض إلى سوزانا وأمي، لكن ذلك لم يُجْدِ أي نفع. لقد كان الأولاد يتهمونني بكوني واشية، ولكن ليس هذه المرة، هذه المرة سأتمتع بروح رياضية. ربما لو تمتعت بروح رياضية، يسلبهم ذلك بعضًا من متعتهم. عندما صعدت إلى السطح، ابتسمت وقلت: «كم عمركم يا رفاق، عشر سنوات؟!».

قال ستيفن بتعجرف: «سنظل نفعل ذلك مدى الحياة».

لقد جعلني وجهه المتعجرف أرغب في رشِّه بالماء ونقعه فيه، هو ونظارته الشمسية الثمينة من ماركة «هوجو بوس» (Hugo Boss) التي عمل لمدة ثلاثة أسابيع ليتمكن من دفع ثمنها.

ثم قلتُ: «أعتقد أنكَ لويت كاحلي يا كونراد».

وتظاهرت بأنني أجد صعوبة في السباحة إليهم، مشى كونراد إلى حافة حوض السباحة وقال مبتسمًا: «متأكد من أنكِ ستعيشين».

طالبته قائلةً: «على الأقل ساعِدني في الخروج».

جثم ومدَّ لي يده، وأمسكتُ بها.

قلتُ في ابتهاج: «شكرًا».

ثم أحكمتُ قبضتي على يده بقوة وسحبت ذراعه بأقصى ما أستطيع، تعثَّرَ إلى الأمام، وسقط في المسبح مع دفقة من الماء أكبر من تلك التي قد تسبب فيها سقوطي. أعتقد أنني ضحكت في تلك اللحظة أقوى من أي مرة ضحكت فيها في حياتي كلها، وكذلك فعل جيرمايا وستيفن. أعتقد أنه ربما يكون جميع مَن في شاطئ كازينز قد سمعونا نضحك.

انبثق كونراد من سطح الماء بسرعة، وسبح نحوي في نحو تجديفتين، كنت قلقة من أنه قد يكون غاضبًا، بيْدَ أنه لم يكن كذلك، ليس بالضبط، ابتسم إليَّ ولكن بطريقة متوعدة، تهربت منه في مراوغة، وقلت مبتهجةً: «لا يمكنكَ الإمساك بي. أنت بطيء جدًّا!».

وفي كل مرة يقترب، كنتُ أسبح بعيدًا.

صحتُ ضاحكة: «ماركو!».

فقال كلٌّ من جيرمايا وستيفن، اللذان كانا عائدين إلى المنزل: «بولو!»[1].

وهو ما جعلني أضحك، فتسبب ذلك في أن أصبحتُ أبطأ في الفرار سباحةً، وأمسك كونراد بقدمي، شهقتُ قائلة وأنا ما زلتُ أضحك: «دعني».

هزَّ كونراد رأسه آبيًا، وقال وهو يقترب مني: «اعتقدتُ أنني بطيء جدًّا».

---

(1) لعبة ماركو بولو: لعبة أشبه بالمطاردة واللمس (القطة العمياء) ولكنها تُلعب في أحواض السباحة.

لقد كنا في الجزء الأعمق من المسبح. بدا قميصه الأبيض منقوعًا بالكامل، وكان بإمكاني رؤية بشرته الذهبية المُوَرَّدة من خلاله.

شعرت بلحظة من الهدوء الغريب بيننا فجأة، كان لا يزال ممسكًا بقدمي، وكنتُ أحاول البقاء عائمة، وتمنيت لثانية لو أن جيرمايا وستيفن كانا لا يزالان هناك. لم أكن أعرف لماذا.

قلتُ مرة ثانية: «دعني أذهب».

شدَّ قدمي، وجذبني إليه أكثر. إن اقترابي منه بهذه الصورة أصابني بالدوار والتوتر، قلتُها مجددًا، لمرَّة أخيرة، على الرغم من أنني لم أكن أعنيها.

- كونراد، اتركني.

وقد فعل، ومن ثم أغرقني في الماء. ولكن لا يهم، فقد كنتُ بالفعل حابسةً أنفاسي.

الفصل الرابع

استيقظت سوزانا ونزلت من الأعلى، بعد فترة وجيزة من ارتدائنا لملابس جافة، معتذرة عن تفويتها للحظة وصولنا الكبيرة. كانت لا تزال تبدو ناعِسةً، وكل شعرها الخفيف كالريش مثل شعر الأطفال على أحد جانبي رأسها. تعانقت هي وأمي أولًا، عناقًا دافئًا وطويلًا، بدت أمي سعيدة للغاية لرؤيتها لدرجة أنها كانت دامعة العينين، ولم تكن عينا أمي تدمعان قط، وبعدها حان دوري، جذبتني سوزانا إلى عناقها، ذلك النوع الضَيِّق من العناق الذي يطول بما يكفي لجعلك تتساءل إلى متى سيستمر، ومن منا سينسحب منه أولًا.

- تبدين نحيفة!

قلتُ لها ذلك، جزئيًّا لأنه كان صحيحًا، وجزئيًّا لأنني كنت أعرف أنها تحب سماع ذلك؛ دائمًا ما كانت تتبع حمية غذائية، ودائمًا ما تنتبه لما تأكله. بالنسبة إليَّ، كانت مثالية.

قالت سوزانا: «شكرًا لكِ يا حُلوتي».

ثم أطلقت سراحي أخيرًا لتنظر إليَّ وهي تهز رأسها قائلةً: «متى كبرتِ بهذا الشكل؟ متى تحولتِ إلى هذه المرأة الاستثنائية المدهشة؟».

ابتسمتُ في خجل، وكنتُ سعيدةً لأن الأولاد كانوا في الطابق العلوي، وليسوا في الجوار ليسمعوا ذلك.

- إنني أبدو كما أنا تمامًا.

- لطالما كنتِ جميلة، ولكن يا حُلوتي، انظري إليكِ! (هزَّت رأسها كما لو كانت في ذهول مني) أنتِ جميلة جدًّا. جميلة جدًّا. ستحظين بصيف رائع، رائع بحق. سيكون صيفًا لن تنسيه أبدًا.

دائمًا ما تتحدث سوزانا بهذا الشكل المبالغ فيه. وعندما تفعل، يبدو الأمر وكأنه إعلان، وكأنه على شفا أن يستحيل حقيقة فقط لأنها قالته.

الأمر هو أن سوزانا كانت على حق. لقد كان صيفًا لن أنساه أبدًا، الصيف الذي بدأ فيه كل شيء، الصيف الذي أصبحتُ فيه جميلة، لأنني ولأول مرة، شعرت بذلك. أعني شعرتُ بأنني جميلة. ففي كل صيف سابق لهذا، اعتقدتُ بأنه سيكون مختلفًا، بأن الحياة ستكون مختلفة، وفي ذلك الصيف، اختلفت الحياة أخيرًا. واختلفت أنا، أنا نفسي.

الفصل الخامس

لطالما كان العشاء في الليلة الأولى هو نفسه: قِدر كبير من حساء البويلابيس[1] الحار الذي أعدته سوزانا بينما كانت تنتظر وصولنا، والكثير من الجَمبري، وأرجل السلطعون، والحَبَّار. كانت تعلم أنني أحب الحَبَّار. حتى عندما كنتُ صغيرة، كنتُ أنتقي الحَبَّار وأحتفظ به للنهاية. وضعت سوزانا القِدر في منتصف المائدة، مع بضع أرغفة مُقَرمَشة من الخبز الفرنسي من المخبز الموجود بالجوار. سيحصل كل منَّا على طبق، وسنساعد أنفسنا في ملء أطباقنا من القِدر بغمس المغرفة فيه مرة بعد مرة طوال العشاء. لطالما كان لدى سوزانا وأمي نبيذ أحمر على العشاء، أما نحن الصغار فكنا نحصل على «فانتا» بنكهة العنب. ولكن في تلك الليلة كانت هناك كأس من النبيذ لكل منَّا.

قالت سوزانا ونحن نجلس: «أعتقد أننا جميعًا قد أصبحنا كبارًا بما يكفي لمشاركة زجاجة النبيذ الآن، أليس كذلك يا لور؟».

---

(1) حساء البحريات.

بدأت أمي تجيب قائلةً: «لا أعرف ما إذا كنتُ متفقة مع ذلك (ولكنها سكتت للحظة) أوه، حسنًا، لا بأس. أرى أنني أتصرف بتحفظ شديد كالقرويين، أليس هذا صحيحًا يا بيك؟».

ضحكت سوزانا وفتحت الزجاجة، وقالت وهي تسكب القليل من النبيذ لكل منًّا: «أنتِ؟ أبدًا. هذه ليلة خاصة. إنها أول ليلة في الصيف».

شرب كونراد نبيذه على جرعتين تقريبًا. شربه كما لو كان معتادًا شربه. أظن أن الكثير يمكنه أن يحدث خلال عام واحد.

قال: «هذه ليست أول ليلة في الصيف يا أمي».

فقالت سوزانا وهي تمدُّ يدها عبر الطاولة لتلمس يدي ويد كونراد، أيضًا: «أوه، بلى إنها كذلك. لا يبدأ الصيف حتى يصل أصدقاؤنا إلى هنا».

نفض يده بعيدًا عنها، دون قصد على الأغلب. لم يبدُ أن سوزانا قد لاحظت ذلك، ولكنني فعلتُ. دائمًا ما ألاحظ ما يفعله كونراد. لا بد أن جيرمايا قد رأى ذلك أيضًا، لأنه غيَّر الموضوع. سحب جيرمايا قميصه وقال: «بيلي، انظري إلى ندبتي الجديدة، لقد سجلت ثلاثة أهداف ميدانية في تلك الليلة».

كان جيرمايا يلعب كرة القدم[1]، وكان فخورًا بكل ندوب معاركه. مِلتُ نحوه لإلقاء نظرة جيدة. لقد كانت ندبة طويلة على وشك التلاشي، أسفل معدته مباشرة. كان من الواضح أنه يمارس التمارين الرياضية، فقد كان بطنه مشدودًا وصلبًا، وهو لم يكن كذلك حتى الصيف الماضي. لقد باتت عضلاته تبدو أقوى من عضلات كونراد الآن.

قلتُ: «واو!».

فقال كونراد ساخرًا وهو يقطع قطعة من الخبز ويُغَمِّسُها في طبقه: «إن «جير» يريد التباهي بعضلتي بطنه فحسب. لماذا لا ترينا جميعًا، وليس بيلي فقط؟».

قال ستيفن مبتسمًا: «أجل، أرنا يا جير».

ابتسم جيرمايا هو الآخر، وقال لكونراد: «إنك تشعر بالغيرة لأنك توقفت عن لعبها ليس إلا».

---

(1) يقصد كرة القدم الأمريكية.

توقف كونراد عن لعب كرة القدم؟ كان ذلك خبرًا جديدًا بالنسبة إليَّ.

سأل ستيفن قائلًا: «كونراد، هل توقفت فعلًا يا رجل؟».

أعتقد أنه كان خبرًا جديدًا بالنسبة إليه أيضًا. كان كونراد بارعًا بحق في كرة القدم؛ اعتادت سوزانا أن ترسل إلينا قصاصاته الصحفية عن طريق البريد، كان هو وجيرمايا في الفريق معًا خلال العامين الماضيين، بيد أن كونراد كان هو النجم. هزَّ كونراد كتفيه في لا مبالاة، وقد كان شعره لا يزال مبتلًّا من حوض السباحة، وكذلك كان شعري.

قال: «لقد أصبَحَتْ مملةً».

قال جيرمايا: «ما يعنيه أنه هو مَن أصبح مملًّا. (ثم وقف وخلع قميصه) غاية في الروعة، صحيح؟».

رمت سوزانا رأسها للخلف وضحكت، وكذلك فعلت أمي أيضًا.

قالت وهي تهزُّ رغيف العيش في وجهه كما لو كان سيفًا: «اجلس يا جيرمايا».

سألني -وقد بدا وكأنه يغمز رغم أنه لم يفعل- قائلًا: «ما رأيكِ يا بيلي؟».

وافقتُه محاوِلةً ألا أبتسم: «غاية في الروعة».

قال كونراد ساخرًا: «ها قد حان دور بيلي للتباهي».

قالت سوزانا وهي ترتشف نبيذها وتبتسم في وجهي: «إن بيلي لا تحتاج إلى التباهي، يمكننا جميعًا أن نرى كم هي فاتنة بمجرد النظر إليها».

قال ستيفن: «فاتنة؟ أجل، صحيح، إنها ألم فاتن في مؤخرتي».

حذرته أمي قائلة: «ستيفن!».

فسأل: «ماذا؟ ما الذي قلته؟».

قلتُ برقة: «إن ستيفن لخنزير، لا يسعه فَهم أي شيء عن الحُسن والجمال. (ثم دفعتُ الخبز نحوه) أوينك، أوينك[1]، ستيفن. تناول المزيد من الخبز».

قال وهو يكسر لقمة مقرمشة: «لا مانع لديَّ في ذلك».

---

(1) تقليد لصوت الخنزير.

قال جيرمايا: «بيلي، أخبرينا عن كل الصديقات المثيرات اللاتي سترتبين لي موعدًا مع كلٍّ منهن».

قلتُ: «ألم نجرب ذلك بالفعل مرة من قبل؟ لا تقل لي إنك قد نسيت بالفعل أمر تايلور جويل».

ضحك الجميع آنذاك، حتى كونراد، وتحول خدا جيرمايا إلى اللون الوردي، بيد أنه كان يضحك أيضًا، ويهز رأسه.

قال: «إنكِ لستِ فتاة لطيفة يا بيلي. هنالك الكثير من الفتيات الجميلات في النادي الريفي، لذلك لا تقلقي عليَّ. اقلقي فقط بشأن «كون». فهو صاحب الفرص الضئيلة».

كانت الخطة الأصلية هي أن يعمل كلٌّ من جيرمايا وكونراد في النادي الريفي رَجُلَيْ إنقاذ. كان كونراد قد فعل ذلك في الصيف الماضي. وهذا الصيف أصبح جيرمايا كبيرًا بما يسمح ليفعل ذلك معه، إلا أن كونراد غيَّر رأيه في اللحظة الأخيرة وقرر ترتيب الطاولات وتنظيفها في بوفيه المأكولات البحرية الفاخر بدلًا من ذلك.

لقد اعتدنا الذهاب إلى هناك طوال الوقت. يمكن للأطفال في سن الثانية عشرة أو أصغر أن يأكلوا هناك مقابل عشرين دولارًا. عندما كنتُ في الثانية عشرة أو أصغر، كانت أمي تتأكد دائمًا من إخبار النادل بأنني أصغر من الثانية عشرة، كما لو كان مبدأ. وفي كل مرة فعلت فيها ذلك، شعرت وكأنني أختفي، تمنيت لو كنتُ غير مرئية. لم يكن الأمر أن الأولاد قد قالوا شيئًا حيال ذلك أو جعلوا من الأمر شيئًا كبيرًا، وهو ما كان بوسعهم فعله بسهولة، ولكنه كان ذلك الشعور بالاختلاف الذي كرهته، وكأنك شخص غريب، كرهتُ أن يُبرَز ذلك، أردتُ فقط أن أكون مثلهم.

الفصل السادس

في عمر العاشرة

في غمضة عين، شَكَّلَ الأولاد جبهة واحدة. كان كونراد هو القائد، وكلمته تعتبر قانونًا إلى حدٍّ كبير. وكان ستيفن هو الرجل الثاني في القيادة، أما جيرمايا فكان المهرج، الفتى المضحك المَزَّاح. في الليلة الأولى تلك، قرر كونراد أن الأولاد سيبيتون على الشاطئ في أكياس النوم ويشعلون نارًا. لقد كان فتى كشافة، ويعرف كل شيء عن مثل هذه الأمور. وفي غيرة، راقبتُهم وهم يخطِّطون لقضاء ليلتهم، بخاصةٍ عندما حزموا مقرمشات جراهام وحلوى المارشميلو، أردتُ أن أقول لهم: لا تأخذوا الصندوق بأكمله. ولكنني لم أفعل؛ لم يكن لي الحق، لم يكن هذا منزلي على أقل تقدير.

وجَّه كونراد قائلًا: «ستيفن، تأكد من إحضار المصباح اليدوي».

فأومأ ستيفن برأسه بسرعة. لم أره قط وهو يتَّبِعُ الأوامر. لقد كان ينظر إلى كونراد الذي يكبره بثمانية أشهر بعين الاحترام والإعجاب، لطالما كان كذلك. كان للجميع أدوار ما عداي أنا. تمنيت لو كنت في منزلي، أصنع

الحلوى المثلجة مع صوص بطعم حلوى الزبدة الإسكتلندية مع والدي وآكلها على أرضية غرفة المعيشة.

أضاف كونراد وهو يلف كيس من أكياس النوم قائلًا: «جيرمايا، لا تنس أوراق اللعب».

حيَّاه جيرمايا وأدى حركة راقصة صغيرة، مما جعلني أضحك.

- سيدي، أمرك يا سيدي. (ثم التفت نحوي على الأريكة) إن كونراد مُتَأمِّر مثل والدنا، لا تشعري بأنكِ مضطرة إلى الاستماع إليه أو ما شابه.

جعلني التحدث مع جيرمايا أشعر بالشجاعة الكافية لأقول: «هل بإمكاني المجيء معكم؟».

وعلى الفور قال ستيفن: «لا، غير مسموح إلا للشباب فقط. أليس كذلك يا كون؟».

تردد كونراد ثم قال: «آسف يا بيلي».

وقد بدا آسفًا حقًّا لثانية واحدة، أو حتى اثنتين، ثم عاد إلى لفِّ كيس نومه، ابتعدتُ عنهم ووجهت نظري إلى التلفاز.

- لا بأس، أنا لستُ مهتمة حقًّا على أية حال.

قال ستيفن في غبطة: «آه، احترسا، بيلي ستبكي. (ثم نظر إلى جيرمايا وكونراد) عندما لا تصل إلى هدفها، تبكي. ودائمًا ما يقع أبي في هذا الفخ وينفذ لها ما تريده».

صحتُ قائلة: «اخرس يا ستيفن!».

كنتُ قلقة من أنني قد أبكي حقًّا. آخر ما كنتُ أحتاج إليه هو أن أصبح طفلة بكَّاءة في ليلتنا الأولى. وفي هذه الحالة لن يأخذوني معهم أبدًا بحق.

قال ستيفن بصوت غنائي: «بيلي ستبكي».

ثم بدأ هو وجيرمايا يرقصان معًا.

قال كونراد: «اتركاها وشأنها».

توقف ستيفن عن الرقص وقال في حيرة وذهول: «ماذا؟».

فقال كونراد وهو يهز رأسه: «إنكما تتصرفان كطفلين صغيرين يا رفاق».

راقبتهم وهم يحملون عتادهم ويستعدون للمغادرة. كنتُ على وشك أن أفقد فرصتي في التخييم، في أن أكون جزءًا من العصابة، وسرعان ما قلتُ: «ستيفن، إذا لم تدعني أذهب، فسأخبر أمي».

التوى وجه ستيفن.

- كلا، لن تفعلي. أمي تكره أن تكوني واشية.

كان ذلك صحيحًا، كانت أمي تكره أن أبَلِّغها عن ستيفن أشياء من هذا القبيل، كانت ستقول إنه يحتاج إلى وقته الخاص، وإنني أستطيع الذهاب في المرة القادمة، وإن البقاء في المنزل معها ومع بيك سيكون أكثر متعة على أية حال. غرقتُ في الأريكة، عاقدة ذراعيَّ. لقد أضعتُ فرصتي. والآن لا أبدو إلا كطفلة صغيرة، واشية.

في طريقهم للخروج استدار جيرمايا وأدى حركة راقصة سريعة من أجلي، ولم أستطع منع نفسي، ضحكتُ، ومن وراء كتفه قال كونراد: «تصبحين على خير يا بيلي».

وكان هذا كل شيء. أصبحتُ مُغرمة.

الفصل السابع

لم ألحظ سريعًا أن عائلتهما تمتلك أموالًا أكثر من التي تمتلكها عائلتنا، فلم يكن منزل الشاطئ مكانًا فاخرًا. لقد كان منزلًا شاطئيًّا عاديًّا، ذلك النوع الذي تألفه وتشعر فيه بالراحة. كان يحتوي على أرائك قديمة مُنَجَّدة بنسيج قطني مُخَطط باهت اللون وكرسي استرخاء (La-z-boy) يصدر صريرًا لطالما كنا نحن الأطفال نتشاجر من أجله، ونُقَشِّرُ الطلاء الأبيض والأرضية الخشبية الصلبة التي قد ابيضت بفعل الشمس. ولكنه كان منزلًا كبيرًا، غرفه تكفينا جميعًا وتزيد، لقد بنوا به ملحقًا إضافيًّا منذ سنوات. في أحد جانبيه كانت تقبع غرفة أمي، وغرفة سوزانا والسيد فيشر، وغرفة ضيوف فارغة. وفي الجانب الآخر كانت تقبع غرفتي، وغرفة ضيوف أخرى، والغرفة التي يتشاركها الأولاد، وهو شيء كنتُ أشعر حياله بالغيرة. كان هناك سرير بطابقين وسرير آخر مزدوج في تلك الغرفة، وكرهتُ أن أنام بمفردي بينما كنتُ أسمعهم يضحكون ويتهامسون طوال الليل من خلال الحائط. لقد سمح لي الأولاد بالنوم هناك بضع مرات، ولكن فقط عندما يكون لديهم بعض القصص المروعة ليرووها؛ كنتُ أُعتَبَر جمهورًا سائغًا لتلك الحكايات. دائمًا ما كنتُ أصرخ في كل المواضع الصحيحة. ولكن منذ أن كبرنا، توقف الأولاد

عن مشاركة الغرفة. بدأ ستيفن في المكوث في الجانب الخاص بالآباء، وكان لكلٍّ من جيرمايا وكونراد غرفتيهما في الجانب الذي يحتوي غرفتي. كنتُ أنا والأولاد نتشارك الحمَّام نفسه منذ البداية، فقد كان لدينا حمَّام في الجانب الخاص بنا من المنزل، ولأمي حمَّامها الخاص، أمَّا حمَّام سوزانا فمتصل بغرفة النوم الرئيسية. هنالك حوضان، جيرمايا وكونراد تشاركا أحدهما، وأنا وستيفن تشاركنا الآخر. عندما كنا صغارًا، لم يُنزِل الأولاد غطاء مِقعد الحمَّام أبدًا، ولا يزالون يفعلون ذلك. لقد كان هذا الأمر تذكيرًا دائمًا بأنني مختلفة، ولست واحدًا منهم. ولكن أشياء صغيرة تغيرت، فقد كان من المعتاد أنهم يتركون الماء في كل أرجاء المكان، إما نتاج معارك الرش وإما لمجرد الإهمال. والآن بعد أن يحلقوا، يتركون شعر ذقنهم الصغير في جميع أنحاء الحوض. وكانت الرفوف ممتلئة بمزيلات العرق المختلفة الخاصة بهم وكريم الحلاقة والكولونيا. كان لديهم من الكولونيا أكثر مما أمتلك من العطر: زجاجة وردية فرنسية واحدة اشتراها لي والدي في عيد الميلاد «الكريسماس» عندما كنتُ في الثالثة عشرة من عمري، رائحتها مزيج من الفانيليا والسكر المحروق والليمون. أعتقدُ أن حبيبته طالبة الدراسات العليا هي مَن اختارتها، فهو لم يكن بارعًا في هذا النوع من الأشياء. على أي حال، لم أترك زجاجة عطري في الحَمَّام ممزوجة بكل أغراضهم. لقد احتفظت بها على التسريحة في غرفتي، ولم أضع منها قط على أي حال، لا أعلم لماذا أحضرتها معي من الأساس.

الفصل الثامن

بعد العشاء بقيتُ في الطابق السفلي على الأريكة، وكذلك فعل كونراد، جلس هناك أمامي، يعزف على أوتار جيتاره ورأسه محني.

قلتُ: «إذًا، سمعتُ بأن لديك حبيبة. سمعتُ أن الأمر جدِّي للغاية».

- إن لأخي فمًا ثرثارًا.

قبل نحو شهر من مغادرتنا للقدوم إلى شاطئ كازينز، تحدث جيرمايا إلى ستيفن في الهاتف، طالت مكالمتهما لبعض الوقت، وقد اختبأتُ خارج باب غرفة ستيفن للتنصت. لم يقل ستيفن الكثير، ولكنها بدت محادثة جادة. اقتحمتُ غرفته وسألته عما كانا يتحدثان عنه، واتهمني ستيفن بكوني متجسسة فضولية صغيرة، ومن ثم أخبَرني أخيرًا بأن كونراد لديه حبيبة.

- إذًا، كيف تبدو هذه الفتاة؟

لم أنظر إليه عندما قلتُ ذلك. كنتُ أخشى من أن يكون قادرًا على رؤية مدى اهتمامي.

تنحنح كونراد ثم قال: «لقد انفصلنا».

كدت أشهق؛ قفز قلبي من مكانه.

- إن والدتكَ على حق، أنت محطمٌ للقلوب.

قصدتُ أن تخرج على هيئة مزحة، لكن الكلمات رنَّت في رأسي وفي الهواء كنوع من التصريح.

جفل وقال بشكل قاطع: «لقد تخلَّت عني».

لم أستطع تخيُّل أن أي شخص يمكنه أن ينفصل عن كونراد. تساءلتُ كيف كانت تبدو، وفجأة أصبحتْ شخصًا حقيقيًّا في رأسي يراودني بشأنها فضول لا يُقاوَم.

- ماذا كان اسمها؟

قال بصوت خشن: «فيمَ قد يهم ذلك؟ (ثم سكت للحظة) أوبري. اسمها أوبري».

- لماذا انفصلت عنك؟

لم أستطع منع نفسي، كان يساورني فضول كبير. من تكون هذه الفتاة؟ تخيلتها فتاة بشعر أشقر فاتح وعينين فيروزيَّتَي اللون، فتاة لديها بشرة مثالية وأظفار بيضاوية الشكل. لقد كان عليَّ دائمًا أن أُبقي أظفاري قصيرة من أجل العزف على البيانو، وبعد أن توقفت، ما زلت أبقيها قصيرة، لأنني اعتدتُها بهذا الشكل.

أنزل كونراد الجيتار وأخذ يحدق إلى الفراغ بحزن، ثم قال: «قالت إنني تغيرت».

- وهل تغيرت فعلًا؟

- لا أعرف. الجميع يتغيرون. أنتِ تغيرتِ.

- كيف تغيرتُ؟

هزَّ كتفيه والتقط جيتاره ثانية.

- مثلما قلتُ، الجميع يتغيرون.

بدأ كونراد العزف على الجيتار في المدرسة الإعدادية. كنتُ أكره أن أراه يعزف على الجيتار. كان يجلس هناك، يداعب أوتار جيتاره، لا يعيرنا إلا نصف انتباهه، نصف حاضر فقط. كان يهمهم إلى نفسه، وكأنه يسبح في فلك آخر. كنا نشاهد التلفاز، أو نلعب الورق، بينما لا يزال هو يداعب أوتار الجيتار، أو يبقى في غرفته، يتدرب. لأي غرض، لم أكن أعلم. كل ما كنتُ أعرفه هو أنه كان يسلبه منَّا.

قال ذات مرة وقد مدَّ سماعتَي رأسه حتى أضع إحداهما ويضع هو الأخرى فيصبح لكل منا واحدة، وتلامس رأسانا: «استمعي إلى هذه، أليست رائعة؟».

كانت «هذه» هي فرقة «بيرل جام» (Pearl Jam)، وبدا كونراد سعيدًا ومفتونًا كما لو أنه قد اكتشفهم بنفسه. لم أكن قد سمعت بهم من قبل، ولكن في تلك اللحظة، كانت هذه أفضل أغنية سمعتها على الإطلاق. خرجت واشتريت ألبوم «عشرة» (Ten) واستمعت إليه مرارًا وتكرارًا، وعندما استمعت إلى الأغنية الخامسة، «أسود» (Black)، أحسست بأنني هناك، في تلك اللحظة، أعيشها من جديد.

وبعد انتهاء الصيف، عندما عدتُ إلى المنزل، ذهبتُ إلى متجر الموسيقى واشتريت النوتة الموسيقية وتعلمتُ عزفها على البيانو، اعتقدتُ أنه في يوم من الأيام قد يمكنني مرافقة كونراد وأن نُكَوِّن شيئًا ما مِثل... فرقة موسيقية. وهي فكرة غبية جدًّا، فلم يكن المنزل الصيفي يحتوي على بيانو أصلًا.

حاولت سوزانا الحصول على بيانو للبيت الصيفي، حتى أتمكن من التدرب، ولكن أمي لم تسمح لها بذلك.

الفصل التاسع

في الليل، عندما لا أستطيع النوم، كنتُ أتسلل إلى الطابق السفلي على أطراف أصابعي وأذهب للسباحة في المسبح. أبدأ بأداء عدة لفات، وأستمر في ذلك حتى أشعر بالتعب، وعندما أعود للفراش، أشعر بألم ورعشة لطيفة في عضلاتي ولكن يصحب ذلك شعورٌ بالاسترخاء التام أيضًا. أحببت لفَّ نفسي بعد السباحة بإحدى مناشف الشاطئ الخاصة بسوزانا ذات اللون الأزرق العنبري. لم أكن قد سمعت عن مناشف الشاطئ قط قَبْل سوزانا. ومن ثم، أرجع على أطراف أصابعي إلى الطابق العلوي وأخلد إلى النوم وشعري لا يزال مبللًا. إن المرء ليحظى بنوم جيد للغاية بعد أن يخرج من الماء. إنه شعور لا مثيل له.

قبل صيفين مضيا، وجدتني سوزانا هناك بالأسفل، وفي بعض الليالي كانت تسبح معي. عندما كنتُ تحت الماء، أؤدي لفَّاتي ذهابًا وإيابًا في المسبح، شعرتُ بها وهي تغوص وتبدأ في السباحة على الجانب الآخر من المسبح. لم نتحدث؛ نسبح فحسب، ولكن كان يريحني وجودها هناك. هذه هي المرة الوحيدة في ذلك الصيف التي رأيتها فيها من دون شعرها المستعار.

في ذلك الحين، بسبب العلاج الكيماوي، وضعت سوزانا شعرًا مستعارًا طوال الوقت. لم يرها أحد من دونه، ولا حتى أمي. كان لسوزانا أجمل شعر يمكنك أن تراه: طويل، بلون الكراميل، وناعم كحلوى القطن. كان شعرها المستعار لا يقارن به، مع أنه كان شعرًا بشريًّا طبيعيًّا وكل شيء، أفضل ما يمكن للمال شراؤه. بعد العلاج الكيماوي، وبعد أن نما شعرها من جديد، أبقته قصيرًا، يصل إلى أسفل ذقنها مباشرة. كان جميلًا، ولكنه لم يعد كما كان من قبل. عند النظر إليها الآن، لن تعرف أبدًا كيف كانت تبدو، بشعرها الطويل مثل شعر المراهقات، مثل شعري.

في تلك الليلة الأولى من الصيف، لم أستطع النوم. لطالما استغرق الأمر مني ليلةً أو اثنتين لأعتاد سريري مجددًا، رغم أنني كنت أنام فيه طوال فصول الصيف في حياتي تقريبًا. أخذت أتقلب وأتململ لفترة من الوقت، ثم لم أعد أستطيع التحمل أكثر، ارتديت ثوب السباحة الخاص بي، ثوب فريقي السباحي القديم الذي بالكاد بات يناسبني حاليًّا، ذا الخطوط الذهبية وقَصَّة «ريسر باك» (racerback). كانت هذه هي ليلة السباحة الأولى لي في هذا الصيف.

عندما سبحتُ وحدي في الليل، شعرتُ أن كل شيء بات أكثر وضوحًا بكثير. جعلني الاستماع إلى نفسي، وأنا أشهق وأزفر أنفاسي، أشعر بالهدوء والثبات والقوة، كما لو أن بإمكاني السباحة إلى الأبد.

قطعت المسبح ذهابًا وإيابًا بضع مرات، وعند إياب اللفة الرابعة، ركلتُ شيئًا صلبًا. رفعت رأسي من أجل الهواء، ورأيت أمامي ساق كونراد؛ كان جالسًا على حافة المسبح وقدماه متدليتان فيه. لقد كان يراقبني طوال الوقت، وهو يدخن سيجارة.

أبقيت كل جسدي تحت الماء حتى ذقني، أدركت فجأة كيف أن بدلة السباحة كانت صغيرة جدًّا عليَّ الآن، كان من المستحيل الخروج من الماء وهو لا يزال هناك.

سألته بنبرة اتهام: «منذ متى بدأتَ تدخن؟ وما الذي تفعله هنا على أية حال؟».

- أيهما تريدينني أن أجيبه أولًا؟

كانت نظرة التسلية والتعالي تلك الخاصة بكونراد مرتسمة على وجهه، تلك التي دفعتني للجنون، سبحتُ إلى الجدار وأرحتُ ذراعي على الحافة.

- الثاني.

قال وهو يهزُّ كتفيه: «لم أستطع النوم فذهبت لأتجول قليلًا».

كان يكذب، لقد خرج للتدخين فحسب.

سألته قائلة: «كيف عرفت بأنني هنا؟».

أخذ نَفَسًا من سيجارته وقال: «إنكِ دائمًا ما تسبحين هنا في الليل يا بيلي، بربكِ!».

كان يعلم بأنني أسبَحُ في الليل؟ لقد كنتُ أعتقد بأنه سري الخاص، سري أنا وسوزانا. تساءلتُ منذ متى وهو يعرف، تساءلتُ عما إذا كان الجميع يعرف، لم أكن أعرف حتى لماذا كان الأمر مهمًّا ولكنه كذلك. بالنسبة إليَّ، كان كذلك.

- حسنًا، طيِّب، منذ متى بدأت تدخن؟

- لا أعرف. منذ العام الماضي، ربما.

كان يلف نفسه بالغموض عن قصد. لقد كان مثيرًا للجنون.

- حسنٌ، لا يجب عليك فعل ذلك. عليك الإقلاع عن التدخين الآن، هل أنت مدمن عليه؟

ضحك قائلًا: «لا».

- فلتُقلِع إذن. لو ركزت على الأمر، أعرف أنك ستستطيع فعل أي شيء.

- ربما أنا لا أريد.

- يجب عليك ذلك يا كونراد. إن التدخين ضار للغاية بالنسبة إليك.

سأل محاولًا إغاظتي: «ماذا ستعطينني لو أقلعتُ؟».

رفع سيجارته في الهواء، فوق عُلبة البيرة خاصته، وبدا الجو مختلفًا فجأة، بدا مشحونًا، مُكَهرَبًا، وكأنني قد صُعِقتُ بصاعقة. تركتُ الحافة، وبدأتُ في السباحة، مبتعدةً عنه. شعرتُ كأن الدهر بأكمله قد مرَّ قبل أن أتحدث.

قلتُ: «لا شيء. عليك الإقلاع لأجل نفسك».

قال: «معكِ حق. (وانتهت اللحظة. وقف، وأطفأ سيجارته فوق العُلبة). ليلة سعيدة يا بيلي. لا تبقي بالخارج هنا حتى وقت متأخر، فلا تعرفين أي نوع من الوحوش من الممكن أن يكون طليقًا في الليل».

عاد كل شيء طبيعيًّا مرة أخرى. رششت الماء على رجليه وهو يبتعد، وقلتُ بعد أن أدار ظهره: «سُحقًا لك».

منذ وقت طويل أقنعني كونراد وجيرمايا وستيفن أن هناك قاتل أطفال طليقًا، قاتلًا من النوع الذي يفضل الفتيات الصغيرات الممتلئات صاحبات الشعر البني والأعين الزرقاء التي تميل إلى الرمادية.

صحتُ قائلة: «انتظر! هل ستُقلِعُ أم لا؟».

لم يرد عليَّ. لقد ضحك فحسب، عرفتُ ذلك من هزة كتفيه وهو يغلق البوابة.

بعد أن غادر، غطستُ في الماء ثم طفوت. شعرت بخفقان قلبي يتردد بقوة في أذني: كويك- كويك- كويك مثل المترونوم. كان ثمة شيء ما مختلفًا حيال كونراد. لقد شعرتُ بشيء ما حتى على العشاء، قبل أن يخبرني بشأن أوبري. لقد تغيَّر. ومع ذلك، فإن الطريقة التي يؤثر بها عليَّ ظلَّت كما هي، ظَلَّ شعوري نحوه تمامًا كما هو، شعور كما لو أنني على قمة قطار الملاهي، مباشرة قبل أن ينحدر انحداره الأول.

الفصل العاشر

سألت أمي قائلة: «بيلي، ألم تتصلي بأبيكِ بعد؟».

- لا.

- أعتقد بأنه يجب عليكِ الاتصال به وإخباره بأحوالك.

رفعتُ بؤبؤي عينيَّ قائلة: «أشك في أنه جالس في المنزل قَلِقًا بشأن ذلك».

- لا تزال عليكِ مكالمته.

جادلتُ قائلة: «حسنًا، وهل جعلتِ ستيفن يتصل به؟».

قالت بنبرة صوتها نفسها: «كلا، لم أفعل. إن والدكِ وستيفن على وشك قضاء أسبوعين معًا في البحث عن الكُليَّات المناسبة. أما أنتِ، على الناحية الأخرى، فلن يتسنى لكِ رؤيته حتى نهاية الصيف».

لماذا كان عليها أن تكون عقلانية جدًّا هكذا؟ كان كل شيء يسير بهذا الشكل معها. كانت أمي هي الشخص الوحيد الذي أعرفه قد تمكن من الحصول على طلاق متزن وعقلاني.

نهضت والدتي وسلمتني الهاتف، ثم قالت وهي تغادر الغرفة: «اتصلي بوالدكِ».

دائمًا ما كانت تغادر الغرفة حينما أتصل بوالدي، كما لو أنها تمنحني الخصوصية، كما لو هناك بعض الأسرار التي أحتاج إلى إخبار أبي بها ولا أستطيع فعل ذلك أمامها. لم أتصل به، أعدتُ الهاتف إلى مهده. كان عليه هو أن يتصل وليس العكس؛ إنه الأب، ولم أكن أنا إلا مجرد طفلة. وعلى أي حال، إن الآباء لا ينتمون إلى المنزل الصيفي، لا أبي ولا السيد فيشر، بالتأكيد كانا يأتيان للزيارة. ولكنهما لم يكونا منتميين إليه، ليس بقدر ولائنا لهذا المكان جميعًا، أمهات وأطفال.

الفصل الحادي عشر

في عمر التاسعة

كنا نلعب الورق في الخارج في الباحة الأمامية للمنزل، وكانت أمي وسوزانا تشربان كوكتيل المارجريتا وتلعبان لعبة الورق الخاصة بهما. بدت الشمس على وشك الغروب، وسرعان ما ستضطر الأُمَّان إلى الدخول وسلق الذرة والنقانق، ولكن ليس بعد، ستلعبان الورق أولًا.

- لوريل، لماذا تنادين أمي «بيك» بينما يناديها الجميع سوزانا؟

أراد جيرمايا أن يعرف. كان هو وأخي، ستيفن، يشكلان فريقًا، وكانا يخسران. إن جيرمايا يمل من لعب الورق، ودائمًا ما كان يبحث عن شيء أكثر إثارة للاهتمام لفعله، للتحدث عنه.

أوضحت أمي قائلة وهي تطفئ سيجارة: «لأن لقب البتولة الخاص بها كان بيك».

لم تُدخِّنا، إلا حينما تكونان معًا، لذا فقد كانت تلك مناسبة خاصة. قالت أمي إن التدخين مع سوزانا يجعلها تشعر بشبابها مرة أخرى. قلتُ إن ذلك سيُقَصِّرُ عمرها سنوات لكنها تجاهلت مخاوفي ووصفتني بالمتشائمة.

سأل جيرمايا قائلًا: «وما المقصود بلقب البتولة؟».

نقر أخي على يد جيرمايا التي يحمل بها البطاقات ليعيد تركيزه إلى اللعبة، ولكن جيرمايا تجاهله.

قال كونراد: «إنه لقب عائلة السيدة قبل الزواج أيها الأحمق».

فقالت سوزانا تلقائيًّا وهي تفرز الأوراق التي تحملها في يدها: «لا تنعته بالأحمق يا كونراد».

تساءل كونراد قائلًا: «ولكن لمَ يتعين عليها تغيير اسمها من الأساس؟».

- لا يتعين عليها ذلك، أنا لم أفعل؛ اسمي لوريل دون، كما كان اسمي في اليوم الذي وُلِدتُ فيه. جميل، هاه؟ (كانت أمي تحب أن تشعر بالتفوق على سوزانا لعدم تغييرها لاسمها)، ففي النهاية لماذا يجب على المرأة تغيير اسمها لأجل رجل؟ لا ينبغي لها ذلك.

قالت سوزانا وهي ترمي بالبطاقات على الطاولة: «لوريل، كُفِّي عن الكلام من فضلك. «جن!»».

تنهدت أمي وألقت بأوراقها هي الأخرى: «لا أريد لعب «رومي الجِن» بعد الآن، فلنلعب شيئًا آخر. دعينا نلعب «جو فيش» (Go Fish) مع هؤلاء الرفاق».

قالت سوزانا: «يا لكِ من خاسرة سيئة».

قلتُ: «أمي، نحن لا نلعب «جو فيش». إننا نلعب «الكوبة»، ولا يمكنكِ اللعب معنا لأنكِ دائمًا ما تحاولين الغش».

كان كونراد هو شريكي في اللعب، وكنتُ متأكدة تمامًا من أننا سنفوز. لقد اخترته عن قصد، فقد كان بارعًا في الفوز، كان أسرع سَبَّاح، وأفضل راكب أمواج، ودائمًا، دائمًا ما كان يربح في لعب الأوراق.

صفقت سوزانا بيديها معًا وضحكت قائلة: «لور، إن هذه الفتاة نسخة منكِ».

فقالت أمي: «لا، إن بيلي ابنة أبيها».

وتبادلتا نظرة الأسرار تلك التي جعلتني أقول: «ما الأمر، ما الأمر؟».

لكنني علمت بأن أمي لم تكن لتخبرني أبدًا. إنها تحفظ الأسرار جيدًا، لطالما كانت كذلك، وبالفعل كنتُ أعتقد بأنني أشبه أبي: لدي عيناه المسحوبتان لأعلى، ونسخة أنثوية مصغرة من أنفه، وذقنه البارز. وكان كل ما أخذته من أمي هو يداها.

ثم انتهت اللحظة وابتسمت سوزانا لي وقالت: «أنتِ محقة تمامًا يا بيلي. إن والدتكِ تغش. دائمًا ما تغش في لعب «الكوبة». إن الغشاشين لا يفلحون أبدًا يا أطفال».

دائمًا ما كانت سوزانا تدعونا بالأطفال، لكن الأمر المضحك هو أنني لم أكن أمانع حتى. عادة ما يضايقني هذا الأمر، لكن الطريقة التي تقولها بها سوزانا، لا تجعلها تبدو وكأنها شيئًا سيئًا، لم تبدُ ككلمة تصف ضِئَلنا وطفوليتنا، ولكنها بدت وكأنها تصف كيف أن حياتنا بأكملها ما زالت أمامنا.

الفصل الثاني عشر

كان السيد فيشر يزورنا من حين لآخر خلال الصيف، في بعض عطلات نهاية الأسبوع، ودائمًا في الأسبوع الأول من أغسطس. إنه يعمل مصرفيًّا، وكان الابتعاد لأي مدة زمنية حقيقية، بالنسبة إليه، مستحيلًا ببساطة. وعلى أية حال، كنتُ أفَضِّل عندما لا يكون موجودًا هناك، عندما نكون بمفردنا فقط. فعندما يجيء السيد فيشر إلى البلدة، وهو ما لم يكن يحدث في كثير من الأحيان، أُصبِحُ أكثر استقامة في تصرفاتي. الجميع كانوا كذلك. حسنًا، باستثناء سوزانا وأمي، بالطبع. إن الشيء الطريف هو أن أمي كانت تعرف السيد فيشر من المدة نفسها التي عرفته فيها سوزانا؛ لقد كان ثلاثتهم يذهبون إلى الكُلِّيَّة معًا، كانت كُلِّيَّتهم صغيرة.

لطالما أخبرتني سوزانا بأن أنادي السيد فشير بـــ «آدم»، لكنني لم أستطع فعل ذلك قط؛ لم يبدُ أمرًا صائبًا بالنسبة إليَّ. السيد فيشر هو ما بدا مناسبًا، لذا دعوته به، وهو ما دعاه به ستيفن أيضًا. أعتقد أن شيئًا ما حياله يلهم الناس بأن يدعوه هكذا، وليس فقط الأطفال، وأعتقد بأنه كان يفضل تلك الطريقة.

لقد وصل عند وقت العَشاء في يوم الجمعة، وقد كنا في انتظاره، سكبت سوزانا مشروبه المفضل ليكون جاهزًا، الويسكي مع الزنجبيل. ظلت أمي تغيظها لأنها تنتظره، ولكن سوزانا لم تبالِ. في واقع الأمر، لقد كانت أمي تغيظ السيد فيشر أيضًا، ويغيظها هو الآخر في المقابل، ربما لا تكون الإغاظة هي الكلمة الصحيحة، فالأمر أشبه بالمشاحنات، فإنهم يتشاحنون كثيرًا، ولكنهم يبتسمون أيضًا، ومن الطريف أن أمي وأبي كانا نادرًا ما يتجادلان، ولكنهما نادرًا ما يبتسمان بهذا القدر أيضًا.

أعتقدُ أن السيد فيشر وسيمٌ، بالنسبة إلى كونه أبًا على الأقل. لقد كان أفضل من والدي على أي حال، لكنه أكثر منه اختيالًا كذلك. لا أعرف ما إن كان يُقارن في وسامته بجمال سوزانا، ولكن ربما يرجع ذلك لسبب حبي لسوزانا أكثر من أي شخص تقريبًا. ومَن ذا الذي يمكن أن يُقَارَن بشخص كسوزانا؟ في بعض الأحيان، يكون الأمر كما لو أن الناس يصبحون أجمل بملايين المرات بالنسبة إليك، في داخل رأسك. وكأنك تراهم من خلال عدسة خاصة، ولكن لربما إن كنت تراهم بهذا الشكل، فهو ما هم عليه حقًّا. إن الأمر أشبه بتلك المعضلة الخاصة بسقوط الشجرة في الغابة[1].

كان السيد فيشر يعطينا نحن الصغار عشرين دولارًا في أي وقت نذهب فيه إلى أي مكان، ولطالما كان كونراد مسؤولًا عن ذلك.

فيقول: «هذا من أجل الآيس كريم، اشتروا لأنفسكم بعض الحلوى».

بعض الحلوى. دائمًا ما كان الأمر متعلقًا ببعض الحلوى. كان كونراد يعشقه ويُبَجِّله. بالنسبة إليه، كان أبوه هو بطله. لفترة طويلة، على أية حال. أطول من معظم الناس. أعتقد أن أبي قد توقف عن كونه بطلي عندما رأيته مع إحدى طالبات الدكتوراه لديه بعد انفصاله عن أمي. لم تكن جميلة حتى.

سيكون من السهل إلقاء اللوم على أبي في كل شيء: الطلاق، والشقة الجديدة، ولكن لو ألقيت باللوم على أي شخص، فهي أمي. لماذا كان عليها أن تكون هادئة جدًّا، ورزينة جدًّا إلى هذا الحد؟ على الأقل أبي بكى، على

(1) معضلة فكرية فلسفية تطرح سؤالًا يقول: إذا سقطت شجرة في الغابة ولم يكن ثمة أي أحد في الجوار ليسمعها، فهل ستصدر صوتًا؟

الأقل كان يتألم، أما أمي فلم تقل شيئًا، لم تكشف شيئًا. لقد تفككت أسرتنا، وواصلت هي العيش فحسب، لم يكن هذا صائبًا.

عندما عدنا إلى المنزل من الشاطئ في ذلك الصيف، كان أبي قد رحل عن بيتنا بالفعل، طبعاته الأولى من أعمال «همينجواي»، رقعة الشطرنج خاصته، وأسطوانات «بيلي جويل»، و«كلود».

كلود هو قطهُ، وقد ينتمي إلى أبي بطريقة خاصة لم تتكرر مع أي شخص آخر، فمن الصواب أنه أخذ كلود، ومع ذلك كنتُ حزينة. بطريقة ما، كان رحيل كلود أسوأ من رحيل أبي، لأن كلود كان مستدامًا في الطريقة التي عاش بها في منزلنا، في الطريقة التي أهلَ بها كل حيز في البيت، وكأنه يمتلك المكان.

أخذني أبي لتناول الغداء في الخارج، في مطعم «آبل بيز» (Applebee's)، وقال معتذرًا: «آسف لأنني أخذت كلود. هل تشتاقين إليه؟».

كانت صلصة روسية فوق لحيته -والتي قد نَمَت حديثًا- لمعظم وقت الغداء، كان الأمر مزعجًا، اللحية مزعجة، الغداء مزعج.

قلتُ ولم أستطع رفع رأسي من طبق حساء البصل الفرنسي الخاص بي: «لا، إنه قطك على أية حال».

وهكذا أخذ أبي كلود، أما أمي فأخذتني أنا وستيفن. كان هذا هو الحل المناسب للجميع. كنا نرى والدنا في معظم عطلات نهاية الأسبوع، حيث نبقى في شقته الجديدة التي تفوح منها رائحة تشبه العفن الفطري، مهما أشعل من بخور.

أكره البخور، وتكرهه أمي كذلك، كان يسبب لي العطاس. أعتقد أن قدرة أبي على إشعال كل أنواع البخور التي أرادها في مخدعه، كما كان يطلق عليه، جعلته يشعر بالاستقلالية والاختلاف.

بمجرد أن دخلتُ إلى الشقة قلتُ بنبرة اتهام: «هل كنتَ تشعل البخور هنا؟ أنسيت أمر حساسيتي بالفعل؟».

وبشعور بالذنب، اعترف أبي بأنه قد أشعل بعض البخور، ولكنه لن يفعل ذلك مرة أخرى. مع ذلك، فقد كرر الأمر. كان يفعل ذلك عندما لا أكون هناك، عند النافذة، ولكن كان لا يزال بإمكاني شَمُّ رائحته.

تحتوي الشقة على غرفتين، وكان ينام في غرفة النوم الرئيسية، وأنام أنا في الغرفة الأخرى في سرير مزدوج صغير بملاءات وردية. أما أخي فكان ينام على الأريكة القابلة للفرد. وهو الشيء الذي كنتُ بالفعل أشعر بالغيرة تجاهه، لأنه كان بإمكانه أن يسهر ويشاهد التلفاز، كانت كل ما تحتويه غرفتي هو سرير وتسريحة بيضاء بالكاد كنتُ أستخدمها، درج واحد فقط كان معبأً بالملابس، وظلت بقية الأدراج فارغة، كان ثمة رف كتب أيضًا، عليه كتب قد اشتراها لي أبي. دائمًا ما كان أبي يشتري لي الكتب، ظلَّ يأمل في أن أصبح ذكية مثله، أن أصبح شخصًا محبًّا للكلمات، محبًّا للقراءة. إنني أحب القراءة بالفعل، ولكن ليس بالطريقة التي كان يريدها. لا أقرأ كما لو أنني عالمة أو شيء من هذا القبيل، فقد أحببت الروايات، وليس الكتب العلمية، وكرهت تلك الملاءات الوردية خشنة الملمس. لو سألني، لكنت أخبرته باللون الأصفر، وليس الوردي.

ومع ذلك، فقد حاول، حاول بطريقته الخاصة. لقد اشترى بيانو مستعملًا وحشره في غرفة الطعام، فقط من أجلي، قال إنه اشتراه لكي أستطيع التدرب حتى في أثناء بقائي هناك، بيد أنني بالكاد كنتُ أفعل، فقد كان البيانو يعزف خارج اللحن، ولم يطاوعني قلبي لأخبره.

كان هذا جزءًا من سبب اشتياقي إلى الصيف، فالصيف يعني أنني لم أعد مضطرة إلى البقاء في شقة أبي الصغيرة الحزينة. لم يكن الأمر أنني لا أحب رؤيته: بلى، لقد اشتقت إليه كثيرًا. ولكن تلك الشقة، كانت كئيبة. تمنيت لو أن بإمكاني رؤيته في منزلنا، منزلنا الحقيقي. تمنيت أن يعود الحال لما كان عليه، وما دامت أمي تحظى بنا معظم الصيف، فقد كان يأخذني أنا وستيفن في رحلة عندما نعود. عادةً ما تكون الرحلة إلى فلوريدا لرؤية جدتنا. إننا ندعوها «نَانًّا»، وقد كانت رحلة كئيبة أيضًا: تُمضي نَانًّا الوقت في محاولة إقناعه بالعودة إلى أمي، التي كانت تعشقها.

كانت تسأل، حتى بعد مرور فترة طويلة على الطلاق: «هل تحدثت مع لوريل في الآونة الأخيرة؟».

كرهتُ سماع مناكفتها لأبي بخصوص هذا الشأن؛ لم يبدُ أن الأمر بيديه على أية حال. لقد كان الأمر مُهينًا، لأن أمي هي مَن انفصلت عنه. هي مَن عجَّلَت بالطلاق، وهي مَن رتبت كل شيء، إنني أعرف كل ذلك بالتأكيد. أما أبي فقد كان راضيًا تمامًا، وسيكون سعيدًا بالعيش في منزلنا الأزرق ذي الطابقين مع كلود وجميع كتبه.

أخبرني أبي ذات مرة أن «ونستون تشرشل» قال إن روسيا لغز ملفوف بالغموض بداخل أحجية. بالنسبة إلى أبي، كان تشرشل يتحدث عن والدتي. كان هذا قبل وقوع الطلاق، وقد قال ذلك بمزيج من المرارة والاحترام. لأنه حتى حين كرهها، قدَّرَها وأُعْجِبَ بها.

أعتقدُ أنه كان ليود البقاء معها إلى الأبد، محاولًا اكتشاف حل اللغز. لقد كان حلَّالًا للألغاز، ذلك النوع من الأشخاص الذي يحب البراهين والنظريات، كان يجب على «س» دائمًا أن تساوي شيئًا ما، لا يمكنها أن تكون مجرد «س» فحسب.

بالنسبة إليَّ، لم تكن أمي بهذا الغموض؛ كانت أمي، دائمًا عقلانية، دائمًا واثقة من نفسها. بالنسبة إليَّ، كانت في مثل غموض كوب من الماء؛ كانت تعرف ما تريده، وتعرف ما لا تريده، وكان ما لا تريده هو أن تكون متزوجة بأبي، لستُ متأكدة مما إذا كانت قد وقعت في الحب أم إنها لم تقع قط. في الحب، أقصد.

عندما نكون عند نَانًّا، تنطلق أمي في إحدى رحلاتها، كانت تذهب إلى أماكن بعيدة مثل المَجَر أو ألاسكا، دائمًا ما تذهب وحدها. كانت تلتقط صورًا، ولكنني لم أطلب رؤية تلك الصور يومًا، ولم تسأل هي مطلقًا عما إذا كنتُ أرغب في ذلك.

الفصل الثالث عشر

كنتُ جالسة على كرسي من نوع «أديرونداك» أتناول التوست المُحَمَّص وأقرأ مجلة عندما خرجت والدتي وانضمَّت إليَّ، كانت تلك النظرة الجادة مرتسمة على وجهها، نظرة العزم خاصتها، تلك التي تظهر عندما تريد إجراء محادثة بين أم وابنتها، كنتُ أخاف تلك المحادثات بقدر خوفي من دورتي الشهرية.

سألتني بشكل عَرَضيّ: «ماذا ستفعلين اليوم؟».

حشوتُ بقية التوست المُحَمَّص في فمي.

- اليوم؟

قالت وهي تمد يدها لتنفض بعض الفتات عن ذقني: «ربما يمكنكِ البدء في قراءاتكِ الصيفية لبرنامج التنسيق المتقدم[1] للغة الإنجليزية».

قلتُ: «أجل، كنتُ أخطط لهذا».

على الرغم من أنني لم أكن كذلك.

---

(1) هو برنامج تعيلمي في الولايات المتحدة وكندا أنشأه مجلس الكلية، ويقدم مناهج وامتحانات على مستوى الكلية لطلاب المدارس الثانوية.

تنحنحت أمي ثم سألتني قائلة: «هل يتعاطى كونراد المخدرات؟».

- ماذا؟

- هل يتعاطى كونراد المخدرات؟

كدتُ أختنق، أجبتها قائلة: «لا، إن كونراد لا يتحدث إليَّ. اسألي ستيفن».

قالت وهي تُحدِّقُ إليَّ: «لقد سألته بالفعل. إنه لا يعرف».

- حسنًا، ولا أنا كذلك!

تنهدت أمي قائلة: «أعرف، ولكن بيك قلقة. إنه يتصرف بغرابة، لقد ترك كرة القدم[1]...».

فقلت وقد رفعتُ بؤبؤَيْ عينيَّ لأعلى: «لقد تركت الرقص، ولا ترينني أتجول في الجوار ومعي غليون مخدرات».

زمَّتْ شفتيها ثم قالت: «أتعدينني بأن تخبريني لو سمعتِ شيئًا ما؟».

قلتُ في مناكفة: «لا أعرف...».

لم أكن بحاجة إلى أن أَعِدها، كنتُ أعرف أن كونراد لا يتعاطى المخدرات، كانت البيرة هي كل ما في الأمر، لكنه لن يتعاطى المخدرات أبدًا. يمكنني أن أراهن بحياتي على ذلك.

- بيلي، هذا أمر جاد.

قلتُ وقد وخزتها بمرفقي مازحةً: «أمي، اهدئي. إنه لا يتعاطى المخدرات، ثم إنه متى تحولتِ إلى ضابطة في قسم مكافحة المخدرات هكذا؟ انظري مَن التي تتكلم؟».

قَمَعَتْ ابتسامتها وهزَّت رأسها قائلة: «لا تبدئي في هذا».

(1) يُقصد كرة القدم الأمريكية.

الفصل الرابع عشر

في عمر الثالثة عشرة

في المرة الأولى التي فعلتا فيها ذلك، ظنَّتا بأننا لم نعرف. في واقع الأمر، كان هذا غباءً شديدًا منهما، لأنها كانت واحدة من تلك الليالي النادرة التي كنا جميعًا فيها في المنزل، كنا في غرفة المعيشة. ظلَّ كونراد واضعًا سمَّاعات الرأس خاصته يستمع إلى الموسيقى، بينما كان جيرمايا وستيفن يلعبان لعبة من ألعاب الفيديو، أما أنا فكنتُ جالسة على كرسي الاسترخاء أقرأ رواية «إيما»... في الغالب لأنني اعتقدتُ أن ذلك سيجعلني أبدو ذكية، وليس لأنني كنتُ بالفعل مستمتعة بها. لو كنتُ أقرأ حقًّا، فسأكون محتجزة في غرفتي مع رواية «أزهار في العُلِّيَّة» أو شيء من هذا القبيل، وليس مع شيء من أعمال جين أوستن.

أعتقد أن ستيفن هو مَن شَمَّها أولًا. لقد تَلفَّت حوله، وأخذ يشمشم كالكلب، ثم قال: «أتشمُّون هذه الرائحة يا رفاق؟».

قال جيرمايا وعيناه مثبتتان على شاشة التلفاز: «أخبرتك بألا تأكل كل تلك الفاصوليا المطبوخة يا ستيفن».

ضحكتُ، ولكنها لم تكن غازًا؛ لقد شممتها أيضًا. لقد كان حشيشًا.

قلتُ بصوت عالٍ: «إنه حشيش».

أردتُ أن أكون أول من قالها، لإثبات مدى حنكتي ودرايتي.

قال جيرمايا: «مستحيل».

خلع كونراد سمَّاعتيه وقال: «بيلي محقة. إنه حشيش».

أوقف ستيفن اللعبة والتفت لينظر إليَّ، ثم سألني في ريبة: «كيف تعرفين رائحة الحشيش يا بيلي؟».

- لأنني يا ستيفن أدخنه حتى الانتشاء، طوال الوقت. أنا مدمنة، ألا تعرف؟

لقد كرهت ممارسة ستيفن لدور الأخ الكبير، وبخاصة أمام كونراد وجيرمايا، كان الأمر وكأنه يحاول أن يجعلني أشعر بكوني صغيرة عن قصد.

تجاهلني وسأل قائلًا: «هل هي آتية من الطابق العلوي؟».

قال كونراد وهو يعيد سمَّاعتيه إلى أذنيه مرة أخرى: «إنها والدتي. تستخدمه بسبب علاجها الكيماوي».

لم يكن جيرمايا على علم بذلك، أمكنني قول ذلك. لم يقل أي شيء، ولكنه بدا مرتبكًا بل ومُتألمًا أيضًا، عرفتُ ذلك من الطريقة التي حكَّ بها رقبته من الخلف وحدَّقَ بها إلى الفراغ لدقيقة. تبادلتُ أنا وستيفن نظرة. كان الأمر محرجًا، كلما أتى ذِكر أمر سرطان سوزانا، نصبح نحن الاثنان دخلاء على العائلة. لم نكن نعرف قط ما الذي علينا قوله، لذلك لم نقل شيئًا، كدنا نتظاهر بأن شيئًا لم يحدث، مثلما فعل جيرمايا.

ولكن أمي لم تفعل ذلك، كانت تتصرف في هدوء وبشكل عادي، كما كانت تتصرف حيال كل شيء. قالت سوزانا إن أمي تجعلها تشعر بأنها طبيعية، كانت أمي بارعة في ذلك، في جعل الناس يشعرون بأنهم طبيعيون وآمنون، وكأنه ما دامت هي هناك، فلا يمكن لشيء سيئ حقًّا أن يحدث.

عندما نزلتا إلى الطابق السفلي بعد فترة وجيزة، كانتا تضحكان كفتاتين مراهقتين قد تسللتا إلى خزانة المشروبات الكحولية الخاصة بوالديهما، كان من الواضح أن أمي قد نالت حصة من مخبوءات سوزانا أيضًا.

تبادلتُ أنا وستيفن نظرة أخرى، نظرة خوف هذه المرة، ربما كانت أمي هي آخر شخص على وجه الأرض من الممكن أن يدخن الحشيش، باستثناء جدتنا، أمها.

سألت أمي وهي تبحث في الخزانة قائلة: «هل أكلتم كل «التشيتوس» يا أطفال؟ إنني أتضور جوعًا».

فقال ستيفن دون أن يستطيع حتى النظر إليها: «أجل».

أمرت سوزانا قائلة وهي آتية من وراء كرسي الاسترخاء الذي كنتُ جالسة عليه: «وماذا عن كيس «الفريتوس» ذاك؟ هاتيه».

لمست شعري بلطف، وهو شيء أحبه. كانت سوزانا أكثر حنانًا من أمي في هذا النوع من الأشياء، ودائمًا ما كانت تناديني بالابنة التي لم تنجبها قط. لقد أحبَّتْ مشاركتها لأمي فيَّ، ولم تمانع أمي ذلك، وكذلك أنا.

سألتني قائلة: «كيف حالكِ مع «إيما» إلى الآن؟».

كان لدى سوزانا طريقة في التركيز عليك تجعلك تشعر بأنك الشخص الأكثر إثارة للاهتمام في الغرفة. فتحت فمي لأكذب وأقول كم أن الرواية عظيمة في رأيي، ولكن قبل أن أتمكن من ذلك، قال كونراد بعلو صوته وكان لا يزال مرتديًا سمَّاعتَي الرأس خاصته: «إنها لم تقلب الصفحة منذ أكثر من ساعة».

حدَّقتُ إليه بنظرة غاضبة، ولكن في داخلي شعرتُ بسعادة غامرة لأنه لاحظ ذلك، فلمرة واحدة كان هو مَن يراقبني. على الرغم من أن ملاحظته لذلك كانت شيئًا أكيدًا، فإن كونراد يلاحظ كل شيء؛ بإمكان كونراد ملاحظة ما إذا كان لدى كلب جيراننا رمص في عينه اليمنى أكثر من عينه اليسرى، أو ما إذا كان عامل توصيل البيتزا يقود سيارة مختلفة. لم يكن شيئًا من قبيل الإطراء أن يلاحظك كونراد، لقد كان أمرًا طبيعيًّا.

أزاحت قُصَّتي من فوق جبهتي وأكدت لي قائلة: «ستحبينها بمجرد أن تتوغلي في الأحداث».

قلتُ بطريقة بدت كما لو أنني كنتُ أعتذر: «دائمًا ما يستغرق مني الأمر بعض الوقت للاندماج مع كتاب».

لم أكن أريدها أن تشعر بالسوء، نظرًا إلى أنها مَن أوصت لي بهذا الكتاب.

ثم دخلت أمي إلى الغرفة بكيس من «التويزلر»[1] وكيس نصف مأكول من «الفريتوس»، رمت «التويزلر» على سوزانا وقالت، متأخرًا: «أمسكِي!».

حاولت سوزانا الإمساك به لكنه سقط على الأرض، وضحكت وهي تلتقطه قائلة: «يا لي من خرقاء».

ثم أخذت تمضغ الحلوى من أحد طرفيها كما لو كانت فتاة ريفية تعض على سنبلة قمح.

- ماذا بكم؟

قال كونراد وهو يحرك رأسه حركات طفيفة مع الموسيقى التي لا يمكن لسواه سماعها: «أمي، الجميع يعلمون بأنكما كنتما تدخنان الحشيش بالأعلى».

غطت سوزانا فمها بيدها. لم تنبس ببنت شفة، لكنها بدت مستاءةً حقًّا.

قالت أمي: «أوبس، أعتقد أن القط قد خرج من الحقيبة، ها قد انكشف أمرنا يا بيك. يا أولاد، كانت أمكما تدخن الماريجوانا الطبية لتخفيف الغثيان الناتج عن علاجها الكيماوي».

لم يُزِح ستيفن عينيه عن التلفاز عندما قال: «وماذا عنكِ يا أمي؟ هل تتعاطين بسبب علاجك الكيماوي أيضًا؟».

كنتُ أعلم بأنه كان يحاول تلطيف الأجواء، وقد نجح. كان ستيفن يجيد ذلك.

ضحكت سوزانا ضحكة خانقة، وألقت أمي بكيس من حلوى «التويزلر» على مؤخرة رأس ستيفن.

---

(1) نوع من حلوى العرقسوس.

- أيها الحمار المتحذلق. إنني أقدم دعمًا معنويًّا لأعز صديقة لي في هذا العالم. ثمة أشياء أسوأ من ذلك.

التقط ستيفن حلوى «التويزلر» من الأرض ونفض عنها الغبار قبل أن يضعها في فمه قائلًا: «إذًا، أعتقد أنه لا بأس بالنسبة إليك إن كنتُ أدخن الماريجوانا أيضًا؟».

فأخبرته أمي وهي تتبادل ابتسامة مع سوزانا، أعز صديقة لها في هذا العالم: «فقط عندما تصاب بسرطان الثدي».

قالت سوزانا: «أو عندما تصاب به أعز صديقاتك».

طوال هذا كله، لم يكن جيرمايا قد تفوه بحرف واحد، ظل ينظر إلى سوزانا فحسب ثم يعود للنظر إلى التلفاز مرة أخرى، كما لو كان قَلِقًا من أنها قد تتبخر في الهواء بينما يدير ظهره.

اعتقدت والدتانا أننا كنا جميعًا على الشاطئ بعد ظُهر ذلك اليوم. لم تعلما أن جيرمايا وأنا قد شعرنا بالملل وقررنا العودة إلى المنزل لتناول وجبة خفيفة، وبينما كنا نصعد درجات المدخل، سمعناهما تتحدثان من خلال النافذة.

توقف جيرمايا عندما سمع سوزانا تقول: «لور، إنني أكره نفسي بمجرد التفكير في هذا، لكنني أعتقد بأنني أُفَضِّلُ أن أموت على أن أفقد ثديي».

توقف جيرمايا عن التنفس وهو واقف هناك، يستمع إلى ذلك، ثم جلس، وكذلك فعلتُ أنا.

قالت أمي: «أعرف أنكِ لا تعنين ذلك».

لقد كرهتُ سماع أمي تقول ذلك، وحزرت أن سوزانا كرهت ذلك أيضًا، لأنها قالت: «لا تخبريني بما أعنيه»، ولم أكن قد سمعتُ صوتها حادًّا وغاضبًا هكذا من قبل.

- حسنًا، حسنًا، لن أفعل.

بدأت سوزانا في البكاء بعد ذلك، وعلى الرغم من أننا لم نتمكن من رؤيتهما، عرفت أن أمي كانت تدلك ظهر سوزانا بحركات دائرية، كما كانت تفعل معي متى كنتُ غاضبةً.

تمنيت لو بإمكاني فعل ذلك لجيرمايا، أعلم بأنه سيجعله يشعر بتحسن، ولكنني لم أستطع. عوضًا عن ذلك، مددتُ يدي وأمسكت بيده وضممتها بقوة في قلب يدي، لم ينظر إليَّ، ولكنه لم ينزع يده كذلك. كانت تلك هي اللحظة التي أصبحنا فيها صديقين حقًّا، صديقين حقيقيين.

ثم قالت أمي بصوتها الأكثر جدية وجمودًا: «اللعنة، إنهما مذهلان حقًّا».

انفجرت سوزانا في الضحك والذي بدا وكأنه أشبه بالنباح، ثم اختلطت ضحكاتها بالبكاء، سيكون كل شيء على ما يرام، فما دامت أمي تطلق اللعنات، وسوزانا تضحك، فسيكون كل شيء على ما يرام.

تركتُ يد جيرمايا ووقفتُ، وكذلك فعل هو، سرنا عائدين إلى الشاطئ، دون أن يتفوه أي منا بشيء. ماذا كان هناك ليقال؟ «آسفة لأن والدتكَ مصابة بالسرطان»؟ «آمل بألا تفقد ثديها»؟

عندما عدنا إلى بقعة الشاطئ الخاصة بنا، كان كونراد وستيفن قد خرجا للتو من الماء ومعهما لوحَيْ ركوب الأمواج، ولم نكن قد تفوَّهنا بشيء بعد، وقد لاحظ ستيفن الأمر، وحزرتُ أن كونراد قد لاحظ أيضًا، بيد أنه لم يقل أي شيء. كان ستيفن هو من قال: «ما خطبكما يا رفاق؟».

قلتُ وأنا أضم رُكبتيَّ إلى صدري: «لا شيء».

فقال وهو ينفض الماء عن سروال سباحته على ركبتيَّ: «هل حظيتما بقبلة للتو يا رفاق أو شيء من هذا القبيل؟».

قلتُ له: «اخرس».

أردتُ خلع سروال سباحته فقط لتغيير الموضوع. في الصيف الماضي، كان لدى الأولاد هوس خلع سراويل بعضهم بعضًا على الملأ. لم أشارك في ذلك الأمر قط، لكن في تلك اللحظة أردتُ فعل ذلك حقًّا.

قال وهو يلكم كتفي: «أووه، لقد عرفتُ!».

تجاهلته وطلبت منه أن يصمت مرة أخرى، فبدأ يغني: «بالحب الصيفي.. استمتعتُ كثيرًا، الحب الصيفي.. لقد حدث سريعًا...»[1].

قلتُ وقد التفتُّ لأهز رأسي وأنظر إلى جيرمايا نظرة تعبر عن مدى ضجري: «ستيفن، كفى سخفًا وحماقة!».

ولكن بعد ذلك قام جيرمايا، ونفض الرمال عن سرواله القصير، وبدأ في السير نحو الماء، مبتعدًا عنًّا، مبتعدًا عن المنزل.

ناداه ستيفن قائلًا: «جيرمايا هل أنتَ في فترة دورتك الشهرية أو شيء من هذا القبيل؟ لقد كنتُ أمزح فحسب يا رجل!».

ولكن جيرمايا لم يلتفت؛ لقد واصل السير على طول الشاطئ.

- بربك، تعال إلى هنا!

قال كونراد: «اتركه وشأنه فحسب».

لم يبدُ الاثنان قريبين من بعضهما بعضًا على نحو خاص، ولكن كان ثمة أوقات رأيتُ فيها كيف كانا يفهمان بعضهما بعضًا جيِّدًا، وكانت تلك المرة هي واحدة منها. لقد جعلتني رؤية تلك النزعة الحمائية من كونراد تجاه جيرمايا أشعر باندفاع هائل من الحب تجاهه، وكأنما موجة في صدري تكتسحني بالكامل. وهو ما جعلني أشعر بالذنب بعد ذلك، فكيف لي أن أفكر في ذلك وسوزانا مصابة بالسرطان؟ أمكنني القول إن ستيفن قد شعر بالسوء والارتباك أيضًا. لم تكن من عادة جيرمايا أن يلوذ بالفرار بعيدًا، وإنما كان دائمًا أول من يضحك، ويلقي بالنكات على الفور. ولأنني شعرتُ برغبة في فرك الملح على الجرح، قلت: «يا لكَ من أحمق وقح يا ستيفن».

شهق ستيفن في وجهي وقال: «ربَّاه! ما الذي فعلته؟».

تجاهلته وارتميتُ على المنشفة مرة أخرى وأغمضتُ عينيَّ. تمنيت لو كان لدي سمَّاعات كونراد، بطريقة ما أردتُ نسيان هذا اليوم كليًّا.

---

(1) أغنية (Summer Nights) من فيلم (Grease) 1978، وهو فيلم مقتبس من موسيقية برودواي، ويُعَدُّ واحدًا من أنجح الأفلام الموسيقيَّة في تاريخ هوليوود.

في وقت لاحق، عندما قرر كونراد وستيفن الذهاب للصيد ليلًا، رفض جيرمايا الانضمام إليهما، على الرغم من أن الصيد الليلي كان الشيء المفضل لديه. لطالما كان يحاول إقناع الناس بالذهاب معه للصيد ليلًا، أما في تلك الليلة فقال إنه لم يكن في مزاج لذلك، لذا فقد غادرا، وبقي جيرمايا في المنزل، معي. شاهدنا التلفاز، ولعبنا الورق. لقد أمضينا معظم الصيف نفعل ذلك، نحن فقط. وطدنا أشياء كثيرة بيننا في ذلك الصيف. كان يوقظني باكرًا في بعض الصباحات، لكي نذهب لجمع الأصداف أو سرطانات الرمال، أو لركوب دراجتينا لشراء الآيس كريم من بعد ثلاثة أميال. عندما كان الأمر مقتصرًا علينا نحن الاثنين، لم يكن يمزح بالقَدْرِ نفسه ولكنه كان لا يزال جيرمايا نفسه.

منذ ذلك الصيف، شعرتُ بأنني صرت أقرب إلى جيرمايا من أخي؛ كان جيرمايا ألطف، ربما لكونه هو أيضًا الأخ الأصغر لأحدهم، أو ربما لأنه كان هذا النوع من الأشخاص فحسب. إنه لطيف مع الجميع، كانت لديه موهبة في جعل الناس يشعرون بالراحة.

الفصل الخامس عشر

لقد كانت تمطر لثلاثة أيام، وبحلول الساعة الرابعة في اليوم الثالث، كان جيرمايا قد جُنَّ جنونه. فهو لم يكن من الأشخاص الذين يحبون البقاء بالداخل؛ إنه دائم الحركة. دائمًا ما كان في طريقه إلى مكان ما جديد. قال إنه لم يعد يستطيع احتمال ذلك، وسأل من منا يريد الذهاب إلى السينما، لم تكن هناك سوى صالة عرض واحدة في كازينز بجانب شاشة سينما السيارات، وكانت بداخل مركز تجاري صغير.

كان كونراد في غرفته، وعندما صعد جيرمايا ودعاه للمجيء، قال لا. لقد كان يقضي وقتًا طويلًا بمفرده، في غرفته، ويمكنني القول إن ذلك كان يجرح مشاعر ستيفن. فهو سيغادر قريبًا في رحلة مع والدنا إلى الجامعات المختلفة للبحث عن الجامعة المناسبة، ويبدو أن كونراد لا يكترث.

ففي الأوقات التي لم يكن فيها كونراد في العمل، كان ينشغل جدًّا في العزف على أوتار جيتاره والاستماع إلى الموسيقى.

لذا فقد كان الأمر مقتصرًا على جيرمايا، وستيفن، وأنا فحسب. أقنعتهما بمشاهدة فيلم كوميدي-رومانسي تدور أحداثه حول اثنين يُنَزِّهان كلبيهما في الطريق نفسه ويقعان في الحب. كان الفيلم الوحيد الذي يُعرَض في

ذلك الوقت. لن يبدأ الفيلم التالي قبل ساعة أخرى، وبعد نحو خمس دقائق بالداخل، وقف ستيفن، وقد شعر بالاشمئزاز قائلًا: «لا يمكنني مشاهدة ذلك، هل أنت قادم يا جير؟».

قال جيرمايا: «لا، سأبقى مع بيلي».

بدا ستيفن مدهوشًا، هزَّ كتفيه وقال: «ألقاكما يا رفاق عندما ينتهي الفيلم».

لقد تفاجأتُ أيضًا، كان الموقف فظيعًا بحق.

لم يمض وقت طويل حتى غادر ستيفن، وجلس شاب ضخم البنية في المقعد الذي أمامي مباشرة.

همس جيرمايا قائلًا: «سأبادلكِ المقعد».

فكرتُ في قول «كلا، لا بأس». بتلك النبرة المزيفة، ولكنني قررتُ عكس ذلك، فقد كان هذا جيرمايا في نهاية الأمر. لم يكن عليَّ أن أكون مهذبة، لذا، بدلًا من ذلك، قلتُ: «شكرًا لك». وبدلنا مقعدينا.

ولكي يتمكن من رؤية الشاشة، كان على جيرمايا أن يستمر في مدِّ رقبته يمينًا والميل نحوي، كان لشعره رائحة كرائحة الكمثرى الآسيوية، رائحة ذلك الشامبو باهظ الثمن التي تستخدمه سوزانا. الأمر طريف. إنه شاب ضخم وطويل كلاعبي كرة القدم الأمريكية، ورائحته حلوة جدًّا. في كل مرة كان يميل فيها، تنفستُ تلك الرائحة الحلوة التي تفوح من شعره، تمنيت لو أن لشعري رائحة كهذه.

في منتصف الفيلم، نهض جيرمايا فجأة. خرج لبضع دقائق، ولمَّا عاد، كان معه عبوة صودا كبيرة وحزمة من «التويزلر»، مدَّ الصودا إليَّ لآخذ رشفة، ولكن لم تكن هناك شَفَّاطات للشرب.

قلتُ له: «لقد نسيتَ الشَّفَّاطَات».

نزع البلاستيك عن عبوة «التويزلر» وعضَّ نهايتي اثنتين من حلوى «التويزلر»، ثم وضعهما في عبوة الصودا، ابتسم ابتسامة عريضة وبدا فخورًا جدًّا بنفسه. لقد نسيت تمامًا كيف كنا نستخدم عيدان حلوى «التويزلر» كشَفَّاطات للشرب، لقد اعتدنا فعل ذلك طوال الوقت. ارتشفنا الصودا من

عودَي «التويزلر» في الوقت نفسه، مثل إعلان كوكاكولا في خمسينات القرن الماضي: الرأسان منحنيان، والجبهتان تكادان تتلامسان. تساءلتُ عما إذا كان الناس يظنون أننا في موعد غرامي.

نظر إليَّ جيرمايا، وابتسم بطريقته المعهودة، وفجأة راودني ذلك الاعتقاد المجنون. اعتقدتُ، أن جيرمايا فيشر يريد أن يُقَبِّلُني. هو شيء جنوني. إنه جيرمايا! لم ينظر إليَّ قط بتلك الطريقة. أمَّا بالنسبة إليَّ، فدائمًا ما كان كونراد هو مَن يروق لي، حتى وهو مزاجيٌّ وغامضٌ وصعب المنال كما هو حاله الآن، لطالما كان كونراد. لم يسبق لي قط أن فكرت في جيرمايا بجديَّة، ليس عندما يكون كونراد في الصورة. وبالطبع لم ينظر إليَّ جيرمايا بهذا الشكل من قبل أيضًا. لقد كنتُ صديقته، رفيقته في مشاهدة الأفلام، الفتاة التي تشارك الحَمَّام معها، ويشاركها الأسرار، لكنني لم أكن الفتاة التي قَبَّلَها.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل السادس عشر

في عمر الرابعة عشرة

كنتُ أعلم أن إحضار تايلور كان خطأ. كنتُ أعلم، كنتُ أعلم ذلك وفعلته على أية حال. تايلور جويل، صديقتي المُقَرَّبة. كان الأولاد في صفنا ينادونها جويل، وهو شيء تظاهرتْ بأنها تكرهه، ولكنها أحبت ذلك سرًّا. اعتادت تايلور أن تقول إنه في كل مرة أعود فيها من المنزل الصيفي، كان عليها أن تكسبني من جديد. كان عليها أن تجعلني أرغب في أن أكون هناك، في حياتي الحقيقية وكل ما يتعلق بها من أمور المدرسة وفتيان المدرسة وأصدقاء المدرسة. كانت تحاول أن ترتب لي موعدًا مع ألطف صديق للفتى الذي كانت مهووسةً به في ذلك الوقت، جاريتُ الأمر، ربما ذهبنا إلى السنيما أو إلى مطعم «وافل هاوس»، لكنني لم أكن قطُّ موجودة حقًّا، ليس تمامًا. هؤلاء الأولاد لا يقارنون أبدًا بكونراد أو جيرمايا، فما المغزى إذًا؟!

لطالما كانت تايلور هي الفتاة الجميلة، الفتاة التي ينظر إليها الأولاد ليتسارع إيقاع نبضاتهم، وكانت هي الفتاة الأخف ظِلًّا، الفتاة التي تجعل الأولاد يضحكون. لقد اعتقدتُ أنني من خلال إحضارها سأثبتُ أنني جميلة

أيضًا. أترون؟ أنا مثلها؛ نحن متشابهتان. ولكننا لم نكن كذلك، والجميع يعرفون هذا. اعتقدتُ أن إحضار تايلور كان سيضمن لي دعوة لنزهات الأولاد في وقت متأخر من الليل على الممشى الخشبي والليالي التي يبيتونها على الشاطئ في أكياس النوم. اعتقدتُ أنه كان أمرًا من شأنه أن يفتح عالمي الاجتماعي على مستوى جديد كُليًّا في ذلك الصيف، وأنني أخيرًا، أخيرًا سأكون في بؤرة الأحداث.

لقد كنتُ محقةً بشأن ذلك الجزء على الأقل.

كانت تايلور تتوسَّل إليَّ من أجل إحضارها منذ الأزل. لقد قاومتُ إلحاحها قائلةً بأن المنزل سيكون مزدحمًا للغاية، ولكنها كانت بارعة في الإقناع. لقد كان خطئي أنا، فقد امتدحتُ الأولاد كثيرًا أمامها وباهيتُ بهم، وفي أعماقي كنتُ أرغب في وجودها هناك. فهي صديقتي المُقرَّبة في نهاية المطاف. لقد كَرِهَتْ أننا لم نكن نتشارك كل شيء، كل لحظة، وكل تجربة. عندما انضمَّت إلى النادي الإسباني، أصرَّت عليَّ لأنضم أنا الأخرى، على الرغم من أنني لم أتعلم الإسبانية، قالت: «هذا من أجل أن نذهب إلى مدينة «كابو» بعد التخرج».

لقد كنتُ أود الذهاب إلى جزر جالاباجوس عند التخرج، كان ذلك حلمي. رغبت في رؤية طائر الأطيش أزرق القدمين. قال أبي إنه سيأخذني إلى هناك، لكنني لم أخبر تايلور، لم يكن ليعجبها ذلك.

ذهبنا أنا وأمي لأخذِ تايلور من المطار، خرجت من الطائرة مرتديةً سروالًا قصيرًا تانك-توب لم أره من قبل. عانقتها، وحاولتُ ألا تبدو عليَّ الغيرة وأنا أقول: «متى حصلتِ على هذا؟».

قالت وهي تُسلِّمني إحدى حقائبها الرياضية: «لقد أخذتني أمي للتسوق من أجل شراء أغراض للشاطئ قبل أن أغادر. شكله لطيف، صحيح؟».

- أجل، لطيف.

كانت حقيبتها ثقيلة. تساءلتُ عما إذا كانت قد نسيت بأنها ستبقى لأسبوع واحد فقط.

- إنها تشعر بالسوء لأنها وأبي سينفصلان، لذا فهي تشتري لي جميع أنواع الأشياء. (ثم أردفت تايلور وقد ارتفع بؤبؤا عينيها) حتى إننا ذهبنا إلى جلسة عناية بالأظفار والأقدام معًا. انظري!

رفعت تايلور يدها اليمنى. كانت أظفارها مطلية بلون توت العليق الأحمر، وكانت طويلة ومربعة الشكل.

- هل هذه أظفاركِ الحقيقية؟

- أجل! بالطبع. أنا لا أضع الأظفار الصناعية يا بيلي.

- لكنني كنتُ أعتقدُ بأنه يجب عليكِ إبقاء أظفاركِ قصيرة من أجل العزف على الكمان.

- أوه، ذلك الأمر. لقد سمحت لي مامي أخيرًا بترك العزف على الكمان. إنه الشعور بالذنب بسبب الطلاق. (ثم قالت عن دراية) أنتِ تعرفين كيف تجري هذه الأمور.

إن تايلور هي الفتاة الوحيدة في مثل عمرنا التي كانت لا تزال تنادي أمها «مامي»، وهي الوحيدة التي كان بإمكانها الإفلات من الانتقاد بشأن ذلك أيضًا.

حازت انتباه الأولاد فورًا، فور وقوع أنظارهم عليها، تفحصوا حمالة صدرها الصغيرة ذات القالبين من المقاس «ب» وشعرها الأشقر. أردتُ أن أخبرهم بأن حمالة الصدر تلك مبطَّنة ورافعة لإبراز الصدر خصيصًا، وأن تلك ليست إلا نصف زجاجة من بخاخ «صن-إن» المُفَتِّح للشعر. إن شعرها ليس بهذا الصفار عادةً. هذا لا يعني أنهم كانوا سيهتمون في كلتا الحالتين.

أما أخي، على الناحية الأخرى، فبالكاد رفع عينيه عن التلفاز. إن تايلور تزعجه، لطالما كانت كذلك. تساءلت عما إذا كان قد حذر كونراد وجيرمايا بشأنها بالفعل.

قالت بصوت مُنَغَّم: «مرحبًا يا ستي-فن».

فغمغم قائلًا: «مرحبًا».

نظرت تايلور إليَّ تظاهرت بالحَوَلِ وقالت وقد شددت على حرف الدال: «السيد حاد الطباع».

ضحكتُ.

- تايلور. دعيني أُعرفكِ، هذا كونراد وهذا جيرمايا، وذلك ستيفن كما تعلمين.

كان الفضول ينتابني بشأن مَن ستختاره، من ستعتقد أنه الألطف، الأطرف، الأفضل.

قالت وهي تقيمهما بنظراتها: «مرحبًا...».

وعلى الفور استطعت معرفة أن كونراد هو المختار. كنتُ سعيدةً لأنني أعلم أن كونراد لن يعجب بها أبدًا، أبدًا.

قالا: «مرحبًا».

ثم التفت كونراد إلى التلفاز مرة أخرى كما توقعت أن يفعل. أما جيرمايا فابتسم لها إحدى ابتساماته الخفيفة على أحد جانبي فمه وقال: «أنتِ صديقة بيلي إذًا، هاه؟ كنا نظن أن لا أصدقاء لها».

انتظرتُ أن يبتسم في وجهي ليُظهر أنه كان يمزح فحسب، لكنه لم ينظر في اتجاهي حتى.

قلتُ: «اخرس يا جيرمايا».

ابتسم إليَّ حينها، ولكنها كانت ابتسامة سريعة وعابرة، ثم عاد مباشرةً للنظر إلى تايلور.

أخبرته تايلور بطريقتها المرحة الواثقة: «إن لدى بيلي الكثير من الأصدقاء».

- هل أبدو لك كشخص يرافق الفَشَلة الخاسرين؟

قال أخي من الأريكة وقد انبثق رأسه: «أجل، تفعلين ذلك».

نظرت إليه تايلور شزرًا: «فلتعد إلى ممارسة الاستمناء يا ستيفن، (ثم التفتت إليَّ وقالت) لماذا لا تُرينني غرفتنا؟».

قال ستيفن: «أجل، لماذا لا تفعلين ذلك يا بيلي؟ لماذا لا تكونين تابعة لكل أوامر لتاي-تاي؟».

ثم استلقى مرةً أخرى، وقد تجاهلته قائلةً: «هيا بنا يا تايلور».

وبمجرد دخولنا إلى غرفتي، رمت تايلور نفسها على السرير الذي بجانب النافذة، سريري، السرير الذي أنام فيه دائمًا.

قالت: «يا إلهي، إنه لطيف للغاية».

سألتها رغم أنني كنتُ أعرف الإجابة: «أيهما؟».

- ذو الشعر الداكن بالطبع. أحب أن يكون رجالي داكني الشعر.

وكنتُ في داخلي قد رفعت بؤبؤي عينيَّ لأعلى في ضجر عند سماع ذلك. رجال؟ لم تواعد تايلور إلا ولدين في حياتها، ولم يكن أي منهما قريبًا من كونه رجلًا بأي شكل من الأشكال.

قلتُ لها: «أشك في أن هذا قد يحدث. إن كونراد ليس مهتمًّا بالفتيات».

كنتُ أعلم أن ذلك غير صحيح، لقد كان بالفعل مهتمًّا بالفتيات. لقد اهتم بما فيه الكفاية بتلك الفتاة التي تُدعى أنجي في الصيف الماضي لدرجة أنه قد مضى قدمًا بعلاقتهما لتتطور إلى حدِّ التلامس والقبلات، أليس كذلك؟

لمعت عينا تايلور البُنيَّتان وقالت: «أحب التحدي، ألم أفز بمنصب رئيسة الصف في العام الماضي؟ وسكرتيرة الصف في العام الذي قبله؟».

- أتذكر بالطبع. لقد كنتُ مديرة حملتكِ. ولكن كونراد مختلف. إنه... (ترددتُ وأنا أبحث عن الكلمة الصحيحة لأجل إخافة تايلور فحسب) أقرب إلى المختل.

صرخت قائلة: «ماذا؟».

تراجعت سريعًا؛ ربما كانت «مختل» كلمة قوية للغاية.

- لا أقصد «مختل»، بالضبط، ولكنه يمكنه أن يكون حاد الطباع بحق، متطرف في مشاعره، عليكِ أن تضعي تركيزك على جيرمايا، أعتقد أنه من النوع الذي يعجبكِ.

سألتني تايلور قائلة: «وما الذي يعنيه ذلك يا بيلي؟ أنني لستُ بالعمق الكافي؟».

-في الواقع...

لقد كانت في مستوى عمق حوض سباحة قابل للنفخ للأطفال.

- حسنًا، لا تجيبي على ذلك. (فتحت تايلور حقيبتها الرياضية وبدأت في إخراج الأشياء) إن جيرمايا لطيف، ولكن كونراد هو الشخص الذي أريده، سأصيبُ رأس ذلك الولد بالدوار.

- لا تقولي بأنني لم أحذركِ.

لقد كنتُ أتطلع بالفعل لقول... ها أترين؟ لقد أخبرتكِ بذلك، حالما تأتي تلك اللحظة. آملة بأن تكون عاجلة وليست آجلة.

رفعت البيكيني أصفر اللون المنقَّط لأعلى، قائلةً: «هذا شيء صغير جدًّا من أجل كونراد، ما رأيكِ؟».

قلتُ: «هذا البيكيني لن يناسب بريدجيت حتى».

كانت أختها الصغيرة بريدجيت في السابعة من عمرها، وقد كان جسدها ضئيلًا بالنسبة إلى سنِّها.

- بالضبط.

رفعتُ بؤبؤي عينَيَّ لأعلى في ضجر وقلت: «لا تقولي بأنني لم أحذركِ. وهذا سريري الذي تجلسين عليه».

ارتدت كلتانا ثوب سباحتها على الفور، ارتدت تايلور البيكيني الأصفر الصغير وارتديتُ أنا التانكيني الأسود الخاص بي ذي حمَّالة الصدر الداعمة وخط العنق المرتفع جدًّا.

وبينما كنَّا نبدل ملابسنا، نظرت إليَّ وقالت: «بيلي، لقد كبر ثدياكِ كثيرًا!».

ألقيتُ بالتي-شيرت من فوق رأسي وقلتُ: «ليس صحيحًا».

ولكن ذلك كان صحيحًا، لقد كبرا في الحجم، بين عشية وضحاها تقريبًا. لم يكونا بهذا الشكل في الصيف الماضي، كان ذلك مؤكدًا. إنني أكرههما، فقد أبطآني: لم يعد بإمكاني الركض بسرعة، كان الأمر مُحرجًا للغاية. ولهذا السبب كنتُ أرتدي تي-شيرتات فضفاضة وأثواب سباحة من قطعة واحدة. لم أستطع تحمل سماع ما سيقوله الأولاد عن ذلك. كانوا سيضايقونني بالتأكيد، وكان ستيفن سيخبرني بأن أذهب لارتداء بعض الملابس الأكثر احتشامًا، مما كان سيجعلني أرغب في الموت.

سألتني في اهتمام قائلة: «ما هو مقاسكِ الآن؟».

- «ب».

كذبتُ؛ كان مقاسي أقرب إلى أن يكون «ج»، فبدا على تايلور الشعور بالارتياح وقالت: «أوه، حسنًا، لا يزال مقاسنا واحدًا إذًا، لأنني عمليًّا أرتدي مقاس «ب». لماذا لا ترتدين أحد البيكينيات خاصتي؟ تبدين وكأنكِ ذاهبة لتأدية تدريب لفريق السباحة في ثوب السباحة المكوَّن من قطعة واحدة هذا».

رفعت واحدًا مخططًا باللونين الأزرق والأبيض وواحدًا بأربطة حمراء على الجانبين.

ذَكَّرتُها قائلة: «إنني بالفعل عضوة في فريق السباحة».

كنتُ أمارس السباحة مع فريق الحي الذي أسكن فيه في فصل الشتاء، ولكنني لم أستطع المنافسة في الصيف لأنني دائمًا ما أكون في كازينز. كوني في فريق السباحة جعلني أشعر بالارتباط بحياتي الصيفية، وكأنها كانت مجرد مسألة وقت قبل أن أعود إلى الشاطئ مرة أخرى.

قالت تايلور: «آخ، لا تذكريني. (أخذت تؤرجح البيكيني من جانب لآخر) سيكون لطيفًا جدًّا عليكِ، مع شَعرُكِ البنِّي وثدييكِ الجديدين».

عقدتُ حاجبيَّ ودفعتُ البيكيني بعيدًا. أراد جزء مني التباهي وإبهارهم بإظهار إلى أي مدى قد كبرتُ، وكيف أصبحتُ فتاة حقيقية الآن، لكن الجزء الآخر الأكثر عقلانية كان يعلم بأنها ستكون بمنزلة تَمَنٍّ للموت. كان ستيفن سيرمي بمنشفة فوق رأسي، وسأشعر بأنني في العاشرة من عمري مرة أخرى بدلًا من الثالثة عشرة.

- ولكن لماذا؟

فقلتُ: «أحب أن آخذ لفَّات في المسبح».

وقد كان ذلك صحيحًا؛ كنتُ أحب فعل ذلك.

هزَّت كتفيها قائلة: «حسنًا، ولكن لا تلوميني عندما لا يتحدثُ إليكِ الأولاد».

هززتُ كتفيَّ أنا الأخرى وقلتُ: «لا يهمني ما إذا كانوا سيتحدثون إليَّ أم لا. إنني لا أفكر فيهم بتلك الطريقة».

- أجل، صحيح! لقد كنتُ مهووسة بكونراد طوال فترة معرفتي بكِ. إنكِ حتى لم تتحدثي إلى أي من فتيان المدرسة في العام الماضي.

قلتُ وأنا أسحب سروالًا رياضيًّا قصيرًا: «تايلور، كان ذلك من وقت طويل حقًّا، إنهما بمنزلة أخوين بالنسبة إليَّ، تمامًا مثل ستيفن. فلتتحدثي معهما أنتِ كيفما تشائين».

الحقيقة هي أنني أعجبتُ بكل منهما بطريقة مختلفة ولم أكن أريدها أن تعرف ذلك، لأنه أيًّا كان مَن ستختاره سيبدو كما لو أنه الشخص المتبقي. ولم يكن هذا ليجعل تايلور تغير رأيها. كانت ستختار كونراد في كلتا الحالتين.

أردت أن أقول لها: اذهبي إلى أي شخص إلا كونراد، ولكن هذا لن يكون صحيحًا، ليس تمامًا. فسأشعر بالغيرة أيضًا إذا اختارت جيرمايا، لأنه كان صديقي أنا، وليس هي.

* * *

استغرق الأمر من تايلور دهرًا طويلًا لاختيار نظارة شمسية تتماشى مع ثوب سباحتها (أحضرت معها أربع نظارات)، بالإضافة إلى مجلتين وزيت تسمير البشرة الخاص بها، وبحلول الوقت الذي خرجنا فيه، كان الأولاد في المسبح بالفعل.

رميت ملابسي على الفور، استعدادًا للقفز، لكن تايلور بدت مترددة، وكانت منشفة الشاطئ خاصتها ملفوفة بإحكام حول كتفيها. أمكنني القول بأنها قد توترت فجأة بشأن البيكيني الصغير الذي كانت ترتديه، وكنتُ سعيدة. فقد كنتُ أصاب ببعض السأم من رؤيتها تستعرض وتتباهى بنفسها.

لم يلتفت الأولاد، لقد كنتُ قلقة من أنهم مع وجود تايلور هناك قد لا يرغبون في فعل كل الأشياء المعتادة، من أنهم قد يتصرفون بشكل مختلف. ولكن ها قد كانوا هناك، يُغَطِّسون بعضهم بعضًا، مثل أي وقت مضى.

قلتُ وأنا أخلع خُفَّيَّ: «دعينا ننزل إلى المسبح».

قالت تايلور: «أنا قد أستلقي في الشمس قليلًا أولًا. (وأخيرًا نزعت منشفتها وفَرَدَتها على كرسي التَشَمُّس) ألا تريدين الاستلقاء أيضًا؟».

- كلا، الجو حار وأريد السباحة. وإلى جانب ذلك، لقد اسمرَّت بشرتي بالفعل.

وقد كنتُ كذلك؛ كان لوني يتحوَّل إلى لون حلوى الطوفي الداكنة، بدوت وكأنني شخصٌ مختلفٌ تمامًا في الصيف، وربما كان ذلك أفضل جزء بخصوصه. ومن ناحية أخرى، كانت تايلور بيضاء ونضرة مثل عجينة البسكويت. ورغم ذلك، كان لدي شعور بأنها ستلحق بي سريعًا، كانت تُجيد ذلك.

خلعت نظارتي ووضعتها فوق ملابسي. ثم مشيت حتى وصلت إلى الجزء الأعمق من المسبح وقفزتُ مباشرة، أحسستُ بأن المياه كأنها صدمة لجميع حواسي، بأفضل طريقة ممكنة، وعندما صعدتُ لاستنشاق الهواء، سبحت باتجاه الأولاد وقلتُ: «دعونا نلعب لعبة ماركو بولو».

توقف ستيفن الذي كان مشغولًا بمحاولة إغراق كونراد وقال: «ماركو بولو مملة».

فاقترح جيرمايا: «فلنلعب لعبة الدجاج».

قلتُ: «ما هذه؟».

فشرح أخي قائلًا: «إنها لعبة يصعد فيها فريقان من الناس فوق أكتاف بعضهما بعضًا ويحاول الشخص دفع منافسه من الفريق الآخر لأسفل حتى يقع في الماء».

وأكَّدَ لي جيرمايا قائلًا: «إنها لعبة ممتعة، أقسم بذلك، (ثم نادى على تايلور) تايلِر، أتريدين لعب لعبة الدجاج معنا، أم إنكِ جبانة تخافين الخسارة؟».

رفعت تايلور عينيها عن مِجَلَّتها. لم أستطع رؤية عينيها بسبب نظارتها الشمسية، ولكنني علمتُ بأنها كانت منزعجة.

- اسمي تاي-لور، وليس تايلِر يا جيرمي، وكلا، لا أريدُ اللعب.

تبادل كلٌّ من ستيفن وكونراد نظرة، وقد عرفتُ بالضبط فيما كانا يفكران.

قلت: «هيًّا يا تايلور، سيكون الأمر ممتعًا. (ثم رفعتُ بؤبؤي عينيَّ) لا تكوني جبانة».

قدَّمَت استعراضًا كبيرًا لتنهدها، ثم وضعت مجلتها جانبًا ووقفت وضبَّطَت شيئًا ما في ظهر البيكيني الذي ترتديه.

- هل عليَّ أن أخلع نظَّارتي الشمسية؟

ابتسم لها جيرمايا قائلًا: «لا، إذا كنتِ في فريقي فلن تسقطي».

خلعت تايلور نظَّارتها على كل حال، وأدركتُ حينها أن الفِرَق كانت غير متكافئة في العدد، وأن شخصًا ما سيضطر إلى الانسحاب.

عَرَضتُ قائلة: «أنا سأشاهد».

رغم أنني أردتُ اللعب.

قال كونراد: «كلا، لا بأس أنا لا أريد اللعب».

وقال ستيفن: «سنلعب جولتين».

فهزَّ كونراد كتفيه قائلًا: «حسنٌ».

ثم سبح إلى حافة المسبح.

أعلن جيرمايا قائلًا: «أختارُ تاي-لور».

فتجادل معه ستيفن: «هذا ليس عدلًا، إنها أخفُّ وزنًا. (ثم نظر إليَّ ورأى التعبير المرتسم على وجهي) أنتِ أطول منها، هذا كل ما في الأمر».

لم أعد راغبةً في اللعب.

- لماذا لا أنسحب وأتفرَّج فقط إذًا؟ سأكره أن أكسر ظهرك يا ستيفن.

قال جيرمايا: «أوه، سأختاركِ يا بيلي. سنقضي على هذين الرفيقين. أعتقد بأنكِ على الأرجح أقوى من تاي-لور الصغيرة».

نَزَلَتْ تايلور على درجات حوض السباحة ببطء، بينما كانت تتأقلم على درجة حرارة الماء. قالت: «أنا قوية للغاية يا جيرمي».

ثم جثم جيرمايا في الماء، وفجأةً وجدتُ نفسي فوق كتفيه. كان زَلِقًا، لذا فقد كان من الصعب عليَّ الثبات في البداية، ثم وقف بعد ذلك وقَوَّمَ نفسه، تحرَّكتُ ووازنتُ يديَّ على رأسه وسألته بهدوء قائلة: «هل أنا ثقيلة جدًّا؟».

لقد كان نحيفًا للغاية، كنت أخشى من أنني قد أكسره.

- أنتِ في خِفَّة الريشة.

لقد كذب، فقد كان يتنفس بصعوبة ويتمسك في ساقيَّ جيدًا. شعرت برغبة في طبع قبلة على الجزء العلوي من رأسه في تلك اللحظة.

أمامنا كانت تايلور جالسة فوق كَتِفَيْ ستيفن تضحك وتشد شَعره ليبقيها ثابتة. بدا ستيفن وكأنه على أتم استعداد لإلقائها من فوقه وإخراجها من المسبح.

سأل جيرمايا: «مستعدين؟ (ثم قال لي بصوت منخفض) تكمن الحيلة في الحفاظ على الثبات».

أومأ ستيفن، وذهبنا إلى وسط المسبح، قال كونراد الذي كان يمشي بالجوار: «استعدوا، تأهبوا، انطلقوا!».

مددتُ أنا وتايلور ذراعينا نحو بعضنا بعضًا، وأخذنا نتجاذب ونتدافع، لم تستطع التوقف عن الضحك، وعندما أعطيتها دَفعة قوية قالت: «أوه، سُحقًا!».

وسقط كلاهما للخلف. انفجرتُ أنا وجيرمايا ضاحكين وضرب كلٌّ منَّا كفه بكفِّ الآخر، وعندما ظهرا على السطح مرة أخرى، حدَّق ستيفن إلى تايلور في غضب وقال: «لقد طلبتُ منكِ أن تتمسكي جيِّدًا».

فرَشَّتْ وجهه بالماء وقالت: «لقد فعلتُ!».

كان كُحل عينيها مُلَطَّخًا، وبدأت الماسكارا تسيل على خَدَّيها، وكانت لا تزال تبدو جميلة رغم ذلك.

قال جيرمايا: «بيلي؟».

قلتُ: «هممم؟».

كنتُ قد بدأتُ أشعر براحة كبيرة هناك، من فوق ذلك الارتفاع العالي.

- احذري.

ثم ترنح للأمام، وكنتُ أهوي إلى الماء، وكذلك كان هو. لم أستطع التوقف عن الضحك، وابتلعتُ نحو دورق من المياه، ولكنني لم أهتم.

وعندما انبثق رأسانا من المياه، توجهتُ نحو رأسه مباشرةً وأغرقته بحركة مباغتة.

ثم قالت تايلور: «فلنلعب ثانيةً، وسأكون في فريق جيرمايا هذه المرة. ستيفن، يمكنك أن تكون شريك بيلي».

فقال ستيفن وهو لا يزال يبدو عابسًا: «كون، فلتأخذ مكاني».

قال كونراد: «حسنًا».

بيد أن صوته قال إنه لم يكن يريد ذلك على الإطلاق، وعندما سبح نحوي، قلتُ بنبرة دفاعية: «إنني لستُ بهذا الثقل».

- لم أقل قط بأنكِ كذلك. (ثم انحنى أمامي، وصعدتُ فوقه. كانت كتفاه أقوى وأضخم من كتفي جيرمايا) هل أنتِ على ما يرام بالأعلى؟

- أجل.

وقبالتنا كانت تايلور تواجه مشكلة في الصعود فوق كتفي جيرمايا، ظلَّت تنزلق كلما تسلقت للأعلى وتضحك. لقد كانا يحظيان بالكثير من المرح. الكثير من المرح. راقبتهما في غيرة وكدتُ أنسى أن أدرك حقيقة أن كونراد كان ممسكًا بساقيَّ، وبحسب ما أتذكر، فإنه لم يكن قد لامس رُكبتي من قبل ولا عن طريق الخطأ حتى.

قلتُ وقد بدا صوتي غيورًا جدًّا حتى على أذنيَّ، وقد كرهتُ ذلك: «هيَّا، فلنسرع ونبدأ في اللعب».

واجه كونراد صعوبة أقل في الانتقال بي إلى وسط المسبح. لقد فوجئت نوعًا ما بمدى سهولة تحركه مع وزني الإضافي فوق كتفيه.

قال كونراد لجيرمايا وتايلور اللذين تمكَّنا أخيرًا من البقاء بلا حراك: «مستعدان؟».

فصرخت تايلور قائلة: «أجل!».

قلتُ بداخل رأسي، *ستخسرين يا جويل*، وقلتُ بصوت عالٍ: «أجل».

مِلتُ للأمام واستخدمتُ كلتا يديَّ لمنحها دفعة قوية، مالت إلى الجانب ولكنها لم تسقط، وقالت: «مهلًا!».

فابتسمتُ ودفعتها ثانية قائلة: «أهلًا».

ضيَّقَت تايلور عينيها ودفعتني إلى الخلف، ولكنها لم تكن دفعة قوية بما يكفي.

ثم استمررنا في دفع بعضنا بعضًا، ولكن هذه الجولة كانت أسهل بكثير فقط لأنني شعرتُ بالثبات. وبعد دفعة قوية مني، سقطت في الماء، ولكن جيرمايا كان لا يزال واقفًا، صفَّقتُ بصوتٍ عالٍ، كان ذلك ممتعًا للغاية.

فوجئتُ عندما وجدتُ كونراد قد رفع يده لنضرب كفَّينا. لم يكن من ذلك النوع من الأشخاص الذي عادةً ما يضرب كفوف الآخرين. عندما عاودت تايلور الظهور على سطح الماء هذه المرة، لم تكن تضحك، قالت وشعرها الأشقر ملتصق برأسها: «هذه اللعبة مقرفة، لا أريد أن ألعبها بعد الآن».

قلتُ وقد أنزلني كونراد في الماء: «خاسرة متذمرة، فقط تقبَّلي الخسارة».

قال، وقد ابتسم إليَّ ابتسامة من إحدى ابتساماته النادرة، وقد شعرتُ كما لو أنني قد ربحتُ اليانصيب من تلك الابتسامة الواحدة: «أحسنتِ عملًا».

قلتُ له: «إنني ألعبُ من أجل الفوز».

وكنتُ أعرف أنه أيضًا كذلك.

الفصل السابع عشر

بعد أيام قليلة من تقاسمنا حلوى «التويزلر» في السينما، أعلن جيرمايا قائلًا: «سأعَلِّم بيلي كيفية قيادة السيارة ذات ناقل السرعات اليدوي اليوم».

فقلتُ بلهفة: «هل تعني ذلك حقًّا؟».

لقد كان يومًا صافيًا؛ أول يوم صاف في الأسبوع بأكمله. يوم مثالي للقيادة. إنه يوم إجازة جيرمايا، ولم أستطع أن أصدق أنه كان على استعداد لقضائه في تعليمي كيف أقود باستخدام ناقل السرعات اليدوي. كنتُ أتوسل إليه منذ العام الماضي من أجل تعليمي. لقد حاول ستيفن تعليمي من قبل، واستسلم بعد درسنا الثالث.

هزَّ ستيفن رأسه وارتشف جرعة كبيرة من عصير البرتقال من العلبة الموضوعة فوق الطاولة ثم قال: «أتود أن تموت يا رجل؟ لأن بيلي ستقتل كليكما، ناهيك بدبرياج سيارتك. لا تفعل هذا! أقولها لك كصديق».

صرختُ وقد ركلته من تحت الطاولة: «اخرس يا ستيفن! هذا فقط لأنك معلِّمٌ بشِعٌ».

لقد رفض ستيفن الركوب معي في سيارة مرة أخرى، بعد أن أحدثتُ انبعاجًا صغيرًا في رفرف سيارته عن طريق الخطأ عندما كان يعلمني كيفية الركن بمحاذاة الرصيف.

قال جيرمايا: «أنا واثق من مهاراتي التعليمية، بحلول الوقت الذي سأنتهي من تعليمها فيه، ستكون أمهر منك».

استنشق ستيفن نَفَسًا وقال: «حظًّا طيبًا. (ثم عبس وأردف) كم من الوقت ستغيبان؟ اعتقدتُ بأننا سنذهب إلى ساحة لعب الجولف».

عرضتُ قائلة: «يمكنك المجيء معنا».

تجاهلني ستيفن وقال لجيرمايا: «أنت بحاجة إلى التدرب على تسديداتك يا صاح».

رمقتُ جيرمايا بنظرة خاطفة، والذي نظر إليَّ وتردد ثم قال: «سأعود عند الغداء، يمكننا الذهاب بعده».

رفع ستيفن بؤبؤَي عينيه في تبرم وقال: «حسنًا».

أستطيع القول بأنه كان مستاءً ومجروحًا بعض الشيء، مما جعلني أشعر بأنني قد انتصرتُ عليه وآسفة من أجله في الوقت نفسه. فهو لم يكن معتادًا استبعاده من الأشياء مثلي.

خرجنا للتدرب على الطريق الذي يؤدي إلى الجانب الآخر من الشاطئ، كان هادئًا، لم يكن هناك أي شخص آخر سوانا على الطريق، استمعنا إلى أسطوانة جيرمايا القديمة لألبوم «نيفر مايند» (Nevermind) الذي صدر منذ نحو مليون سنة.

أوضح جيرمايا بصوت يعلو صوت «كورت كوبين» (Kurt Cobain) قائلًا: «إنه لمن المثير أن تتمكن فتاة من قيادة سيارة يدوية. إنه يبيِّن أنها واثقة من نفسها وتعرف ما تفعله».

وضعت السيارة على ناقل الحركة الأول ورفعتُ قدمي قليلًا عن الدبرياج.

- اعتقدتُ أن الأولاد يحبون الفتيات الضعيفات اللاتي دائمًا ما يحتجن إلى المساعدة.

- أجـل إنهم كذلـك أيضًـا، ولكنني أفضِّـل الفتيـات الذكيَّـات الواثقات بأ نفسهن .

- هراء. لقد أعجبتك تايلور، وهي ليست من ذلك النوع من الفتيات.

تأوَّه جيرمايا وأخرج يده من النافذة ثم قال: «هل عليكِ ذكر ذلك الأمر مرة أخرى؟».

- إنني أقول فقط إنها ليست بذلك الذكاء والثقة.

فقال قبل أن ينفجر ضاحكًا: «ربما، ولكن أؤكد لكِ أنها كانت تعرف تمامًا ما الذي تفعله».

ضربته على ذراعه، بقوة، وقلتُ: «أنت مقزز للغاية، وكذاب أيضًا. أعرفُ حقيقة أن علاقتكما لم تتطور لتلك الدرجة يا رفاق».

فتوقف عن الضحك وقال: «أجل، حسنًا، لم تتطور لتلك الدرجة. ولكنها كانت بارعة في التقبيل، كان مذاقها مثل حلوى «السكتيلز»».

إن تايلور تحب «السكتيلز». دائمًا ما كانت تضعها في فمها، مثل حبَّات الفيتامينات، كما لو أنها مفيدة لصحتها. تساءلتُ كيف كنتُ سأقارَن بتايلور لو اعتقد جيرمايا أنني أيضًا بارعة في التقبيل، نظرت إليه نظرة خاطفة، ولا بد أنه قد رأى ذلك على وجهي، لأنه ضحك وقال: «ولكنكِ... ولكنكِ كنتِ الأفضل يا بيلز».

لكمته في ذراعه، ومع ذلك لم يتوقف عن الضحك، إنما تعالت ضحكاته فحسب.

قال وهو يلهثُ من كثرة الضحك: «لا ترفعي قدمك عن الدبرياج».

كنت متفاجئة نوعًا ما من أنه قد تذكَّر ذلك أصلًا. أعني، لقد كان أمرًا لا يُنسى بالنسبة إليَّ، لكن ذلك لأنها كانت قُبلتي الأولى وقد كانت من جيرمايا نفسه. ولكن حقيقة أنه قد تذكَّر، هذا ما جعلني أتقبل ضحكاته.

قلتُ: «لقد كنتَ صاحب قبلتي الأولى».

شعرتُ بأنني أستطيع قول أي شيء له في تلك اللحظة. تمامًا كما كنا من قبل، قبل أن نكبر وتتعقد الأمور. لقد بدا كل شيء سهلًا ودافئًا وعفويًّا.

نظر بعيدًا في إحراج وقال: «أجل، أعرف».

سألته قائلة: «كيف عرفت؟».

هل كنتُ مريعةً في التقبيل لدرجة جعلته يشك في ذلك؟ يا له من أمر مُذِل.

- إممم، لقد أخبرتني تايلور بذلك فيما بعد.

- ماذا! لا أصدق أنها قد فعلت ذلك. تلك خيانة!

لقد أوقفتُ السيارة تقريبًا. في الواقع، لم أكن متفاجئة، ولكنني كنتُ ما زلت أشعر بالخيانة.

- إنه ليس بالأمر الجلل. (ولكن الاحمرار كان واضحًا على وجنتيه) أعني، في المرة الأولى التي قَبَّلتُ فيها فتاة كانت مزحة فحسب، وظلَّت تخبرني بأنني كنتُ أفعل الأمر بشكل خاطئ.

- مَن؟ مَن كانت صاحبة قُبلتك الأولى؟

- أنتِ لا تعرفينها، لا يهم.

تملقتُ قائلة: «هيَّا، أخبرني».

كنا قد توقفنا تمامًا في ذلك الحين، فقال جيرمايا: «فقط ضعي قدمكِ على الدواسة واجعلي سرعتك معتدلة».

- ليس حتى تخبرني.

فقال وقد أخفض رأسه: «حسنًا. لقد كانت كريستي تورنداك».

- قَبَّلتَ توركاكِن؟

الآن بدأتُ أضحك. بالطبع كنتُ أعرف كريستي تورنداك. لقد اعتادت أن تقضي إجازتها على شاطئ كازينز. مثلنا تمامًا، ولكن الشيء المختلف هو أنها كانت أيضًا تعيش هناك طوال العام، واعتدنا رؤيتها في خلال عطلتنا الصيفية.

قال جيرمايا وهو يهز كتفيه: «لقد كانت معجبة بي إعجابًا كبيرًا».

- هل أخبرت كون وستيفن؟

- يا للجحيم، بالطبع لا لم أخبرهما بأنني قَبَّلتُ توركاكِن! ومن الأفضل لكِ ألا تفعلي أنتِ أيضًا! عديني وعد الخنصر.

مددتُ له خِنصري، وقطعتُ الوعد.

- كريستي تورنداك. كانت تُقَبِّل بلطف. لقد علمتني كل شيء أعرفه. أتساءل ما الذي حدث لها.

تساءلتُ عما إذا كانت توراداكِن تُقبِّل أفضل مني هي الأخرى. لا بد أنها كانت كذلك، بما أنها من عَلَّمَت جيرمايا.

توقفنا مجددًا وقلتُ: «هذا مقزز، أنا أنسحب».

فقال جيرمايا بنبرة آمرة: «ليس ثمة انسحاب في القيادة. هيًّا!».

تنهدتُ وبدأتُ في تشغيل السيارة مرة أخرى، وبعد ساعتين، تمكنتُ من ذلك، نوعًا ما؛ كانت لا تزال السيارة تتوقف مني فجأة في أثناء القيادة، ولكنني كنتُ أحرز تقدمًا، كنتُ أقود. قال جيرمايا إن هذا أمر طبيعي بالنسبة إلى شخص ما زال يتعلم.

* * *

بحلول الوقت الذي عُدنا فيه إلى المنزل، كانت الساعة قد جاوزت الرابعة وكان ستيفن قد غادر. خمَّنت أنه قد سئم الانتظار وذهب إلى ساحة لعب الجولف بمفرده. أما أمي وسوزانا فكانتا تشاهدان أفلامًا قديمة في غرفة سوزانا، كانت الغرفة مظلمة، وستائرها منسدلة.

وقفتُ خارج بابهما للحظة، أستمع إلى ضحكاتهما، شعرتُ بأنني مستبعدة ومُهمَلة. كنتُ أحسدهما على علاقتهما. لقد كانت كل منهما للأخرى تمامًا مثل مساعد الطيار. لم أكن أحظى بهذا النوع من الصداقة، تلك الصداقة الأبدية التي ستستمر طوال حياتك، وتصمد مهما حدث.

دخلتُ إلى الغرفة، وقالت سوزانا: «بيلي! تعالي وشاهدي الأفلام معنا».

زحفتُ على الفراش حتى أصبحتُ بينهما، واستلقيتُ على السرير في الغرفة شبه المعتمة. شعرتُ بدفء وراحة، وكأننا كنا بداخل كهف. أخبرتهما قائلة: «لقد كان جيرمايا يعلمني القيادة».

قالت سوزانا وقد ابتسمت ابتسامة خافتة: «ولدي العزيز».

فأضافت أمي وهي تقرص أنفي برفق: «والشجاع أيضًا».

استكنتُ تحت اللحاف. ما فعله جيرمايا كان رائعًا حقًّا، كان لطفًا منه أن يصطحبني للقيادة عندما لم يكن أحد آخر على استعداد لفعل ذلك. فقط لمجرد أنني قد صدمتُ السيارة بضع مرات من قبل، لا يعني أنني لن أكون سائقة ممتازة مثل أي شخص آخر. بفضله، يمكنني قيادة سيارة بناقل سرعة يدوي الآن. سأكون واحدة من هؤلاء الفتيات الواثقات بأنفسهن، تلك الفتيات اللاتي يعرفن ما الذي يفعلنه.

عندما أحصل على رخصتي، سأقود السيارة حتى منزل سوزانا وآخذه في جولة، لأشكره.

الفصل الثامن عشر

في عمر الرابعة عشرة

بعد أن انتهت تايلور من الاستحمام، بدأت في التنقيب داخل حقيبتها الرياضية، واستلقيتُ على سريري وأنا أراقبها، أخرجت ثلاثة فساتين صيفية مختلفة: فستان أبيض مزركش، وآخر بطابع هاواي، وواحد من الكتان الأسود.

سألتني قائلة: «أي واحد عليَّ أن أرتديه الليلة؟».

سألَت السؤال كما لو كان اختبارًا. لقد سئمتُ من اختباراتها ومن اضطراري إلى إثبات نفسي طوال الوقت.

قلتُ: «إننا سنتناول العشاء فقط يا تايلور. لسنا ذاهبين إلى أي مكان مميز».

هزَّت رأسها لي بالنفي، وارتدَّت المنشفة فوق رأسها ذهابًا وإيابًا.

- إننا ذاهبون إلى الممشى الخشبي الليلة، أتذكرين؟ علينا أن نحظى بمظهر لطيف بما يكفي لذلك. سيكون هناك أولاد. دعيني أختر لكِ ملابسكِ، حسنًا؟

كان من المعتاد أنه عندما تختار تايلور ملابسي، كنتُ أشعر بأنني تلك الفتاة المهووسة بالمذاكرة التي تحولت فجأة إلى فتاة جميلة في حفل التخرج. أما الآن فقد شعرت كما لو أنني أمها الجاهلة التي لا تعرف كيف ترتدي الملابس بشكل صحيح.

لم أحضر أي فساتين معي. في الواقع، لم أحضر معي أي فساتين هنا من قبل. لم أفكر حتى في ذلك. لم يكن لدي سوى فستانين في المنزل، واحد اشترته لي جدتي من أجل عيد الفصح، وآخر اضطررتُ إلى شرائه لحضور حفل تخرج الصف الثامن. لا شيء يبدو مناسبًا عليَّ في الآونة الأخيرة. كانت الأشياء إما منخفضة المنشعب بشكل كبير، وإما ضيقة جدًّا عند الخصر. لم أفكر في الفساتين قط من قبل، ولكن بالنظر إلى فساتينها الموضوعة على السرير بهذا الشكل، شعرتُ بالغيرة.

أخبرتها قائلة: «إنني لن أتأنق خصيصًا من أجل الذهاب إلى الممشى».

فقالت وهي تمشي متجهةً إلى خزانتي: «فقط دعيني أرَ ما لديكِ».

قلتُ وقد أشرتُ إلى سروالي القصير وتي-شيرت شاطئ كازينز الخاص بي: «تايلور، قلتُ لا! هذا هو ما سأرتديه».

رمقتني تايلور بنظرة عابسة، لكنها تراجعت بعيدًا عن خزانة ملابسي وعادت إلى فساتينها الصيفية الثلاثة.

- حسنًا، افعلي ما تريدين أيتها النكدة، والآن أي واحد عليَّ أن أرتديه؟

تنهَّدتُ وأغمضتُ عينيَّ ثم أجبتها قائلة: «الأسود. والآن فلتُسرعي في ارتداء ملابسكِ».

* * *

كان العشاء في تلك الليلة عبارة عن أطباق من المحار الصدفي والهليون. عندما تطبخ أمي، دائمًا ما يكون الطعام نوعًا من المأكولات البحرية مع الليمون وزيت الزيتون والخضراوات. كل مرة، لم تكن سوزانا تطبخ إلا مرة واحدة كل فترة، وبغض النظر عن الليلة الأولى، التي دائمًا ما يكون العشاء فيها هو حساء البويلابيس، لن تعرف أبدًا ما الذي ستحصل عليه بعد ذلك. فهي قد

تقضي فترة الظهيرة بأكملها تتجول في المطبخ، وتعدُّ شيئًا لم أتذوقه مطلقًا من قبل، كالدجاج المغربي بالتين مثلًا. كانت تسحب كتاب الطهي للمبتدئين الخاص بها ذا السلك الحلزوني والصفحات الملطخة بالزبدة والملاحظات بالهوامش، الكتاب التي سخرت منه أمي، وتنفِّذ وصفاته. أو أنها قد تعدُّ البيض المخفوق بالجبن الأمريكي مع الكاتشب والتوست. ومن المفترض أننا نحن الصغار مسؤولون عن إعداد العشاء لليلة واحدة في الأسبوع أيضًا، وعادة ما يعني هذا الهامبرجر أو البيتزا المجمَّدة، ولكن في معظم الليالي، كنا نأكل ما نريده، كل ما تمليه علينا شهيتنا. لقد أحببتُ ذلك حيال المنزل الصيفي. ففي بيتنا، كنا نتناول العشاء كل ليلة عند السادسة والنصف بالضبط، بانتظام كعقارب الساعة. أما هنا، فكان شيئًا أكثر استرخاء فحسب، حتى أمي كذلك.

انحنت تايلور للأمام قليلًا وقالت: «لوريل، ما هو الشيء الأكثر جنونًا الذي فعلته أنتِ وسوزانا عندما كنتما في عمرنا؟».

دائمًا ما كانت تايلور تتحدث إلى الناس كما لو كانت في حفلة مبيت، دائمًا. الكبار، الأولاد، فتاة الكافيتريا، الجميع.

نظرت أمي وسوزانا إلى بعضهما بعضًا وابتسمتا. كانتا تعرفان الإجابة، ولكنهما لم تفصحا. مسحت أمي فمها بمنديل المائدة وقالت: «لقد تسللنا إلى ملعب الجولف في إحدى الليالي وزرعنا أزهار الأقحوان».

كنتُ أعلم أن هذه لم تكن الحقيقة، لكن ستيفن وجيرمايا ضحكا.

قال ستيفن بطريقته المزعجة التي توحي بأنه عالِم بكل شيء: «لقد كنتما مملتين يا رفاق حتى وأنتما مراهقتين».

قالت تايلور وهي تسكب بعضًا من الكاتشب على طبقها: «أعتقد أن هذا لطيف حقًّا».

كانت تايلور تضيف الكاتشب على كل شيء تأكله: البيض، البيتزا، المعكرونة، كل شيء.

قال كونراد الذي لا أعتقد حتى بأنه كان يصغي إلى ما قيل: «أنتما يا رفاق تكذبان، هذا ليس الشيء الأكثر جنونًا على الإطلاق الذي فعلتماه».

رفعت سوزانا يديها، وكأنها تعلن استسلامها، وقالت: «للأمهات أسرار أيضًا. إنني لا أسألكم عن أسراركم الآن أيها الأولاد، أليس كذلك؟».

فقال جيرمايا وقد أشار إليها بشوكته: «بلى، تفعلين. إنكِ تسألين طوال الوقت. لو كان لدي دفتر يوميات، لكنتِ قد قرأته».

احتجت قائلة: «لا، لم أكن لأفعل».

فقالت أمي: «بلى، كنتِ ستفعلين».

حدَّقت سوزانا إلى أمي: «لن أفعل هذا أبدًا. (ثم نظرت إلى كونراد وجيرمايا الجالسين بجانب بعضهما بعضًا) حسنًا، ربما، ولكن مع كونراد فقط. فهو بارع للغاية في إبقاء كل شيء محبوسًا بداخله. لا أعرف دائمًا ما الذي يفكر فيه. ولكن ليس معك أنت يا جيرمايا، يا فتاي الصغير، الذي دائمًا ما يفتح لي قلبه على مصراعيه».

ثم مدَّت يدها ولمست كُمّ الكنزة التي يرتديها.

فطعن محارة بداخل طبقه واحتج قائلًا: «لا، أنا لستُ كذلك، إن لدي أسرارًا».

وعندها قالت تايلور بتلك الطريقة الغَنِجَة المثيرة للاشمئزاز: «أجل، بالطبع لديك يا جيرمي».

ابتسم إليها، مما جعلني أشعر برغبة في أن أموت مختنقة بالهليون الذي كنت آكله.

وهنا قلتُ أنا: «أنا وتايلور ذاهبتين إلى الممشى الخشبي اليوم. هل سيوصِّلنا أحد منكما يا رفاق؟».

وقبل أن تتمكن أمي أو سوزانا من الإجابة، قال جيرمايا: «أووه، الممشى الخشبي. أعتقد أننا علينا الذهاب إلى الممشى الخشبي أيضًا. (ثم التفت إلى كونراد وستيفن وأضاف) أليس كذلك يا رفاق؟».

في العادة كنتُ سأشعر بسعادة غامرة لو أراد أي منهما الذهاب إلى المكان الذي أنا ذاهبة إليه، ولكن ليس هذه المرة. فأنا أعلم أن ذلك ليس من أجلي.

نظرتُ إلى تايلور، التي كانت مشغولة جدًّا بتقطيع محاراتها إلى قطع صغيرة بحجم قضمة واحدة. كانت هي أيضًا تعلم بأن هذا كان من أجلها.

قال ستيفن: «الممشى ممل».

وقال كونراد: «لا رغبة لدي».

فقلتُ: «ومن دعاكما للمجيء أصلًا يا رفاق؟».

رفع ستيفن بؤبؤي عينيه قائلًا: «لا أحد يدعو أي شخص إلى الممشى. المرء يذهب فحسب. إنها دولة حرة».

قالت أمي متأملة: «هل هي دولة حرة؟ أريدك أن تفكر حقًّا في هذه العبارة يا ستيفن. ماذا عن حريتنا المدنية، هل نعتبر أحرارًا بحق إذا...»».

فقالت سوزانا هي تهزُّ رأسها: «لوريل، أرجوكِ. دعينا لا نتحدث في السياسة على مائدة العشاء».

قالت أمي بهدوء: «لا أعرفُ وقتًا أفضل للنقاش السياسي من هذا».

ثم نظرت إليَّ، فحرَّكتُ شفتيَّ من دون صوت قائلةً: *أرجوكِ*، توقفي.

تنهدت. كان من الأفضل إيقافها على الفور قبل أن تستغرق في الأمر.

- حسنًا، حسنًا، لا مزيد من السياسة. أنا ذاهبة إلى متجر لبيع الكتب في وسط المدينة، وسأوصلكم في طريقي يا رفاق.

قلتُ: «شكرًا لكِ يا أمي. سنكون أنا وتايلور فحسب».

تجاهلني جيرمايا والتفت إلى ستيفن وكونراد قائلًا: «بربكما يا رفاق، سيكون الأمر رائعًا».

كانت تايلور تصف كل الأمور بكونها رائعة طوال اليوم.

قال ستيفن: «حسنًا، ولكنني سأذهب إلى صالة ألعاب الآركيد هناك».

- كون؟

نظر جيرمايا إلى كونراد والذي كان يهزُّ رأسه بالرفض.

قالت تايلور وهي تلكزه بشوكتها: «هيا يا كون، تعال معنا».

هزَّ رأسه بالرفض ثانية، فبدا العبوس على وجه تايلور وهي تقول: «حسنًا، سنتأكد من أننا سنحظى بقدر كبير من المرح من دونك».

قال جيرمايا: «لا تقلقي بشأنه. إنه سيحظى بقدر كبير من المرح هنا وهو يقرأ الموسوعة البريطانية».

تجاهل كونراد هذا، ولكن تايلور ضحكت وثنت شعرها خلف أذنيها، وهي اللحظة التي عرفتُ فيها أنها أصبحتْ الآن معجبة بجيرمايا.

ثم قالت سوزانا: «لا تغادروا من دون مال من أجل شراء الآيس كريم».

أستطيع القول بأنها كانت سعيدة لأننا كنا جميعًا ذاهبين للتسكع معًا، ما عدا كونراد، الذي بدا أنه يفضل التسكع بمفرده هذا الصيف. لا شيء يجعل سوزانا أكثر سعادة من التفكير في أنشطة لنؤديها نحن الصغار. أعتقد أنها من الممكن أن تكون مديرة مخيم رائعة حقًّا.

جلسنا في السيارة في انتظار خروج أمي والأولاد، وهمستُ قائلة: «كنتُ أعتقدُ بأنكِ معجبة بكونراد».

فرفعت تايلور بؤبؤي عينيها قائلة: «هراء. إنه ممل. أعتقد أنني سأعجب بجيرمي بدلًا منه».

قلتُ بحدة: «اسمه جيرمايا».

- أعرف ذلك، (ثم نظرت إليَّ بعينين متسعتين) لماذا تتكلمين هكذا، هل يعجبكِ جيرمايا الآن؟

- لا!

نَفَخَت في غير صبر وقالت: «بيلي، عليكِ أن تختاري واحدًا. لا يمكنكِ الحصول على كليهما».

فسارعت بالرد قائلةً: «أعرف ذلك. ولمعلوماتك، أنا لا أريدُ أيًّا منهما. وهما لا ينظران إليَّ بتلك الطريقة على أية حال. إنهما يريانني كما يراني ستيفن. كأخت صغيرة».

شدَّت تايلور ياقة التي-شيرت الذي أرتديه وقالت: «حسنًا، ربما لو كنتِ ترتدين شيئًا ما يبرز نهديكِ ويُظهر ذلك الشق الصغير بينهما سأقول...».

أزحتُ يدها بعيدًا وقلتُ: «أنا لا أُظهر أي «شق»، وأخبرتكِ بأنني لست معجبة بأي منهما. ليس بعد الآن».

فسألت قائلة: «إذًا أنتِ لا تهتمين بأنني سألاحق جيرمي؟».

أستطيع القول إن السبب الوحيد وراء سؤالها هو أن تتمكن من إعفاء نفسها من أي شعور بالذنب مستقبَلًا.

لذلك قلتُ: «إذا أخبرتكِ أنني أهتم، هل ستتوقفين؟».

فكَّرَت ثانية ثم أجابت قائلة: «من المحتمل. إذا كنتِ فعلًا، فعلًا مهتمة. ولكن بعد ذلك سأذهب مباشرة لملاحقة كونراد. إنني هنا لأستمتع بوقتي يا بيلي».

تنهدتُ، على الأقل كانت صادقة. أردتُ أن أقول، لقد اعتقدتُ بأنكِ هنا لتستمعي بوقتكِ معي أنا. ولكنني لم أفعل.

قلتُ لها: «لاحقيه، لا يهمني».

رفعت تايلور حاجبيها لي، حركتها القديمة المعتادة، وقالت: «مرحى! أنا مستعدة للتحدي».

أمسكت بمعصمها وقلتُ: «انتظري. عديني بأن تكوني لطيفة معه».

فربتت كتفي وقالت: «بالطبع سأكون لطيفة. أنا دائمًا لطيفة. إنكِ شخصية قَلِقة يا بيلي، لقد أخبرتكِ، أريدُ فقط أن أستمتع بوقتي وأحظى ببعض المرح».

وفي تلك اللحظة، خرجت أمي والوَلَدان، ولأول مرة لم يكن هناك عراك على المقعد المجاور لمقعد القيادة، تركه جيرمايا لستيفن بكل بساطة. عندما وصلنا إلى الممشى الخشبي، توجه ستيفن مباشرةً إلى ألعاب الآركيد وقضى الليل بطوله هناك، تمشَّى جيرمايا معنا بالأرجاء، حتى إنه ركب لعبة الأحصنة الدوَّارة، على الرغم من علمي بأنه كان يعتبرها لعبة قديمة وسخيفة، لقد تمدد على المزلقة وتظاهر بأخذ قيلولة بينما كنا أنا وتايلور نتأرجح صعودًا وهبوطًا على الأحصنة، كان حصاني أشقر من نوع بالومينو، وحصانها أسود اللون (كان «الجمال الأسود» (Black Beauty) لا يزال كِتَابها المفضل، على الرغم من أنها لا تعترف بذلك أبدًا) ثم جعلته تايلور يفوز من أجلها بدمية

محشوَّة على شكل الطائر «تويتي» في لعبة عملة إرم. إن جيرمايا محترف في تلك اللعبة. كان تويتي ضخمًا للغاية، في نفس طول تايلور تقريبًا، لقد حمله من أجلها.

لم يكن ينبغي لي الذهاب أبدًا. كان بإمكاني التنبؤ بما سيحدث في الليلة بأكملها، وصولًا إلى كيف سأشعر بكوني غير مرئية. قضيت طوال الوقت متمنية أن أكون في المنزل، والاستماع إلى كونراد وهو يعزف على الجيتار عبر جدار غرفة نومي، أو مشاهدة أفلام «وودي آلِن» (Woody Allen) مع سوزانا وأمي. مع أنني لم أكن حتى أحب أفلام وودي آلن. تساءلتُ عما إذا كان سيستمر بقية الأسبوع على هذا النحو. لقد نسيتُ ذلك بشأن تايلور، الطريقة التي تُصبح عليها حينما تريد شيئًا ما، منساقة تمامًا وراء رغبتها، وعنيدة، وعازمة بطريقة لا تعرفُ الكلل. لقد وصلتْ إلى هنا للتو، وها قد نسيتْ أمري بالفعل.

الفصل التاسع عشر

لقد وصلنا إلى هنا للتو، وها قد حان بالفعل وقت رحيل ستيفن. كان هو وأبونا ذاهبين في رحلة لاختيار الجامعة المناسبة، وبدلًا من العودة إلى شاطئ كازينز بعد ذلك، سيعود إلى البيت. من المفترض لكي يبدأ الدراسة من أجل اختبارات «السات» (SATs)[1]، ولكنه على الأرجح سيقضي الوقت في التسكع مع صديقته الجديدة.

ذهبتُ إلى غرفته لمشاهدته وهو يحزم أغراضه. لم يُحضر معه أغراضًا كثيرة، مجرد حقيبة رياضية واحدة. شعرتُ بحزن مفاجئ لرؤيته يغادر من دون ستيفن، سيفقد كل شيء توازنه، لقد كان المحلول المنظِّم، تذكير بأنه في الحياة الواقعية لا شيء يتغير، بأن كل شيء يظل كما هو، لأن... لأن ستيفن لم يتغير قط. كان مجرد أخي الكبير البغيض الذي لا يطاق، لعنة وجودي في هذه الحياة، كان مثل البطانية الصوف القديمة التي تفوح منها رائحة كلب مبلل، إنها نتنة، ومريحة، وجزء من البنية الأساسية التي تكوِّن عالمي. وبوجوده هناك، سيظل كل شيء كما هو، ثلاثة ضد واحد، أولاد ضد بنات.

---

(1) اختبارات السات (SATs): هي اختبارات أساسية للالتحاق بالجامعات الأمريكية.

قلتُ وقد ضممتُ ركبتيَّ إلى صدري: «أتمنى لو أنك لن تغادر».

فذَكَّرَني قائلًا: «سأراكِ في غضون شهر».

فصححتُ له قائلة: «شهر ونصف. سيفوتك عيد ميلادي، تعلم ذلك».

- سأعطيكِ هديتكِ عندما أراكِ في البيت.

- ليسا سيان. (كنتُ أعلم أنني أتصرف كطفلة صغيرة، ولكنني لم أستطع منع نفسي من ذلك) هل سترسل إليَّ بطاقة بريدية على الأقل؟

أغلق ستيفن سحَّاب حقيبته الرياضية وقال: «أشك في أن يكون لديَّ وقت، ولكنني سأرسل إليكِ رسالة نصية».

- هل ستُحْضِر لي كنزة جامعة «برينستون»؟

لم أستطع الانتظار لارتداء كنزة تحمل شعار الجامعة. لقد كانت مثل شارة تقول إنك شخص ناضج وإنك عمليًّا أصبحت في سن الجامعة حتى لو لم تتم السن بالضبط. تمنيتُ لو كان لدي درج كامل ممتلئ بهم.

قال: «لو تذكرتُ».

فقلتُ: «سأذكِّرُك، سأرسل إليك رسالة».

- حسنًا، ستكون هذه هديتك.

- اتفقنا.

رميت نفسي على سريره ورفعتُ قدميَّ على الحائط. كان يكره أن أفعل ذلك. قلتُ: «لربما سأفتقدك، قليلًا».

قال ستيفن: «ستكونين مشغولة للغاية في سيلان لعابك على كونراد ومحاولة لفت نظره، ولن تلاحظي غيابي».

أخرجتُ له لساني.

غادر ستيفن مبكرًا جدًّا في صباح اليوم التالي. كان كونراد وجيرمايا ذاهبين لتوصيله إلى المطار، نزلتُ لأقول وداعًا، ولكنني لم أحاول الذهاب معهم لأنني كنتُ أعرف أنه لا يريدني أن أفعل. لقد أراد بعض الوقت، لهم

فحسب، ولمرة واحدة سأسمح له بالحصول على ذلك من دون عراك. عندما عانقني عناق الوداع، نظر إليَّ نظرته المتعالية المعتادة -بعينين حزينتين ونصف تكشيرة- وقال: «لا تفعلي أي شيء غبي، حسنًا؟».

لقد قالها بطريقة جادة حقًّا، كما لو كان يحاول إخباري بشيء مهم، كما لو كان من المفترض أن أفهم هذا، ولكنني لم أفعل.

قلتُ: «لا تفعل أي شيء غبي أنت أيضًا، يا غطاء البرميل!».

تنهَّدَ وهزَّ رأسه لي كما لو كنتُ طفلة.

حاولتُ ألا أترك ذلك يزعجني. فعلى كل حال، سيغادر، ولن تبقى الأمور على حالها من دونه. على الأقل سأتمكن من التخلص منه من دون الدخول في جدال سخيف.

قلتُ: «أخبر أبي بأنني أرسل السلامات».

لم أعد إلى الفراش على الفور، بقيتُ في الشرفة الأمامية لبعض الوقت شاعرة بالكآبة بعينين دامعتين بعض الشيء، ولكنني لن أعترف بهذا لستيفن أبدًا.

من نواح كثيرة كان هذا الصيف لا يشبه الذي قبله. في الخريف القادم، سيبدأ كونراد في دراسته الجامعية، سيلتحق بجامعة براون، وربما لا يعود إلى هنا في الصيف المقبل. ربما يكون لديه برنامج تدريبي، أو فصل دراسي صيفي، أو ربما سيسافر في جميع أنحاء أوروبا مع كل رفاق سكنه الجدد. وجيرمايا، قد يذهب إلى معسكر كرة القدم الذي كان يتحدث عنه دومًا. هناك الكثير من الأشياء التي قد تحدث بين الآن ولاحقًا. لذا خطر ببالي أنه لا بد لي من تحقيق أقصى استفادة من هذا الصيف، وجعله حقًّا لا يُنسى، تحسبًا لئلا يكون هناك صيف آخر مثله. على كل حال، سأتم السادسة عشرة عما قريب، أنا أيضًا أكبرُ، لا يمكن أن تبقى الأشياء على حالها إلى الأبد.

الفصل العشرون

في عمر الحادية عشرة

كنا نحن الأربعة مستلقين فوق غطاء كبير على الرمال. كونراد، وستيفن، وجيرمايا، ثم أنا على الحافة. دومًا ما يكون هذا هو مكاني، عندما يسمحون لي بالانضمام إليهم، كان هذا هو أحد تلك الأيام النادرة. كان الوقتُ قد جاوز الظهيرة بالفعل، والجو حار لدرجة أنني شعرت كما لو كان شعري مشتعلًا بالنار، وكانوا يلعبون الورق بينما كنتُ أستمعُ إليهم.

قال جيرمايا: «هل تفضِّلون أن تُغلَوا في زيت الزيتون أم أن تُسلَخُوا أحياء بسكين زبدة مُلَطًّى؟».

قال كونراد بثقة: «زيت الزيتون».

فرددتُ قائلة: «زيت الزيتون».

قال ستيفن: «سكين الزبدة. هنالك فرصة أكبر لأتمكَّن من قلب الطاولة على الرجل وسلْخِه».

قال له كونراد: «لم يكن هذا خيارًا متاحًا. إنه سؤال عن الموت وليس عن قلب الطاولة على شخص ما».

قال ستيفن في كدر: «حسنًا إذًا، زيت الزيتون. ماذا عنك يا جيرمايا؟».

قال جيرمايا: «زيت الزيتون، والآن دورك يا كون».

نظر كونراد إلى الشمس وضيَّق عينيه ثم قال: «هل تفضلون أن تعيشوا يومًا مثاليًّا واحدًا مرارًا وتكرارًا أم أن تعيشوا حياتكم من دون أي يوم مثالي، فقط أيامًا عادية فحسب؟».

لم ينطق جيرمايا بحرف واحد لدقيقة. لقد أحب هذه اللعبة، أحب التأمل في الاحتمالات المختلفة.

- في ذلك اليوم المثالي الواحد، هل سأكون على علم بأنني سأعيش هذا اليوم مرارًا وتكرارًا، مثل فيلم «يوم جرذ الأرض» (Groundhog Day)؟».

- لا.

فقرر قائلًا: «إذًا سأختار اليوم المثالي».

وقال ستيفن: «حسنًا إذا كان اليوم المثالي يتضمن... (ولكنه نظر إليَّ بعد ذلك وتوقف عن الحديث، وقد كرهتُ ذلك) سأختار اليوم المثالي أيضًا».

نظر كونراد إليَّ وقال: «بيلي، ماذا تختارين؟».

أخذ عقلي يدور في محاولة لإيجاد الإجابة الصحيحة.

قلتُ: «أمم، فسأختار أن أعيش حياتي بأيام عادية حتى ولو كانت أيامًا متواضعة، فبتلك الطريقة يمكنني أن أظل على أمل مجيء ذلك اليوم المثالي الواحد. لا أرغب في عيش حياة تتكوَّن من يوم واحد يتكرر مرة بعد الأخرى».

جادل جيرمايا قائلًا: «أجل، ولكنكِ لن تعلمي بذلك».

هززتُ كتفيَّ قائلة: «ولكنك لربما تشعر بذلك، في أعماقك».

قال ستيفن: «هذا غباء».

فنظر إليَّ كونراد تلك النظرة، نظرة من ذلك النوع الذي أراهن بأن الجنود ينظرونها إلى بعضهم عندما يتحالفون ضد شخص آخر. بدا الأمر كما لو أننا كنا متحدَين معًا، وقال: «لا أظن أن هذا غباء. أعتقد أنني متفق معها».

أخذتُ أمايل رأسي في حركات راقصة صغيرة لإغاظة ستيفن، لم أستطع منع نفسي من ذلك، وقلتُ: «أترى؟ كونراد متفق معي».

قلَّدَني ستيفن قائلًا: «كونراد متفق معي، كونراد يحبني، كونراد رائع...».

فصحتُ: «اخرس يا ستيفن!».

ابتسم ابتسامة عريضة وقال: «إنه دوري لطرح سؤال يا بيلي، هل تفضلين أكل المايونيز كل يوم، أم أن تبقي مسطَّحة الصدر لبقية حياتك؟».

انقلبتُ على جانبي، وأخذتُ حفنة من الرمل، وألقيتها على ستيفن. لقد كان في خضم الضحك، ودخل الرمل في فمه، والتصق على خدَّيه المبللين. صرخ قائلًا: «ستموتين يا بيلي!».

ثم اندفع نحوي، وفررتُ مبتعدة.

قلتُ بتحدٍّ: «دعني وشأني! لا تستطيع أن تؤذيني وإلا سأخبر أمي».

أمسك بساقيَّ بقوة وانفجر قائلًا: «يا لكِ من مزعجة، سأرمي بكِ في الماء».

حاولتُ الإفلات منه، ولكنني لم أنجح سوى في ركل المزيد من الرمل في وجهه، مما جعل جنونه يُجَن أكثر.

قال كونراد: «اتركها وشأنها يا ستيفن! فلنذهب للسباحة».

وقال جيرمايا: «أجل، هيًّا».

تردد ستيفن قائلًا، وهو يبصقُ الرمل: «حسنًا، لكنكِ أيضًا ستموتين يا بيلي».

أشار إليَّ، ثم فعل حركة تشير إلى الذبح بإصبعه، رفعتُ له إصبعي الوسطى، وانقلبتُ على الجانب الآخر، ولكنني كنتُ أرتعدُ في داخلي. لقد دافع كونراد عني، كان كونراد مهتمًّا ما إذا كنتُ سأموت أم لا.

ظلَّ ستيفن غاضبًا مني طوال اليوم، ولكن الأمر كان يستحق. وهي أيضًا مفارقة عجيبة، إذْ كان ستيفن يضايقني بشأن كوني مسطحة الصدر، وبعد صيفين فقط أصبحتُ مضطرة إلى ارتداء حمَّالة الصدر، أي إنني، أصبحتُ، حقًّا، مضطرة إلى ذلك.

الفصل الحادي والعشرون

في الليلة التي غادر فيها ستيفن، توجهتُ إلى حوض السباحة لأخذ إحدى سَبَحات منتصف الليل خاصتي، وكان كل من كونراد وجيرمايا وهذا الجار الشاب كلاي بيرتوليت جالسين على كراسي التَشَمُّس يحتسون البيرة. كان كلاي يسكن في آخر الشارع، وكان يأتي إلى شاطئ كازينز من المدة نفسها تقريبًا التي كنا نأتي فيها إلى هنا، إنه يكبر كونراد بعام واحد. لم يحبه أحد كثيرًا. كان مجرد شخص يتسكَّعون معه ويقضون بعض الوقت، على ما أعتقد.

وسريعًا، توترتُ، وأمسكتُ بمنشفة الشاطئ بإحكام بالقرب من صدري. تساءلتُ ما إذا كان عليَّ العودة إلى غرفتي، لطالما كان كلاي يصيبني بالتوتر، لم أكن مضطرة إلى السباحة في تلك الليلة، كان من الممكن أن أفعل ذلك في الليلة التالية. لكن لا، كان لدي الحق نفسه في الوجود هناك مثلهم تمامًا. بل وأكثر حتى.

سرتُ نحوهم، متظاهرةً بالثقة، وقلتُ: «مرحبًا يا شباب».

لم أترك منشفتي. كان من المضحك الوقوف هناك بمنشفة وبيكيني بينما كانوا جميعًا يرتدون الملابس.

رفع كلاي رأسه، ونظر إليَّ بعينيه الضيقتين وقال: «مرحبًا يا بيلي. لم أركِ منذ وقت طويل، (ثم ربت كرسي التَشَمُّس) اجلسي».

كنتُ أكره عندما يقول الناس «لم أركِ منذ وقت طويل». إنها طريقة غبية للترحيب. ولكنني جلستُ على أية حال.

مال ناحيتي وعانقني. كانت تفوح منه رائحة البيرة ورائحة عطر «بولو سبورت» (Polo Sport).

سأل قائلًا: «إذًا، كيف حالكِ؟».

وقبل أن أتمكن من الإجابة، قال كونراد: «هي بخير، والآن قد حان وقتُ النوم. تصبحين على خير يا بيلي».

حاولتُ ألا أبدو كفتاة في الخامسة عشرة من عمرها عندما قلتُ: «لن أذهب إلى النوم الآن، سأسبح».

قال جيرمايا وهو يضع علبة البيرة خاصته: «عليكِ العودة لأعلى، ستقتلكِ والدتكِ بسبب الشُرب».

فذكَّرته قائلة: «مرحبًا، أنا لا أشربُ».

عرض عليَّ كلاي زجاجة «كورونا»[1] خاصته. وغمز قائلًا: «ها، خذي».

لقد بدا ثملًا.

ترددتُ، وانفعل كونراد قائلًا في حِدَّة: «لا تعطها ذلك. إنها طفلة، بحق السماء!».

حدَّقتُ إليه وقلتُ: «توقف عن التصرف مثل ستيفن».

لثانية أو اثنتين، فكَّرتُ في أخذ زجاجة كلاي. ستكون المرة الأولى بالنسبة إليَّ. ولكن بعد ذلك كنتُ سأفعل ذلك فقط نكاية في كونراد، لن أسمح له بالتحكم فيما أفعله.

قلتُ له: «لا، شكرًا».

أومأ كونراد برأسه بشكل غير ملحوظ، وقال: «والآن عودي إلى الفراش كفتاة صالحة مطيعة».

---

(1) نوع من الخمور.

شعرتُ بالشعور نفسه الذي ينتابني عندما يُقصيني هو وستيفن وجيرمايا بعيدًا عن الأشياء عن قصد. كان بإمكاني الشعور بوجنتيَّ تحترقان عندما قلتُ: «إنني أصغُركَ بعامين فقط».

فصحح لي تلقائيًّا: «عامان وربع».

ضحك كلاي، واستطعتُ شم أنفاسه المحمَّلة برائحة الخمر.

قال: «سحقًا، إن حبيبتي في الخامسة عشرة من عمرها، (ثم نظر إليَّ) حبيبتي السابقة».

ابتسمتُ، بفتور. في داخلي، كنتُ أتوق إلى الابتعاد عنه وعن أنفاسه. لكن الطريقة التي كان يراقبنا بها كونراد، حسنًا، لقد راقت لي. أحببتُ فكرة إبعاد صديقه عنه، حتى ولو لخمس دقائق فقط.

سألتُ كلاي قائلة: «ألا يُعتبر هذا غير مشروع؟».

ضحك مرة أخرى وقال: «أنتِ لطيفة يا بيلي».

كان بإمكاني الشعور بوجنتيَّ تحمَرَّان خجلًا.

سألتُ كما لو كنتُ لا أعرفُ السبب بالفعل: «إمم، إذن، لماذا انفصلتما؟».

لقد انفصلا لأن كلاي وغد، هذا هو السبب. لطالما كان كلاي وغدًا، لقد كان يحاول إطعام طيور النورس دواء «ألكا سيلتزر» (Alka-Seltzer) الفوَّار لأنه قد سمع بأنه يجعل معدتهم تنفجر.

حكَّ خلفية رقبته وأجاب قائلًا: «لا أعلم، كان عليها الذهاب إلى مخيم الخيول أو شيء من هذا القبيل. وتلك العلاقات ذات المسافات البعيدة ليست إلا هراءً».

فاحتججتُ قائلة: «ولكن ذلك المعسكر سيكون خلال فترة الصيف فقط. إنه لمن الغباء الانفصال عن شخص تحبه بسبب صيف واحد».

لقد اعتنيتُ بإعجابي بكونراد طوال السنوات الدراسية. يمكنني أن أظل لأشهر، لسنوات، أعيش على شعوري بحالة إعجاب. هذا الشعور أشبه بالغذاء، يمكنه أن يُبقيني على قيد الحياة. لو كان كونراد لي، لكان من المستحيل أن أنفصل عنه بسبب صيف، ولا سنة دراسية حتى، أو أي شيء من هذا القبيل.

نظر كلاي إليَّ بجفنيه الثقيلين، وعينيه الناعستين وقال: «هل لديكِ حبيب؟».

قلتُ: «أجل».

ولم أستطع منع نفسي... لقد نظرتُ إلى كونراد وأنا أقولها. كانت نظراتي تقول: *أترى، إنني لم أعد فتاة غبية في الثانية عشرة من عمرها لا تتخطى مرحلة الإعجاب بشخص ما بعد الآن. أنا شخص حقيقي، ولي حبيب حقيقي. ومَن يهتم ما إذا كان ذلك صحيحًا؟*

ومضَت عينا كونراد، ولكن ظَلَّ وجهه كما هو، خاليًا من أي تعبير. أما جيرمايا، فبدا متفاجئًا.

عبس قائلًا: «بيلي، هل لديكِ حبيب؟ إنكِ لم تذكري شيئًا عنه من قبل».

فقلتُ وأنا ألتقطُ خيطًا منحلًّا على وسادة الكرسي: «الأمر ليس بتلك الجدية. (كنتُ أندم بالفعل على اختلاقي لهذا) في الواقع، نحن حقًّا، حقًّا لا نأخذ علاقتنا بشكل جدِّي».

- أترين؟ إذن ما الفائدة من العلاقة في خلال الصيف؟ ماذا لو قابلنا أشخاصًا آخرين؟ (غمز كلاي لي بطريقة مازحة) كما الآن؟
- لقد سبق أن التقينا بالفعل يا كلاي. قبل عشر سنوات أو نحو ذلك.

ولا يعني هذا أنه قد أبدى أي اهتمام بي من قبل.

وخزني بركبته وقال: «سررتُ بلقائكِ، أنا كلاي».

ضحكتُ، رغم أن ما قاله لم يكن مضحكًا. لقد بدا فقط أن هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله.

- مرحبًا، أنا بيلي.

سألني قائلًا: «إذن يا بيلي، هل ستأتين إلى حفلتي المقامة حول المَشعَلَة ليلة غد؟».

قلتُ محاولة ألا أبدو متحمسة جدًّا: «أمم، بالطبع».

كان كونراد وستيفن وجيرمايا يذهبون إلى حفلة مَشعَلَة الشاطئ في الرابع من يوليو[1] كل عام. كان كلاي يقيمها أمام منزله لأنه كان هناك طن من الألعاب النارية في ذلك الطرف من الشاطئ. دائمًا ما تضع والدته كل ما يلزم من مكونات «السمورز»[2] (s'mores). في مرة جعلتُ جيرمايا يعدُّ لي واحدة، وقد فعل. لقد كانت مطَّاطية ومحروقة، ولكنني أكلتها على أية حال، وكنت لا أزال ممتنة لجيرمايا لفعله ذلك، كانت كقطعة صغيرة من الحفلة. إنهم لم يسمحوا لي قط بالذهاب معهم، كنتُ أشاهد عرض الألعاب النارية من شرفتنا الخلفية، مرتدية بيجامتي، مع سوزانا وأمي. وكانوا يشربون الشمبانيا بينما أشرب أنا عصير المارتيليز الفوَّار بنكهة التفاح.

قال كونراد فجأة: «اعتقدتُ أنكِ قد نزلتِ إلى هنا لتسبحي».

قال جيرمايا: «يا إلهي، اتركها وشأنها يا كون. إذا أرادت السباحة، فستسبح».

تبادلنا نظرة، تلك النظرة خاصتنا التي تعني: *لماذا بحق الجحيم يتصرف كونراد كما لو كان أبي؟*

أطفأ كونراد سيجارته في عُلبَة البيرة نصف الفارغة خاصته وقال: «افعلي ما تشائين».

قلتُ وقد وقفتُ وأخرجتُ له لساني: «سأفعل».

رميتُ منشفتي وغطستُ في الماء. بقيتُ تحت الماء لدقيقة، ثم بدأتُ في السباحة على ظهري حتى أتمكن من التنصت على محادثتهم. في صوت منخفض سمعت كلاي يقول: «ربَّاه، لقد بدأ شاطئ كازينز يصبح قديمًا، أريد أن أسرع بالعودة».

قال كونراد: «أجل، وأنا أيضًا».

---

(1) يوم الاستقلال الأمريكي.

(2) السمورز: اسم يطلق على حلوى شعبية تقليدية للاجتماعات حول النيران المشتعلة في الهواء الطلق في كلٍ من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، تتكون من حلوى المارشميلُو المحمصة فوق النار وطبقة من الشوكولاتة بين قطعتين من بسكويت جراهام.

إذن، كان كونراد مستعدًا للمغادرة. على الرغم من أن جزءًا صغيرًا داخلي كان يعلم ذلك بالفعل، فإن سماع ذلك كان لا يزال مؤلمًا. أردتُ أن أقول: *إذن فلتغادر. إذا أردتَ أن لا تكون هنا، إذن لا تكن! فلترحل فحسب*. ولكنني لن أدع كونراد يزعجني، ليس عندما بدأت الأمور أخيرًا في التحسن. أخيرًا قد دُعيت إلى حفلة كلاي بيرتوليت لإشعال النيران في الرابع من يوليو. لقد أصبحتُ واحدة من الفتيات الكبيرات الآن. ها قد طابت الحياة، أو أنها كانت في طريقها إلى أن تكون كذلك، على أية حال.

* * *

قضيتُ اليوم كله في التفكير فيما سأرتديه. بما أنني لم يسبق لي الذهاب إلى هناك قط من قبل، لم يكن لدي أي فكرة عما يجب أن أرتديه. على الأرجح سيكون الجو باردًا، ولكن مَن يريد أن يُلزم نفسه بالملابس الثقيلة بالقرب من النيران؟ ليس في المَرة الأولى لي، لم أكن أيضًا أريد أن ينغِّص كونراد وجيرمايا اليوم عليَّ لو بالغتُ في زينتي ومظهري. حسبتُ أن سروالًا قصيرًا، وتي-شيرت ضيقًا بلا أكمام، وقدمين حافيتين، هو الخيار الآمن للذهاب.

عندما وصلتُ إلى هناك، رأيتُ أنني قد اخترتُ الخيار الخطأ. فقد وجدتُ الفتيات الأخريات يرتدين فساتين صيفية وتنانير قصيرة وصنادل من ماركة «أجز» (Uggs). لو كان لدي صديقات في كازينز لربما كنتُ عرفتُ ذلك.

همست إلى جيرمايا في غضب قائلة: «لم تخبرني بأن الفتيات يتأنقن بهذا الشكل!».

فقال وهو يتجه مباشرة إلى برميل الخمر: «إنكِ تبدين رائعة، لا تكوني غبية».

كان هناك برميل خمر. لم يكن ثمة أي عبوات من بسكويت جراهام أو حلوى المارشميلو في أي مكان أستطيع رؤيته، لم يسبق لي أن رأيتُ برميل خمر في الحياة الواقعية. فقط في الأفلام. بدأت في اللحاق به، ولكن كونراد أمسك بذراعي، وحذرني قائلًا: «لا تشربي الليلة! ستقتلني أمي لو سمحتُ لكِ بأن تشربي».

نزعتُ ذراعي من يده وقلتُ: «أنت لا «تسمح» لي بفعل أي شيء».

- بربكِ، من فضلكِ!

قلتُ وأنا أمشي مبتعدة عنه باتجاه النيران: «سنرى».

لم أكن متأكدة من أنني أرغب في الشرب حتى. على الرغم من أنني قد رأيتُ كلاي يشرب في الليلة السابقة، فإنني كنتُ لا أزال أتوقع «السمورز».

إن الذهاب إلى حفلة النيران أمر رائع من الناحية النظرية، ولكن الوجود هناك في الواقع كان شيئًا آخر. كان جيرمايا يدردش مع فتاة ترتدي القطعة العلوية من بيكيني بالألوان الأحمر والأبيض والأزرق مع تنورة من الجينز، وكان كونراد يتحدث إلى كلاي وبعض الشبان الآخرين الذين لا أعرفهم. اعتقدتُ أنه من بعد مغازلات كلاي لي في الليلة الماضية، ربما على الأقل سيأتي ليقول مرحبًا، ولكنه لم يفعل. كان يضع يده على ظهر فتاة ما، وقفتُ وحدي بجوار النيران وتظاهرتُ بأنني أدفِّئ يديَّ رغم أنهما لم تكونا باردتين، وحينها رأيته. كان يقف وحده أيضًا، يشرب قنينة من الماء. لم يبدُ عليه أنه يعرف أي شخص كذلك، وبما أنه كان يقف بمفرده تمامًا، بدا أنه كان في مثل عمري. ولكن كان ثمة شيء ما حياله بدا آمنًا ومريحًا، وكأنه أصغر مني رغم أنه لم يكن كذلك. استغرق مني الأمر بضع نظرات سريعة لاكتشاف السبب وراء ذلك. وعندما اكتشفته أخيرًا، كان حالي أشبه بـــــ: آها!

إنها رموشه، لقد كانت طويلة جدًّا لدرجة أنها كادت تصل إلى عظام وجنتيه، علمًا بأن عظام وجنتيه مرتفعة، ولكن مع ذلك كانت لا تزال رموشه تعتبر طويلة حقًّا. وكان ثمة بروز طفيف في فكِّه السفلي، وكانت بشرته صافية وناعمة، بلون رقائق جوز الهند المُحمَّصة، ذلك النوع الذي تضعه فوق الآيس كريم. لمستُ خدِّي وشعرتُ بالارتياح لأن الشمس قد جففت البثرة التي قد ظهرت فيه قبل يومين. كانت بشرته مثالية. في عيني، كان كل شيء فيه مثاليًّا جدًّا.

كان طويلًا، أطول من ستيفن وجيرمايا، وربما حتى أطول من كونراد. لقد بدا وكأنه نصف أبيض ونصف ياباني، أو ربما كوري. لقد كان جميلًا جدًّا لدرجة أنني شعرتُ بأنني أريد رسم وجهه، رغم أنني لم أكن أعرف كيف أرسم!

ضبطني وأنا أنظر إليه، فأشحتُ بنظري بعيدًا، ثم عدتُ أنظر إليه مرة أخرى وضبطني من جديد، رفع يده ولوَّح بها، قليلًا فقط.

كان بإمكاني الشعور بوجنتيَّ تتقدان، لم يكن ثمة شيء يمكنني قوله عدا: «مرحبًا».

خطوت نحوه، ومددتُ يدي، وندمت على ذلك فورًا. فمَن الذي لا يزال يتصافح بالأيدي حتى الآن؟

صافح يدي، ولم يقل أي شيء في البداية. لقد حدَّقَ إلى وجهي فحسب، كما لو كان يحاول اكتشاف شيء ما، ثم قال أخيرًا: «تبدين مألوفة».

حاولتُ ألا أبتسم، ألم يكن هذا ما يقوله الأولاد للفتيات عندما يرغبون في التودد إليهن في الحانات؟ تساءلتُ عما إذا كان قد رآني على الشاطئ بالبيكيني الجديد المُنَقَّط. لم أمتلك الجرأة لارتدائه سوى مرة واحدة، لكن ربما كان ذلك ما جعل هذا الشاب يلاحظني.

- لربما قد رأيتني على الشاطئ؟

هزَّ رأسه قائلًا: «لا... ليس هذا».

إذن لم يكن الأمر متعلقًا بالبيكيني، حاولتُ مجددًا: «ربما هناك في سكوبس، متجر الآيس كريم؟».

قال: «لا، ليس هذا أيضًا».

ثم بدا الأمر وكأن ضوءًا صغيرًا قد أنار في رأسه، لأنه ابتسم فجأة وقال: «هل دَرَستِ اللاتينية؟».

ما هذا بحق الجحيم؟

- أمم... أجل.

فسألني قائلًا: «هل سبق لكِ أن ذهبتِ إلى المؤتمر اللاتيني في العاصمة واشنطن؟».

قلتُ: «أجل».

من كان هذا الفتى على أية حال؟

أومأ برأسه في رضا عن الإجابة، وقال: «وكذلك أنا. في الصف الثامن، صحيح؟».

- أجل...

في الصف الثامن كان لدي تقويم أسنان وكنتُ ولا أزال أرتدي النظارة. لقد كرهتُ ذلك، كرهتُ أنه عرفني منذ ذلك الوقت. لماذا لا يعرفني بدءًا من هذا الصيف؟ وأنا أرتدي البيكيني المُنَقَّط الخاص بي؟

- هكذا تعرفتُ عليكِ إذن. لقد كنتُ واقفًا هنا أحاول اكتشاف ذلك. (ابتسم ابتسامة عريضة) أنا كام، لكن اسمي اللاتيني كان سكستوس. أهلًا بكِ.[1]

فجأة ارتفعت الضحكات في صدري مثل فقاعات الصودا.

- أهلًا بكَ[2]. أنا فلافيا. أعني، بيلي. أقصدُ، اسمي إيزابيل، ولكن الجميع ينادونني بيلي.

- لماذا؟

نظر إليَّ وكأنه يتساءل حقًّا عن السبب.

فأوضحتُ له قائلة: «إنه اسم الدلع. يناديني أبي به منذ أن كنتُ صغيرة. لقد رأى أن اسم إيزابيل طويل جدًّا. الجميع ينادونني بهذا الاسم فحسب. إنه غباء».

تجاهل الجزء الأخير وقال: «لماذا ليس إيزي إذن؟ أو بيل؟».

- لا أعرف. ربما يرجع السبب جزئيًّا لأن حلوى «جيلي بيلي» كانت المفضلة لدي، وكنا أنا وأبي نلعب هذه اللعبة، كان يسألني في أي مزاج أنا، وأجيبه بنكهات الجيلي بيلي، مثلًا البرقوق إذا كنتُ في مزاج جيد.

خفت صوتي تدريجيًّا حتى تلاشى. كنتُ أثرثر عندما أشعر بالتوتر، ومن المؤكد أنني كنتُ متوترة. لطالما كرهتُ اسم بيلي، جزئيًّا لأنه لم يكن اسمًا حقيقيًّا حتى. إنه اسم دلع طفولي، ليس اسمًا حقيقيًّا بالمرة. وإيزابيل، على

---

(1) قيلت الكلمة الترحيبية على لسان الشخصية باللغة اللاتينية: “Salve”.

(2) قيلت الكلمة الترحيبية على لسان الشخصية باللغة اللاتينية: “Salve”.

الناحية الأخرى، كان اسمًا لنوع غريب من الفتيات، تلك الفتيات اللواتي ربما ذهبن إلى أماكن كالمغرب وموزمبيق، واللاتي يضعن طلاء أظفار أحمر اللون على مدار العام، ولديهن قُصَّة شعر داكنة. بيلي كان ذلك النوع من الأسماء التي تستحضر في الذهن صورًا لأطفال سمينين أو رجال بفانلات داخلية[1] على أية حال، أكره اسم إيزي، ولكنني آمل بالفعل أن يناديني الناس بيل[2]. إنه أجمل.

فأومأ برأسه قائلًا: «وهذا ما يعنيه أيضًا، جميلة».

قلتُ: «أعرف، أنا في المستوى المتقدم من اللغة الفرنسية».

قال كام شيئًا ما باللغة الفرنسية، بسرعة جدًّا لدرجة أنني لم أستطِع فهمه.

استفهمتُ قائلة: «ماذا؟».

شعرتُ بالغباء. كان من المحرج التحدث باللغة الفرنسية عندما لا نكون داخل الصف الدراسي. الأمر أشبه بتصريف الأفعال، فإن دراستها شيء، ولكن التحدث بها في الواقع، مع شخص فرنسي حقيقي، لهو شيء مختلف تمامًا.

قال: «جدَّتي فرنسية. لهذا فإنني أتحدثها منذ الصغر».

- أوه.

الآن أصبحتُ أشعر بالغباء بسبب التباهي بكوني في المستوى المتقدم من اللغة الفرنسية.

- أتعرفين أن الحرف v من المفترض أن ينطق w.

- ماذا؟

- فلافيا (Flavia)، من المفترض أن يُنطَق فلا-ويا (Fla-wia).

فسارعتُ بالقول: «بالطبع أعرف هذا. لقد حزت المركز الثاني في الخطابة. ولكن فلاويا يبدو غبيًّا».

فقال محاولًا ألا يبدو متعجرفًا: «لقد فزتُ بالمركز الأول».

---

(1) ذكرت هذه الصفات لأن بيلي (belly) كلمة تأتي بمعان مثل: بطن، معدة، كِرش.

(2) بيل: "Belle" اسم علم مؤنث فرنسي الأصل معناه جميلة أو حسناء.

أتتني ذكرى مفاجئة لفتى يرتدي قميصًا أسود اللون وربطة عنق مخططة، أذهل الجميع بإلقائه لخطاب كاتولوس، وأخذ المركز الأول. لقد كان هو.

- لماذا اخترتِه لو كنتِ تعتقدين أنه اسم غبي؟

تنهَّدتُ، ثم قلتُ: «لأن كورنيليا كان مأخوذًا بالفعل. الجميع أرادوا أن يكونوا كورنيليا».

- أجل، الجميع أرادوا أن يكونوا سكستوس أيضًا.

فسألته قائلة: «لماذا؟ (وقد ندمتُ على سؤالي فورًا) أوه. لا عليك».

ضحك كام وقال: «إن حس الدعابة لطفل في الصف الثامن ليس متطورًا للغاية».

ضحكتُ أنا أيضًا، ثم قلتُ: «إذن هل تقيم في منزل هنا بالجوار؟».

قال كام وهو يحكُّ مقدمة رأسه في شيء من الحرج: «نحن نستأجر منزلًا على بعد بنايتين من هنا. نوعًا ما لقد جعلتني أمي آتي إلى هنا».

- أوه.

تمنيت لو أنني أتوقف عن قول «أوه»، ولكنني لم أستطع التفكير في أي شيء آخر.

- وماذا عنكِ؟ لماذا جئتِ إلى هنا يا إيزابيل؟

لقد ذُهلتُ عندما استخدم اسمي الحقيقي. لقد انزلق من لسانه بسلاسة شديدة فحسب، بدا الأمر كما لو أنني في يومي الأول من المدرسة، ولكنه أعجبني.

قلتُ: «لا أعرف. أعتقد أن كلاي قد دعاني».

بدا كل ما خرج من فمي شديد العمومية والإيجاز. لسبب ما أردتُ إثارة إعجاب هذا الفتى، أردته أن يعجب بي، استطعت أن أشعر بأنه كان يحكم علي، يحكم على الأشياء الغبية التي قلتها. أنا أيضًا ذكية، أردتُ أن أخبره بذلك. قلتُ لنفسي إنه لا بأس، لا يهم ما إذا كان يعتقد أنني ذكية أم لا. ولكن بلى، كان يهم.

قال وهو يُنهي زجاجة الماء: «أظنني سأغادر قريبًا. (ثم قال دون أن ينظر إليَّ) هل تحتاجين إلى توصيلة؟».

قلتُ: «لا. (حاولتُ ابتلاع خيبة أملي لأنه سيغادر بهذه السرعة، ثم أشرت على كونراد وجيرمايا وأردفت) لقد جئت مع هذين الشابين الواقفين هناك».

فأومأ برأسه قائلًا: «توقعتُ ذلك، من الطريقة التي ظلَّ أخوك ينظر بها إلى هنا».

لقد كدتُ أختنق.

- أخي؟ مَن؟ هذا؟

أشرتُ على كونراد، ولم يكن ينظر إلينا، كان ينظر إلى فتاة شقراء ترتدي قبعة بيسبول من ماركة «ريد سوكس» (Red Sox) وكانت هي تبادله النظرات أيضًا. لقد كان يضحك، هو الذي لم يكن يضحك في العادة قط.

- أجل.

فقلتُ: «إنه ليس أخي. إنه يحاول التصرف كما لو كان أخي، ولكنه ليس كذلك. إنه يعتقد بأنه الأخ الأكبر للجميع. يعامل الجميع كما لو كان ولي أمرهم... لماذا ستغادر بهذه السرعة على أية حال؟ ستفوتك الألعاب النارية».

تنحنح كما لو أنه محرَجٌ، ثم قال: «أمم، في الواقع سأعود إلى المنزل للمذاكرة».

- اللغة اللاتينية؟

غطيتُ فمي بيدي لأمنع نفسي من الضحك.

فقال وهو يحك الجزء العلوي من رأسه مرة أخرى: «كلا، إنني أدرس الحيتان. أرغب في التدرب على متن قارب لمراقبة الحيتان، ولدي اختبار في الشهر المقبل».

قلتُ: «أوه، هذا رائع».

تمنيت ألا يغادر بهذه السرعة، لم أكن أريده أن يذهب، لقد كان لطيفًا. الوقوف بجانبه، أشعرني بأنني مثل عقلة الإصبع، مثل شيء ضئيل ونفيس. كان طويل القامة لتلك الدرجة، لو غادر، سأكون وحدي تمامًا.

- أتعرف... ربما سأرغب في التوصيلة. انتظر هنا. سأعود على الفور.

سارعتُ إلى كونراد، مشيت بخطوات سريعة وركلتُ الرمال ورائي.

قلتُ بأنفاس منقطعة: «مرحبًا، سأحصل على توصيلة».

رمقتني الفتاة الشقراء ذات قبعة ريد سوكس بنظرة من أعلى لأسفل، ثم قالت: «مرحبًا».

قال كونراد: «مع مَن؟».

أشرتُ إلى كام قائلة: «معه».

فقال بشكل قاطع: «لن تركبي السيارة مع شخص لا تعرفينه».

- أنا أعرفه بالفعل. إنه سكستوس.

ضيَّق عينيه قائلًا: «سكس ماذا؟».

- لا تهتم. اسمه كام، ويدرس الحيتان، وأنت ليس لديك الحق في أن تقرر مع مَن سأركب لأعود إلى المنزل. كنتُ أعلِمك فحسب، من باب المجاملة. لم أطلب منك الإذن.

بدأتُ بالابتعاد، ولكنه أمسك بمرفقي.

قال بهدوء، بيد أن قبضته كانت قوية ومُحكمة: «لا يهمني ما يدرسه. هذا لن يحدث. إذا كنتِ تريدين الذهاب، سآخذكِ للمنزل».

أخذتُ نَفَسًا عميقًا، وكان عليَّ المحافظة على هدوئي. لم أكن لأسمح له بأن يستفزني ويستدرجني لأبدو طفلة صغيرة، ليس أمام كل هؤلاء الناس.

قلتُ في محاولة أخرى للابتعاد: «لا، شكرًا».

ولكنه لم يتركني.

- حسبتُ أن لديكِ حبيبًا بالفعل؟

كانت نبرته ساخرة، وكنتُ أعلم بأنه كان كاشفًا لكذبتي في الليلة الماضية. أردتُ بشدة أن أرمي بحفنة من الرمال في وجهه.

حاولت التخلص من قبضته قائلة: «اتركني! هذا مؤلم!».

تركني على الفور، وقد احمرَّ وجهه. لم يكن مؤلمًا بحق، ولكنني أردتُ إحراجه كما كان يحرجني.

قلتُ بصوت عالٍ: «أفضل ركوب السيارة مع شخص غريب على شخص يحتسي الشراب!».

انفجر قائلًا: «لم أشرب سوى علبة واحدة من البيرة. وأنا أزن مائة وخمسة وسبعين رطلًا. انتظري نصف ساعة وسآخذك إلى المنزل. توقفي عن التصرف كطفلة مشاكسة».

شعرتُ بالدموع وقد أخذت تترقرق في عينيَّ. التفتُّ خلفي لأرى ما إذا كان كام يشاهد هذا، وقد كان.

قلتُ: «إنك وغد أحمق».

فنظر مباشرة في عينيَّ قائلًا: «وأنتِ في الرابعة من العمر».

وبينما كنتُ أسير مبتعدةً، سمعتُ الفتاة تسأله قائلة: «هل هي حبيبتك؟».

فاستدرتُ سريعًا، وردَّ كلانا في اللحظة نفسها: «لا!».

فقالت في حيرة: «حسنًا، هل هي أختك الصغيرة؟».

وكأنني لم أكن واقفة هناك. كان عطرها ثقيلًا. شعرتُ كما لو أنه كان يملأ الهواء من حولنا، وكأننا كنا نتنفسها شخصيًّا.

- كلا، أنا لستُ أخته الصغيرة.

لقد كرهتُ هذه الفتاة لكونها شاهدة على كل هذا. كان الأمر مُهينًا، وكانت هي جميلة، بالطريقة نفسها التي كانت بها تايلور جميلة، تلك الطريقة التي كانت بشكل ما تجعل الأمور تزداد سوءًا.

قال كونراد: «أمها صديقة أمي المقربة».

إذن هذا هو كل ما أعنيه بالنسبة إليه؟ ابنة صديقة أمه المقربة؟ أخذتُ نَفَسًا عميقًا، ومن دون أن أفكر حتى، قلتُ للفتاة: «إنني أعرف كونراد طيلة حياتي، لذا اسمحي لي بأن أكون الشخص الذي يخبركِ بأنكِ تنبحين أمام الشجرة الخطأ. لن يحب كونراد أي شخص بقدر ما يحب نفسه، إذا كنتِ تعرفين ما أعنيه...».

ثم رفعتُ يدي وذبذبتُ أصابعي.

حذَّرَ كونراد قائلًا: «اصمتي يا بيلي».

كان طرفا أذنيه من الأعلى يتحولان إلى اللون الأحمر الفاتح. لقد كانت ضربة تحت الحزام، ولكنني لم أهتم، لقد استحقها.

عبست فتاة قبعة ريد سوكس قائلة: «ما الذي تتحدثُ عنه يا كونراد؟».

فزل لساني وقلتُ لها: «أوه، آسفة، ألا تعرفين ما يعنيه تعبير «تنبحين أمام الشجرة الخطأ»؟».

امتعض وجهها الجميل وهسهست قائلة: «أيتها الوقحة الصغيرة».

شعرتُ بنفسي أنكمش حينها، تمنيت لو أنني أستطيع سحب ما قلته. لم يسبق لي أن تشاجرتُ مع فتاة من قبل، أو مع أي شخص، في واقع الأمر. لحسن الحظ، تدخل كونراد في تلك اللحظة وأشار إلى النيران، وقال في صرامة: «بيلي، عودي إلى هناك وانتظريني لآتي وآخذك».

كان هذا عندما أتى جيرمايا في خطوات متئدة وسأل وهو يبتسم بطريقته الهادئة السخيفة: «مهلًا، مهلًا، ما الذي يجري؟».

قلتُ: «أخوك وغد أحمق. هذا هو ما يجري».

طوَّقني جيرمايا بذراعيه. كانت تفوح منه رائحة البيرة.

- فلتهدآ يا رفاق، أتسمعانني؟

هززتُ كتفيَّ للتحرر من قبضته وقلتُ: «أنا هادئة. فلتقل لأخيك أن يهدأ هو».

سألت الفتاة: «مهلًا، هل أنتما أخ وأخت أيضًا يا رفاق؟».

قال كونراد: «لا تُفكري حتى في المغادرة مع ذلك الشاب».

فقال جيرمايا: «اهدأ يا كونراد. إنها لن تغادر، أليس كذلك يا بيلي؟».

نظر إليَّ، فزممتُ شفتيَّ وأومأت برأسي، ثم رمقت كونراد بأقذر نظرة استطعت أن آتي بها، ورمقتُ الفتاة بواحدة، أيضًا، ولكنني فعلت ذلك فقط عندما كنتُ قد ابتعدتُ بدرجة تجعلها غير قادرة على أن تمد يدها وتجذبني من شعري. عدتُ إلى الوقوف بجوار النيران، محاولة إبقاء كتفيَّ مستقيمتين ومرتفعتين، بينما في داخلي أشعر وكأنني طفلة صرخ عليها أحدهم في حفل عيد ميلادها. لم يكن هذا عدلًا، أن أعامل وكأنني طفلة في حين أنني لستُ كذلك. أراهن أن تلك الفتاة في مثل عمري.

قال كام: «ما سبب كل ذلك؟».

كنتُ أختنق بدموعي عندما قلتُ: «لنذهب فحسب».

تردد، ونظر مرة أخرى إلى كونراد ثم قال: «لا أظنها فكرة جيدة يا فلافيا. لكنني سأبقى معكِ ونتسكع لبعض الوقت. يمكن للحيتان أن تنتظر».

أردتُ أن أُقَبِّله في ذلك الحين، أردتُ أن أنسى أنني قد عرفتُ كونراد في يوم من الأيام وأن أكون هناك فحسب، موجودة بداخل فقاعة تلك اللحظة. أُطلِقَتْ أولى الألعاب النارية من مكانٍ ما فوقنا، بدا صوتها كصوت غلاية شاي تصفر بقوة وفخر، كانت ذهبية اللون، لقد انفجرت إلى ملايين من الرقاط الذهبية، مثل النثار فوق رؤوسنا.

جلسنا بجانب النيران وحدثني عن الحيتان وحدثته عن أشياء غبية، مثل كوني سكرتيرة للنادي الفرنسي، وكيف أن طعامي المفضل كان شطائر اللحم المُسَحَّب، وأخبرني أنه نباتي. لا بد أننا قد جلسنا هناك لساعة كاملة. كنتُ أستطيع الشعور بكونراد وهو يراقبنا طوال الوقت، وكنتُ أرغب بشدة في أن أرفع له إصبعي الوسطى، كنتُ أكره أن ينتصر عليَّ. عندما بدأ الجو يبرد، فركتُ ذراعيَّ، فخلع كام سترته ذات غطاء الرأس وأعطاني إياها، وكان هذا نوعًا ما حلمًا قد تحقق بالنسبة إليَّ... أن أشعر بالبرد في وجود شاب يعطيني سترته بدلًا من التفاخر بمدى ذكائه لإحضاره واحدة والتَشَمُّت بي.

أسفل سترته، كان يرتدي تي-شيرت مكتوبًا عليه «حافة مستقيمة» (Straight edge) مع صورة لشفرة حلاقة، من النوع الذي يحلق به الشبان.

- ما الذي يعنيه ذلك؟

سألته وأنا أغلق سحَّاب سترته. كانت دافئة ورائحتها كرائحة الأولاد، ولكن على نحو جيد.

فأجابني قائلًا: «أنا من أنصار ثقافة الحافة المستقيمة، لا أشرب الخمر ولا أتعاطى المخدرات. لقد كنتُ متشددًا فيما مضى، حيث كنت لا أتناول الأدوية من دون وصفة طبية ولا أشرب الكافيين، ولكنني أقلعتُ عن ذلك».

- لماذا؟

- لماذا كنتُ متشددًا أم لماذا أقلعتُ عن ذلك؟

- الاثنان.

قال: «لستُ مؤمنًا بتلويث أجسادنا بمواد غير طبيعية. وأقلعتُ لأن هذا كان يصيب أمي بالجنون. كما أنني افتقدتُ مشروب «دكتور بِبر» (Dr Pepper) حقًّا».

أنا أيضًا أحب مشروب دكتور بِبر. كنتُ سعيدة لأنني لم أكن أشرب أي نوع من الخمور، لم أكن أريده أن يأخذ عني انطباعًا سيئًا، أردته أن يعتقد بأنني لطيفة وواثقة من نفسي، مثل ذلك النوع من الفتيات اللاتي لا تبالين بما يفكر فيه الناس. ذلك النوع من الأشخاص الذي كان من الواضح أنه ينتمي إليه. أردتُ أن أكون صديقته، وأردتُ أيضًا أن... أُقَبِّله.

غادر كام عندما غادرنا، نهض في اللحظة التي رأى فيها جيرمايا آتيًا ليأخذني قائلًا: «لقد مر وقت طويل يا فلافيا».

بدأتُ في فتح سحَّاب سترته، فقال: «لا بأس، يمكنكِ إعطاؤها لي لاحقًا».

فقلتُ وقد مددتُ يدي ليعطيني هاتفه: «هات، سأعطيك رقمي».

لم أعطِ فتى رقم هاتفي من قبل. بينما كنتُ أسجل رقمي على هاتفه، شعرتُ بأنني حقًا فخورة بنفسي لأنني قد أعطيته إياه.

وحالما بدأنا في الابتعاد، أعاد هاتفه إلى جيبه وقال: «كنتُ سأجد طريقة لأسترجعها من دون رقمك. أنا ذكي، أتذكرين؟ المركز الأول في الخطابة».

حاولتُ ألا أبتسم في أثناء ابتعاده.

فناديتُ قائلة: «إنك لست ذكيًّا لتلك الدرجة».

شعرتُ أن لقاءنا كان مدبرًا بفعل القدر. بدا الأمر وكأنه أكثر الأشياء الرومانسية التي حدثت لي في حياتي على الإطلاق، وقد كان كذلك.

شاهدتُ كونراد وهو يودع فتاة قبعة ريد سوكس. لقد عانقته، وعانقها كذلك، ولكن ليس بقوة. كنتُ سعيدة لأنني قد خرَّبتُ ليلته، حتى ولو بقدر بسيط.

في الطريق إلى السيارة أوقفتني فتاة، كان شعرها الأشقر المائل إلى اللون البُنِّي ملمومًا في ذيلَي حصان على جانبي رأسها، وكانت ترتدي تي-شيرت وردي اللون ذا فتحة عنق منخفضة تصل إلى الصدر. وسألتني ببساطة: «هل أنتِ معجبة بكام؟».

تساءلتُ من أين كانت تعرفه، اعتقدتُ أنه كان نكرة مثلي تمامًا.

قلتُ لها: «بالكاد عرفته».

استرخى وجهها، وبدا عليها الارتياح. لقد عرفتُ تلك النظرة في عينيها، حالمة ومفعمة بالأمل. لا بد أنها كانت الطريقة نفسها التي كنتُ أبدو عليها حينما أتحدث عن كونراد، حينما أفكر في طرق لإقحام اسمه في أي محادثة. جعلني الأمر أحزن عليها، وعلى نفسي.

قالت من دون مقدمات: «لقد رأيتُ الطريقة التي تحدثت بها نيكول معكِ. لا تقلقي بشأنها، إنها شخص مقرف».

وافقتها قائلة: «الفتاة ذات قبعة ريد سوكس؟ أها. أجل إنها نوعًا ما شخص مقرف بالفعل».

ثم لوَّحتُ إليها مودعة عندما وصلتُ أنا وجيرمايا وكونراد إلى السيارة.

تولى كونراد القيادة، لقد كان متيقظًا تمامًا، وقد عرفتُ أنه كان كذلك طيلة الوقت. لقد تفحَّص سترة كام، ولكنه لم يقل أي شيء، لم يتحدث أحدنا إلى الآخر قط، جلستُ أنا وجيرمايا في المقعد الخلفي، لقد حاول جيرمايا المزاح، ولكن أحدنا لم يضحك. لقد كنتُ منشغلة جدًّا بالتفكير، في تذكر كل شيء حدث في تلك الليلة. قلتُ لنفسي في عقل بالي: *قد تكون تلك أفضل ليالي حياتي*.

في كتابي السنوي للعام الماضي، كتب شون كيركباتريك أن لدي «عينين صافيتين للغاية» لدرجة أنه «قادر على رؤية روحي من خلالهما». كان شون مهووسًا بالدراما، ولكن أيًّا كان. فإن ما كتبه لا يزال يمنحني شعورًا جيدًا. لقد ضحكت تايلور عندما أريتها ذلك، قالت إن شون كيركباتريك هو الوحيد الذي لاحظ لون عينيَّ بينما كان بقية الشبان مشغولين جدًّا بالنظر إلى نهديَّ.

ولكن هذه المرة لم يكن كيركباتريك. لقد كان كام، شاب حقيقي قد لاحظني حتى من قبل أن أصبح جميلة.

كنتُ أفرِّشُ أسناني في حمَّام الطابق العلوي عندما دخل جيرمايا وأغلق الباب خلفه.

قال وهو يبحث عن فرشاة أسنانه: «ما الذي يجري بينكِ وبين كون؟ لماذا أنتما غاضبان من بعضكما بعضًا لهذه الدرجة يا رفاق؟».

قفز ليجلس فوق الحوض. كان جيرمايا يكره أن يتشاجر الناس، كان ذلك جزءًا من سبب لعبه الدائم لدور المهرج. لقد أخذ على عاتقه التخفيف من حدة أي موقف. هو أمر لطيف، ولكنه مزعج في الوقت نفسه.

وبفمي الملآن بمعجون الأسنان أجبته قائلة: «أمم، ربما لأنه قزم أحمق معتوه؟».

ضحك كلانا على ذلك. كانت تلك إحدى نكاتنا الخاصة. جملة من فيلم «نادي الإفطار» (The Breakfast Club) التي ظللنا نكررها لبعضنا بعضًا الصيف الذي كنتُ فيه في الثامنة من عمري.

تنحنح ثم قال: «بجدية، على الرغم من ذلك، لا تكوني قاسية عليه. إنه يمر ببعض الأمور حاليًّا».

كان هذا خبرًا جديدًا بالنسبة إليَّ.

سألتُ قائلة: «ماذا؟ أي أمور؟».

تردد جيرمايا ثم قال: «ليس من شأني أن أخبركِ».

- بربك. إننا نخبر بعضنا بكل شيء يا جير. لا توجد أسرار بيننا، أتذكر؟

فابتسم قائلًا: «أذكر. لكن ما زلتُ لا أستطيع إخبارك. هذا ليس بسِرِّي».

زممتُ شفتيَّ وفتحتُ الصنبور قائلة: «إنك دائمًا ما تأخذ صفَّه».

- أنا لا آخذ صفه. أنا فقط أخبركِ بالأمر من جانبه.

- سيَّان.

مَدَّ يده ورفع زاويتي فمي لأعلى، كانت تلك إحدى أقدم حيله -مهما كان الأمر- جعلتني أبتسم فحسب.

- «ممنوع التبويز» يا بيلي، أتذكرين؟

«ممنوع التبويز» كانت قاعدة قد اختلقها كونراد وستيفن في أحد الأصياف. أعتقد أنني كنتُ في الثامنة أو التاسعة من عمري. والأمر كان أن تلك القاعدة لا تسري إلا عليَّ فحسب. حتى إنهما قد وضعا لافتة على باب غرفة نومي. لقد مزقتها بالطبع، وركضتُ لأخبر سوزانا وأمي. في تلك الليلة حصلتُ على بعض الحلوى الإضافية، على ما أذكر. في أي وقت كنتُ أتصرف فيه بأدنى قدر من الحزن أو العبوس، كان يبدأ أحد الأولاد في الصياح قائلًا: «ممنوع التبويز. ممنوع التبويز». حسنًا، ربما كنتُ أزمُّ شفتيَّ كثيرًا، لكنها كانت الطريقة الوحيدة التي أستطيع من خلالها الحصول على ما أريد. فمن بعض النواحي، كان من الصعب أن أكون الفتاة الوحيدة في ذلك الوقت، ومن بعض النواحي لا.

الفصل الثاني والعشرون

في تلك الليلة نمتُ مرتديةً سترة كام. كان الأمر غبيًّا وساذجًا نوعًا ما، ولكنني لم أهتم، وفي اليوم التالي لبستُها بالخارج، على الرغم من أن الجو كان شديد الحرارة. لقد أحببتُ كيف كان الكُمَّان مهترئين، كما لو أنها كانت قطعة مريحة من الملابس قد استخدمت بكثرة، شعرتُ بأنها كانت سترة ولد حقًّا.

إن كام هو أول ولد يعيرني اهتمامًا بهذا الشكل، أن يكون واضحًا بشأن حقيقة أنه أراد بالفعل التسكع معي، وألا يكون، بشكل ما، خجلًا من ذلك.

عندما استيقظتُ، أدركتُ أنني قد أعطيته رقم المنزل، لم أكن أعرف لماذا. كان بإمكاني إعطاؤه رقم هاتفي المحمول بالسهولة نفسها. ظللتُ أنتظر سماع رنين الهاتف، لم يكن الهاتف يرن قط في المنزل الصيفي. كان الشخصان الوحيدان اللذان يتصلان على هاتف المنزل هما إما سوزانا لمحاولة معرفة نوع السمك الذي نريد تناوله على العشاء، وإما أمي لتخبر ستيفن أن يضع المناشف في المجفف، أو أن يشغِّل الشواية.

مكثتُ في الشرفة، أتشمس وأقرأ المجلات وسترة كام متكوِّرة في حضني مثل دمية حيوان محشو. وما دمنا نبقي النوافذ مفتوحة، فقد كنتُ أعرف أنني سأسمع جرس الهاتف ما إن يرن.

دهنتُ نفسي بِواقي الشمس أولًا، ومن ثم بطبقتين من زيت التسمير. لم أكن أعرف ما إذا كان ذلك تناقضًا في حد ذاته أم ماذا، ولكن كنتُ أرى أن الوقاية خير من الأسف على ما قد يحدث.

جهزتُ لنفسي بعضًا من شراب «كولايد» (Kool-Aid) بنكهة الكرز في زجاجة ماء قديمة، مع راديو، ونظارة شمسية، ومجلات. كانت تلك النظارة الشمسية قد اشترتها لي سوزانا منذ أعوام، فإن سوزانا تحب شراء الهدايا. عندما كانت تخرج لقضاء بعض المشاوير، دائمًا ما كانت تعود إلى المنزل ومعها هدايا. أشياء صغيرة، مثل تلك النظارة الشمسية ذات العدستين على شكل قلبين أحمرين والتي قالت بأنني لا بد لي أن أحظى بها. كانت تعرف تمامًا ما سأحبه، أشياء لم تخطر على بالي حتى. وبالتأكيد لم أفكر مطلقًا في شرائها. أشياء مثل غسول الأقدام باللافندر، أو كيس من المناديل المبطنة بالحرير.

كانت سوزانا وأمي قد غادرتا في وقت مبكر في صباح ذلك اليوم في إحدى رحلاتهما لزيارة المعارض الفنية في «دايرزتاون» (Dyerstown)، وكونراد، حمدًا لله، قد غادر للعمل بالفعل. كان جيرمايا لا يزال نائمًا، شعرتُ كما لو أن المنزل بأكمله ملك لي.

تبدو فكرة أخذ حمامات الشمس من أجل الحصول على تلك السُمرة الجذابة ممتعة للغاية من الناحية النظرية. الاستلقاء، والاستمتاع بأشعة الشمس، واحتساء الصودا، والغط في النوم مثل قطة سمينة. ولكن تنفيذها بشكل فعلي يكون نوعًا ما مضجرًا ومملًّا وحارًّا. أفضِّل العوم في المحيط، والتشَمُّس بتلك الطريقة بدلًا من الاستلقاء والتَعَرُّق في الشمس. يقولون إنك تحصل على الاسمرار بشكل أسرع عندما تكون مبتلًّا، على أية حال.

ولكن في ذلك الصباح، لم يكن لدي خيار. أعني، لأن كام قد يتصل في أي وقت، لذا استلقيتُ هناك، أتصبب عرقًا وألتفح مثل قطعة من الدجاج على

الشواية. كان الأمر مملًّا، ولكنه كان ضرورة. بعد العاشرة بالضبط، رنَّ جرس الهاتف فنهضتُ على الفور وركضتُ إلى المطبخ.

قلتُ في لهفة: «مرحبًا؟».

- مرحبًا بيلي، معكِ السيد فيشر.

قلتُ محاولة ألا أُظهر في صوتي خيبة الأمل الكبيرة: «أوه، مرحبًا يا سيد فيشر».

تنحنح قائلًا: «إذن، كيف تسير الأمور هناك؟».

- على نحو جيد جدًّا، ولكن سوزانا ليست في المنزل، لقد ذهبت هي وأمي إلى دايرزتاون لزيارة بعض المعارض.

- فهمتُ، كيف حال الوَلَدين؟

- بخير، (لطالما لم أكن أعرف قط ماذا أقول للسيد فيشر). كونراد في العمل وجيرمايا لا يزال نائمًا. هل تريدني أن أوقظه؟

- لا، لا، لا بأس.

سادت وهلة طويلة من الصمت، فسارعتُ للتفكير في شيء أقوله.

سألتُ قائلة: «هل أنت، أمم، قادم في عطلة نهاية هذا الأسبوع؟».

فقال وقد بدا صوته بعيدًا جدًّا بحق: «لا، ليس هذا الأسبوع. سأعاود الاتصال بكِ لاحقًا. استمتعي بوقتكِ يا بيلي».

أغلقتُ الهاتف. لم يأتِ السيد فيشر إلى كازينز ولو مرة واحدة حتى الآن في هذا الصيف. لقد اعتاد أن يأتي في عطلة نهاية الأسبوع التي تلي عطلة الرابع من يوليو، لأنه كان من الأسهل الابتعاد عن العمل بعد الإجازة. عندما يأتي، كان يشعل نار الشواء طوال عطلة نهاية الأسبوع، وكان يرتدي مئزره المكتوب عليه «الطاهي أفضل مَن يعرف». تساءلتُ ما إذا كانت سوزانا ستحزن لأنه لن يأتي، وإذا ما كان كونراد وجيرمايا سيهتمان.

عدتُ إلى كرسي التمدد الخاص بي، عدتُ إلى الشمس. غرقتُ في النوم على الكرسي، واستيقظتُ على جيرمايا وهو يرش شراب «كولايد» على بطني.

قلتُ متذمرة وأنا أنهض للجلوس: «توقف عن ذلك!».

كنتُ عطشى للغاية من شراب كولايد كثير السكر (دائمًا ما كنتُ أعده بكمية مضاعفة من السكر)، شعرت بالجفاف والتعرق.

ضحك وجلس على كرسي التمدد الخاص بي ثم قال: «أهذا ما تفعلينه طوال اليوم؟».

فقلتُ وأنا أمسحُ بطني ومن ثم أمسح يدي على سرواله القصير: «أجل».

أمر قائلًا: «لا تكوني مملة. تعالي وافعلي شيئًا ما معي. لستُ مضطرًّا إلى الذهاب إلى العمل حتى الليل».

قلتُ له: «أسعى إلى الحصول على تلك السمرة الجذابة».

- لقد اسمررتِ بما فيه الكفاية.

- هل ستتركني أقود السيارة؟

تردد قليلًا ثم قال: «حسنًا، لكن عليكِ الاغتسال أولًا، لا أريدك أن تُبللي مقعدي».

نهضتُ، وربطتُ شعري المتعرِّج الدبق ربطة ذيل حصان مرتفعة، وقلتُ: «سأذهب الآن. فقط انتظر».

انتظرني جيرمايا في السيارة، كان مكيف الهواء يعمل بكل قوته. وكان هو جالسًا في المقعد المجاور لمقعد السائق.

سألتُ وأنا أركب لأجلس في مقعد السائق قائلة: «إلى أين نحن ذاهبان؟ (شعرتُ كما لو أنني محترفة قديمة.) تينيسي؟ نيو ميكسيكو؟ علينا أن نذهب إلى مكان بعيد حتى يتسنَّى لي الحصول على المزيد من الممارسة».

أغمض عينيه وأرجع رأسه للوراء قائلًا: «فقط انعطفي يسارًا عندما تخرجين إلى الطريق».

قلتُ وأنا أطفئ المكيف وأفتح النوافذ الأربعة: «أمرك سيدي».

إن القيادة والنوافذ مفتوحة أفضل بكثير، تُشعِرك بأنك بالفعل ذاهب إلى مكان ما. استمر جيرمايا في إعطائي التعليمات والاتجاهات، حتى توقفنا أمام حلبة سباق «جو-كارت» (Go-kart).

- هل أنت جاد؟

قال وهو يبتسم كالمجنون: «سندعكِ تحصلين على بعض الممارسة لمهارات القيادة».

انتظرنا في طابور من أجل ركوب السيارات، وعندما جاء دورنا، أخبرني الشاب أن أركب السيارة الزرقاء.

قلتُ له: «أيمكنني قيادة الحمراء بدلًا منها؟».

فغمز لي وقال: «أنتِ جميلة للغاية، سأدعكِ تقودين سيارتي».

شعرتُ بنفسي أحمرُّ خجلًا، ولكنني سررتُ. إن ذلك الشاب أكبر مني، وكان بالفعل يُعيرني اهتمامًا. كان الأمر مدهشًا نوعًا ما. لقد رأيته هناك في الصيف الماضي، ولم ينظر إليَّ نظرة واحدة.

ركب جيرمايا في السيارة المجاورة لي، وغمغم قائلًا: «يا له من لزج. هذا الفتى بحاجة إلى عمل حقيقي».

فرددتُ قائلةً: «وكأن كونك منقذ غرق هو عمل حقيقي؟».

تجهَّم جيرمايا وقال: «فقط ابدئي القيادة».

في كل مرة تلف فيها سيارتي الحلبة وتعود إلى المكان نفسه، كان الشاب يلوِّح لي، وفي المرة الثالثة التي فعل فيها ذلك، لوَّحتُ له أنا الأخرى.

لففنا الحلبة عدة مرات، حتى حان موعد ذهاب جيرمايا إلى العمل.

قال جيرمايا وهو يحك رقبته: «أعتقد أنكِ حظيتِ بما يكفي من القيادة اليوم. سأتولى أنا القيادة في طريقنا إلى المنزل».

لم أجادله. قاد إلى المنزل بسرعة، وأنزلني عند حافة الرصيف، ومن ثم توجه إلى العمل، عدتُ إلى المنزل وأنا أشعر بالتعب الشديد، وأن بشرتي قد لفحتها الشمس، ولكن فوق كل ذلك، شعرتُ بالرضا.

قالت أمي: «شخص ما يدعى كام اتصل بكِ».

كانت تجلس إلى طاولة المطبخ، تقرأ الجريدة مرتدية نظارة القراءة ذات الإطار السميك خاصتها. لم ترفع رأسها، ولم تنظر إليَّ.

سألتُ وقد غطيتُ ابتسامتي بظهر يدي: «فعلًا؟ حسنًا، هل ترك رقمًا؟».

قالت: «لا، قال إنه سيعاود الاتصال لاحقًا».

فقلتُ: «لماذا لم تطلبيه منه؟».

لقد كرهتُ تلك النبرة الأنَّانة في صوتي، ولكن عندما يتعلق الأمر بأمي، يبدو الأمر كما لو أنني لا أستطيع منع نفسي.

وحينها نظرت إليَّ، في حيرة، وقالت: «لا أعرف. لم يعرض الأمر. من هو على أية حال؟».

قلتُ لها وأنا أتجه إلى الثلاجة لتناول بعضٍ من عصير الليمون: «انسي الأمر».

قالت أمي وهي تعود للنظر في جريدتها: «كما تشائين».

لم تُصِر على فتح الموضوع ومناقشته. لم تفعل ذلك على الإطلاق. كان بإمكانها على الأقل الحصول على رقمه. لو كانت سوزانا هنا بدلًا منها، لكانت ستحوم حول الأمر، ستظل تسخر وتتحايل وتتطفل حتى أخبرها بكل شيء. وهو ما كنتُ سأفعله، بكل سرور.

قلتُ: «لقد اتصل السيد فيشر هذا الصباح».

رفعت أمي عينيها مجددًا قائلة: «ماذا قال؟».

- ليس الكثير، فقط إنه لن يستطيع المجيء في عطلة نهاية هذا الأسبوع.

زَمَّت شفتيها، لكنها لم تقل أي شيء.

سألت: «أين سوزانا؟ هل هي في غرفتها؟».

- أجل، ولكنها لا تشعر بأنها بخير. إنها تأخذ قيلولة. بعبارة أخرى، لا تصعدي وتزعجيها.

- ماذا أصابها؟

قالت أمي وكأنها قد بُرمِجت على هذه الإجابة: «لقد أصيبت بنزلة برد صيفية».

إن أمي فاشلة في الكذب. كانت سوزانا تقضي الكثير من الوقت في غرفتها، وثمة أحزان لم تكن موجودة من قبل. أعرفُ بأن هنالك خطبًا ما، ولكنني فقط لم أكن متأكدةً بشأن ماهيَّته.

الفصل الثالث والعشرون

اتصل كام مجددًا في الليلة التالية، والليلة التي تليها. تحدثنا في الهاتف مرتين قبل أن نلتقي مجددًا مدةَ خمس ساعات في المرة الواحدة. عندما تحدثنا، كنتُ أجلس على أحد كراسي التَشَمُّس في شرفة المنزل الأمامية وأحدِّق إلى القمر وأصابع قدميَّ تشير نحو السماء. ضحكتُ بشدة عندما صرخ عليَّ جيرمايا من نافذته لكي أخفض صوتي. تحدثنا حول كل شيء، وقد أحببتُ ذلك، ولكنني طوال الوقت كنتُ أتساءل متى سيطلب رؤيتي مرة أخرى، لم يفعل.

لذا كان عليَّ أن أتولى زمام الأمور بنفسي. دعوت كام للمجيء للعب ألعاب الفيديو وربما السباحة. شعرتُ كما لو أنني امرأة متحررة تتصل به وتدعوه، كما لو أنه شـيء معتـادة فعله طوال الوقت. بينما في الحقيقة، لقد فعلتُ ذلك فقط لأنني أعرف بأنه لن يكون أحد في المنزل. لم أكن أريد أن يراه جيرمايا أو كونراد أو أمي أو حتى سوزانا حتى الآن. في الوقتُ الحالي، هو لي فحسب.

قلتُ عبر الهاتف: «أنا سبَّاحة ماهرة حقًّا، لذا لا تغضب عندما نتسابق وأهزمك».

فضحك وقال: «بالأسلوب الحر؟».

- بأي أسلوب كان.

- لماذا تحبين الفوز لهذه الدرجة؟

لم يكن لدي إجابة على ذلك، باستثناء القول بأن الفوز كان ممتعًا، وعلى أية حال، مَن لا يحب الفوز؟ إن العيش مع ستيفن وقضاء الصيف مع جيرمايا وكونراد يجعل الفوز مهمًّا دائمًا، بل ومضاعف الأهمية لأنني فتاة ولم يكن من المتوقع أن أفوز بأي شيء. يصبح الانتصار أحلى آلاف المرات عندما تكون أنت المستضعف.

أتى كام، ورأيته من نافذة غرفة نومي وهو يصل بسيارته، كانت سيارته زرقاء داكنة وقديمة ومتهالكة مثل سترته التي كنتُ بالفعل أخطط للاحتفاظ بها. بدت وكأنها بالضبط نوع السيارة التي قد يقودها. قَرَعَ جرس الباب، ونزلت لأفتح له.

قلتُ: «مرحبًا».

كنتُ أرتدي سترته.

قال مبتسمًا لي: «أنتِ ترتدين سترتي».

لقد كان أطول حتى مما كنتُ أتذكره.

قلتُ وأنا أسمح له بالدخول وأغلق الباب خلفي: «أتعلم، كنتُ أفكر في أنني أريد الاحتفاظ بها. ولكني لا أتوقع الحصول عليها مجانًا. سأسابقك من أجلها».

فقال وقد رفع لي حاجبًا: «ولكن إذا تسابقنا، لا تغضبي إن هزمتكِ. تلك سترتي المفضلة، وإذا فزتُ، سآخذها».

قلتُ له: «لا مشكلة».

خرجنا إلى المسبح من خلال الباب الخلفي، ونزولًا على درجات الرواق الخلفي. خلعتُ سروالي القصير والتي-شيرت وسترته ورميتهم بسرعة، دون تفكير حتى، كنا أنا وجيرمايا نتسابق طوال الوقت في المسبح. لم يخطر ببالي أن أشعر بالحرج من أن أكون بلباس البيكيني أمام كام. ففي النهاية، لقد كنا نقضي الصيف بأكمله بملابس السباحة في ذلك المنزل.

بيد أنه قد أشاح بنظره سريعًا عندما فعلتُ ذلك، ومن ثم خلع التي-شيرت الذي كان يرتديه.

قال وهو واقف على الحافة: «مستعدة؟».

تقدمتُ لأقف بجانبه، ثم سألته وأنا أغمس إصبعي في الماء: «لفة واحدة كاملة؟».

قال: «بالتأكيد، أتريدين انطلاقة مبكرة؟».

فضحكتُ وقلتُ: «أتريد أنت انطلاقة مبكرة؟».

قال وقد ابتسم ابتسامة عريضة: «(Touché)[1]».

لم يسبق لي أن سمعتُ فتى يقول «touché» من قبل. أو أي شخص آخر حتى، ربما أمي فقط. ولكنها بدت لطيفة حين قالها، كانت مختلفة.

فزتُ بالسباق الأول بسهولة، واتهمته قائلةً: «لقد تركتني أفوز».

قال: «كلا، لم أفعل».

ولكنني كنتُ أعرف بأن تلك لم تكن الحقيقة. في كل مواسم الصيف، وجميع السباقات، لم يسمح لي أي ولد، لا كونراد ولا جيرمايا وبالتأكيد ولا ستيفن، بالفوز مطلقًا.

حذرته قائلة: «من الأفضل أن تبذل كل قوتك هذه المرة، وإلا سأحتفظُ بسترتك».

قال كام وهو يرفع شعره عن عينيه: «من الأفضل أن نجعل الفائز هو من يربح جولتين من ثلاثة».

لقد فاز في الجولة التالية، وفزتُ في الأخيرة. لم أكن مقتنعة تمامًا بأنه لم يدعني أفوز فحسب، ففي النهاية، لقد كان طويلًا، تجديفة واحدة منه تساوي اثنتين من تجديفاتي. ولكنني أردتُ الاحتفاظ بالسترة، لذلك لم أعترض على الفوز، ففي نهاية المطاف، يبقى الفوز هو الفوز.

---

(1) تُنطَق «توشيه» وهي كلمة فرنسية تعني «أقر بذلك» أو «أفحمتني» أو «ضربة سديدة».

عندما اضطر إلى المغادرة أوصلته إلى سيارته. لم يدخل إليها على الفور، كانت ثمة تلك اللحظة الطويلة من الصمت، أول لحظة صمت طويلة بيننا، لو استطعتم تصديق ذلك.

تنحنح كام وقال: «إذن، ثمة شاب أعرفه يُدْعَى كينزي، سيقيم حفلًا ليلة غد. لربما ترغبين في المجيء؟».

فقلتُ على الفور: «أجل، أرغب».

لقد ارتكبتُ خطأً بذِكري لذلك على الإفطار في صباح اليوم التالي، كانت أمي وسوزانا تتسوقان من البقالة، لم يكن هناك سواي أنا والأولاد فقط، كما كان الحال في معظم الأوقات في هذا الصيف.

قلتُ، جزئيًّا لأنني أردتُ فقط قول ذلك بصوت عالٍ وجزئيًّا من أجل التفاخر: «أنا ذاهبة إلى حفل الليلة».

رفع كونراد حاجبيه قائلًا: «أنتِ؟».

سأل جيرمايا قائلًا: «حفل مَن؟ حفل كينزي؟».

وضعتُ عصيري على الطاولة.

- كيف عرفت؟

ضحك جيرمايا ولوَّح بإصبعه في وجهي قائلًا: «أنا أعرف الجميع في كازينز يا بيلي؛ أنا منقذ غرقى. هذا أشبه بكونك رئيس البلدية. إن جريج كينزي يعمل في متجر مستلزمات ركوب الأمواج الذي بجوار المركز التجاري».

قال كونراد عابسًا: «أليس جريج كينزي هذا من يبيع مخدر «الكريستال ميث» في صندوق سيارته؟».

فقلتُ مدافعة: «ماذا؟ كلا، لن يكون كام صديقًا لشخص كهذا».

سألني جيرمايا: «ومَن هو كام؟».

- ذلك الشاب الذي التقيته في حفل مشعلة الشاطئ الذي أقامه كلاي. لقد طلب مني الذهاب إلى هذا الحفل معه، ووافقتُ.

قال كونراد: «آسف. لن تذهبي إلى حفل يقيمه شاب مدمن «ميث»».

كانت هذه هي المرة الثانية التي يحاول فيها كونراد إخباري بما يجب عليَّ فعله، وقد سئمتُ من ذلك. مَن كان يظن نفسه؟ كان عليَّ الذهاب إلى هذا الحفل. لم أكن أهتم ما إذا كان هناك كريستال ميث أم لا، سأذهب.

- أقول لكما إن كام لن يصادق شخصًا كهذا! إنه من متبعي ثقافة الحافة المستقيمة.

انفجرت ضحكة مفاجئة من كلٍّ من كونراد وجيرمايا، ففي لحظات مثل تلك، كانا يتحولان إلى فريق.

قال جيرمايا محاولًا ألا يبتسم: «من متبعي ثقافة الحافة المستقيمة؟ جميل».

وافق كونراد قائلًا: «أجل رائع جدًّا».

حدَّقتُ إلى كليهما في غضب. أولًا، لم يرغبا في أن أتسكع مع مدمني الميث، ومن ثم يتصرفان كما لو كان اتباع ثقافة الحافة المستقيمة ليس بالشيء الرائع أيضًا.

- إنه لا يتعاطى المخدرات، حسنًا؟ وهذا هو السبب الذي يجعلني أشك بشدة في كونه صديقًا لتاجر مخدرات.

حكَّ جيرمايا خده وقال: «أتعلمين ماذا، على الأرجح أن جريج روزنبرج هو مَن يتاجر بالمخدرات. أما جريج كينزي فهو شخص لطيف جدًّا. لديه طاولة بلياردو. أعتقد أنني سأذهب لتفقد هذا الحفل أيضًا».

فقلتُ وقد بدأتُ أشعر بالذعر: «مهلًا، ماذا؟».

قال كونراد: «أعتقد أنني سأذهبُ أيضًا. إنني أحبُ البلياردو».

وقفتُ وقلتُ لهما: «أنتما يا رفاق لن تأتيا، لستما مدعوَّين».

أسند كونراد ظهره للخلف في كرسيه ووضع ذراعيه خلف رأسه وقال: «لا تقلقي يا بيلي، لن نضايقك أو نخرب عليكِ موعدكِ الغرامي الكبير هذا».

- إلا إذا وضع يده عليكِ. (ضرب جيرمايا بقبضته في راحة يده مهددًا، وضيّق عينيه الزرقاوين). حينها سيُقضى عليه.

تأوَّهتُ قائلة: «هذا لن يحدث. أتوسل إليكما يا رفاق، لا تأتيا. أرجوكما لا تأتيا».

تجاهلني جيرمايا وقال: «كون، ماذا سنرتدي؟».

- لم أفكر في الأمر. ربما سروالي القصير الكاكي اللون؟ ماذا سترتدي أنتَ؟

قلتُ: «أكرهكما يا رفاق».

كانت الأمور غريبة بيني وبين كونراد، وبيني وبين جيرمايا أيضًا، تسللت فكرة مستحيلة إلى رأسي. هل من الممكن أنهما لا يريدانني أن أكون برفقة كام؟ لأنهما، مثلًا، يُكِنَّان مشاعر تجاهي؟ هل من الممكن أن يكون الأمر كذلك؟ شككتُ في الأمر. لقد كنتُ بمنزلة أختهما الصغيرة، ما عدا أنني لم أكن كذلك.

عندما انتهيتُ من الاستعداد وأوشك موعد الذهاب. توقَّفْتُ عند غرفة سوزانا لأقول وداعًا. كانت هي وأمي تفرزان الصور القديمة، وجدتُ سوزانا مستعدةً للنوم بالفعل، رغم أن الوقت لا يزال مبكرًا جدًّا. كانت متكئة على عدة وسائد من حولها، وترتدي أحد أروابها الحريرية التي كان السيد فيشر قد اشتراها لها في أثناء رحلة عمل في هونج كونج. كان كريمي اللون وتزينه نقشة أزهار الخشخاش. عندما أتزوج، سأرغبُ في الحصول على واحد مثله تمامًا.

قالت أمي وهي تعبث داخل صندوق قبعات مُقَلَّم قديم: «تعالي وساعدينا في تجميع هذا الألبوم».

- لوريل، ألا ترين كيف أنها بكامل أناقتها؟ إن لديها أشياء أفضل لفعلها أكثر من التفرج على الصور القديمة المتربة. (غمزت سوزانا لي) بيلي، تبدين نضرة كزهرة أقحوان ربيعية. أحب رؤيتكِ في اللون الأبيض مع سمرة بشرتك الجذابة تلك. إنه يبرزكِ كما لو كان إطارًا لصورة.

قلتُ: «أشكركِ يا سوزانا».

لم أكن بكامل أناقتي، لكنني لم أكن أرتدي سروالًا قصيرًا كما في ليلة مشعلة الشاطئ. كنتُ أرتدي فستانًا صيفيًّا أبيض وخُفَّين، وكنتُ قد ضفَّرتُ شعري في ضفيرتين بينما كان لا يزال رطبًا. كنتُ أعلم أنني ربما سأفكهما

في غضون نحو نصف ساعة لأنهما كانتا مشدودتين للغاية، ولكنني لم أهتم. كانتا لطيفتي الشكل.

سألتني أمي قائلة: «تبدين فاتنة. إلى أين أنتِ ذاهبة؟».

قلتُ: «إلى حفل».

فعبست أمي وقالت: «وهل كونراد وجيرمايا ذاهبين إلى الحفلة أيضًا؟».

قلتُ وقد رفعتُ بؤبؤي عينيَّ لأعلى في ضجر: «إنهما ليسا حرسي الشخصي».

فلوَّحت لي سوزانا وقالت: «استمتعي بوقتِك يا بيلي!».

قلتُ: «سأفعل».

وأغلقتُ الباب قبل أن تسألني أمي أي أسئلة أخرى. أَمَلْتُ أن يكون كونراد وجيرمايا يمزحان فحسب، وأنهما لن يحاولا القدوم بحق. لكن عندما نزلتُ الدَرَج في طريقي للذهاب إلى سيارة كام، نادى جيرمايا قائلًا: «بيلي، مهلًا...».

كان هو وكونراد يشاهدان التلفاز في غرفة العائلة.

أبرزتُ رأسي من مدخل الباب وقلتُ في انفعال: «ماذا؟ أنا في عجلة من أمري».

أدار جيرمايا رأسه نحوي وغمزَ ببطء قائلًا: «أراكِ قريبًا».

أما كونراد فنظر إليَّ وقال: «ما هذا العطر الذي تضعينه؟ إنه يصيبني بالصداع. ولماذا تضعين كل هذا الماكياج؟».

لم أضع الكثير من الماكياج. كنتُ أضع بعضًا من حمرة الخدود والماسكارا والقليل من ملمع الشفاه، هذا كل ما في الأمر. لقد كان معتادًا فحسب رؤيتي دون أيٍّ من ذلك. وقد رششتُ العطر على رقبتي ومعصميَّ، فقط. من المؤكد أن كونراد لم يكن منزعجًا من عطر فتاة قبعة ريد سوكس. لقد أحب عطرها.

ومع ذلك، ألقيتُ نظرة أخيرة على نفسي في مرآة الردهة، وزوَّدتُ القليل من حمرة الخدود، وقليلًا من العطر كذلك.

أغلقتُ الباب بقوة وركضتُ إلى الخارج، حيث كام يتوقف بسيارته. لقد كنتُ أراقبُ الطريق من نافذة غرفة نومي لأعرف اللحظة التي سيصل فيها بالضبط، حتى لا يضطر إلى الدخول للمنزل ومقابلة أمي.

قفزتُ في سيارة كام. وقلتُ: «مرحبًا».

قال لي: «مرحبًا، كنتُ سأقرع جرس الباب».

فقلتُ وقد شعرتُ بخجل شديد مفاجئ: «ثق بي، الأمر أفضل هكذا».

كيف من الممكن أن تتحدث مع شخص ما على الهاتف لساعات وساعات، بل وأن تسبح مع هذا الشخص أيضًا، ثم تشعر وكأنك لا تعرفه؟

أخبرني كام وهو يحيد بسيارته عن الرصيف: «حسنًا، هذا الشاب الذي يدعى كينزي، إنه غريب الأطوار نوعًا ما، ولكنه شخص جيد».

لقد كان سائقًا ماهرًا، وحذرًا.

سألته بشكل عَرَضي: «هل ثمة أي احتمال لكونه يبيع مخدر الكريستال ميث؟».

فقال لي مبتسمًا: «على حد علمي، لا».

على خده الأيمن تستريح غمازة لم ألحظها في الليلة الماضية، كانت لطيفة.

استرخيتُ، الآن بعد أن خرج أمر الكريستال ميث من الصورة، لم يعد ثمة سوى شيء واحد آخر. لففتُ السوار ذي الدلَّايات الكثيرة على معصمي مرارًا وتكرارًا، وقلتُ: «إذن، هل تعرف هذين الفتيين اللذين كنتُ معهما في حفلة مشعلة الشاطئ؟ جيرمايا وكونراد؟».

- أخواكِ المزَيَّفَان؟

قلتُ: «أجل، أعتقد أنهما قد يأتيان إلى الحفل أيضًا. إنهما يعرفان، أمم، كينزي».

فقال: «أوه، حقًّا؟ رائع. لربما يريان أنني لست مخيفًا أو منحرفًا أو أي شيء من هذا القبيل».

قلتُ له: «إنهما لا يعتقدان بأنك مخيف. حسنًا، إنهما يعتقدان ذلك نوعًا ما، ولكنهما يعتقدان أن أي فتى أتحدث إليه هو شخص مخيف، فلا تأخذ الأمر على محملٍ شخصيٍّ».

قال: «لا بد أنهما يهتمان لأمركِ كثيرًا حقًّا حتى يأخذا أمر حمايتكِ من أي شخص على عاتقهما بهذا الشكل».

هل كانا كذلك حقًّا؟

- أمم، ليس في الحقيقة. حسنًا، ربما يكون جيرمايا كذلك، ولكن كونراد يفعل الأمر كما لو كان واجبًا. أو أنه فقط قد اعتاد فعل ذلك على أية حال. كان يجب أن يكون واحدًا من هؤلاء الساموراي. (ألقيت نظرة خاطفة عليه) أنا آسفة. هل كلامي ممل؟

قال كام: «لا، واصلي الحديث، كيف تعرفين بشأن الساموراي؟».

قلتُ وقد ثنيتُ ساقيَّ وجلستُ عليهما: «من حصص الأستاذة باسكرفيل للدراسات العالمية في الصف التاسع. لقد درسنا وحدة كاملة عن اليابان والبوشيدو[1]. لقد كنتُ شبه مهووسة بفكرة السيبوكو[2]».

قال: «إن والدي نصف ياباني، جدتي تعيش هناك، لذلك نسافر لزيارتها مرة في السنة».

- واو. (لم يسبق لي أن زرتُ اليابان من قبل، أو أي مكان آخر في آسيا. حتى رحلات أمي لم تأخذها إلى هناك بعد أيضًا، رغم أنني علمتُ بأنها ترغب في ذلك). هل تتحدثُ اليابانية؟

قال وهو يحكُّ قمة رأسه: «قليلًا. أتدبر أمري بشكل جيد».

صَفَّرتُ. كانت صافرتي شيئًا أفخر به. أخي، ستيفن، قد علَّمني إياها.

- تتحدث الإنجليزية والفرنسية واليابانية؟ هذا رائع حقًّا. (ثم أردفتُ بنبرة مازحة) أنتَ عبقري إذن، هاه؟

(1) البوشيدو: هي مجموعة من القوانين الأخلاقية التي كان يتبعها المحاربون في اليابان (الساموراي) في العصور الوسطى.

(2) السيبوكو: شكل من أشكال الانتحار كان يلجأ إليه الساموراي لتفادي الوقوع في أيدي العدو أو لمسح عار الهزيمة.

فذكَّرَني مبتسمًا: «أتحدثُ اللاتينية أيضًا».

قلتُ، فقط لأكون معارِضة: «لا أحد يتحدث اللاتينية، إنها لغة ميتة».

- اللاتينية ليست ميتة. إنها في كل اللغات الغربية.

لقد بدا فجأة أشبه بأستاذي للغة اللاتينية في الصف السابع، السيد كوني.

* * *

عندما وصلنا إلى منزل ذلك الشاب كينزي، شعرت أنني نوعًا ما لا أرغب في الخروج من السيارة. لقد أحببتُ شعور أن أتحدث بينما أحظى بشخص ما ينصتُ حقًّا إلى ما أريدُ قوله. كان الأمر أشبه بالانتشاء أو شيء من هذا القبيل. بطريقة غريبة ما، شعرتُ بالقوة.

رَكَنَّا السيارة في الطريق ذي النهاية المغلقة، حيث توجد الكثيرُ من السيارات، بعضها فوق العشب، مشى كام بسرعة، كانت ساقاه طويلتين جدًّا لدرجة أني اضطررتُ إلى الإسراع من أجل مواكبته.

سألته قائلة: «إذن كيف تعرفت على هذا الشاب؟».

- إنه موَرِّدي. (ضحك لما رأى التعبير الذي ظهر على وجهي) أنتِ ساذجة حقًّا يا فلافيا. والداه لديهما قارب. لقد قابلته عند المرسى، إنه فتى لطيف.

دخلنا مباشرة من دون طرق. كانت الموسيقى عالية جدًّا لدرجة أنني سمعتها من الشارع، إنها موسيقى الكاريوكي، كانت ثمة فتاة تغني أغنية «كالعذراء» (Like a Virgin) بكل ما أوتيت رئتاها من قوة وتتمرَّغُ على الأرض، وكان ميكروفونها يتشابك في بنطالها الجينز. رأيتُ عشرة أشخاص أو نحو ذلك في غرفة المعيشة، يشربون البيرة ويتناقلون كتاب أغانٍ فيما بينهم.

حثَّ أحدهم الفتاة على الأرض قائلًا: «غنِّي أغنية نعيش على الدعاء» (Livin' on a Prayer) بعد ذلك.

كان ثمة شابَّان لا أعرفهما يتفحصانني بنظراتهما؛ كنت أستطيع الشعور بوقع أعينهما عليَّ، وتساءلتُ في نفسي عما إذا كنتُ حقًّا قد وضعتُ الكثير

من المكياج. لقد كان شيئًا جديدًا عليَّ أن تلتفت أنظار الشُبَّان إليَّ، ناهيكم بطلب مواعدتي. شعرتُ بمزيج متساوٍ بين الروعة والخوف. وقعت عيناي على الفتاة التي تحدثتُ معها يوم مشعلة الشاطئ، تلك التي كانت معجبة بكام. نظرت إلينا، ثم أشاحت بنظرها بعيدًا، ولكنها ظلَّت تسترق النظرات بين الحين والآخر. شعرتُ بالأسف تجاهها؛ كنتُ أعرف ذلك الشعور.

رأيت أيضًا جارتنا جيل، التي تقضي عطلات نهاية الأسبوع في كازينز، لوَّحت لي، وخطر لي أنني لم يسبق لي أن رأيتها قط خارج الحي، خارج حدود باحتينا الأماميتين. كانت تجلس بجانب الشاب من متجر الفيديو، ذلك الذي يعمل في أيام الثلاثاء ويرتدي بطاقة تعريفه بالمقلوب. لم أر النصف السفليَّ من جسده قط من قبل، دائمًا ما يقف خلف البار. ومن ثمَّ كانت هناك النادلة كاتي، التي تعمل في مطعم جيمي للمأكولات البحرية من دون زيِّها المخطط باللونين الأحمر والأبيض. ويوجد أشخاص كنتُ أراهم في كل صيف من حياتي بأكملها. هنا إذن كانوا يجتمعون جميعًا طوال هذا الوقت. بالخارج، في الحفلات، بينما أنا مستبعدة، محبوسة في المنزل الصيفي، مثل رابونزيل، أشاهد الأفلام القديمة مع أمي وسوزانا. بدا أن كام يعرف الجميع. قال مرحبًا، وسلَّم على الشبَّان بالكتف، وعانق الفتيات. قدَّمني كام لهم، وعرَّفَني على أنني صديقته فلافيا.

قال: «أقدم لكم صديقتي فلافيا. هذا كينزي. هذا المنزل منزله».

قلتُ: «مرحبًا كينزي».

كان كينزي ممددًا على الأريكة، ولم يرتدِ قميصًا. بدا صدره كصدر طائر هزيل، لم يبدُ كموزِّع للميث، لقد بدا أشبه بفتى موزِّع للجرائد.

شرب جرعة من البيرة وقال: «كينزي ليس اسمي الحقيقي، اسمي جريج. إنهم فقط يدعونني كينزي».

- واسمي الحقيقي ليس فلافيا، إنه بيلي. فقط كام يدعوني فلافيا.

أومأ كينزي برأسه كما لو أنه قد وجد ذلك منطقيًّا، ثم قال: «إذا أردتما شيئًا لتشرباه يا رفاق، ثمة مُبَرِّد في المطبخ».

قال كام: «هل تريدين أن تشربي شيئًا؟».

لم أكن متأكدة مما إذا كان عليَّ أن أجيب بنعم أم لا. من ناحية، نعم، لقد أردتُ ذلك نوعًا ما. لم أشرب من قبل قط. يمكنها أن تكون، بشكل ما، تجربة جديدة. دليل إضافي على أن هذا الصيف كان مميزًا، ومهمًّا. ومن ناحية أخرى، هل سيشمئز مني إذا قبلتُ؟ هل سيطلقُ أحكامًا عليَّ لأنني فعلتُ ذلك؟ لم أكن أعرف ما هي قواعد الحافة المستقيمة. قررتُ ألا أفعل، فإن آخر شيء كنتُ بحاجة إليه هو أن تصبح رائحتي مثل رائحة كلاي تلك الليلة.

قلتُ: «سآخذُ كوكاكولا».

أومأ كام برأسه، وأمكنني القول بأنه وافق، توجهنا إلى المطبخ، وفي أثناء سيرنا، سمعتُ تلك المقتطفات الصغيرة من محادثة ما: «سمعتُ أنه قد أُلقيَ القبض على كيلي بسبب القيادة تحت تأثير الكحول، وأن هذا هو سبب عدم وجودها هنا هذا الصيف، وسمعتُ أنها قد طُرِدَت من المدرسة».

تساءلتُ مَن تكون كيلي. تساءلتُ عما إذا كنتُ سأعرفها لو رأيتها. كان كل هذا خطأ ستيفن وجيرمايا وكونراد، لم يأخذوني قط إلى أي مكان، لهذا السبب لم أكن أعرف أي شخص. كانت كل الكراسي في المطبخ تحتوي على حقائب ومعاطف فوقها، لذا أزاح كام بعضًا من زجاجات البيرة الفارغة وأفرغ مساحة فوق المَشرَب. فقفزتُ وجلستُ على تلك المساحة الفارغة.

سألتُ كام قائلة: «هل تعرف كل هؤلاء الناس؟».

قال: «ليس حقًّا. أردتُ فقط أن تعتقدي بأنني فتى رائع، اجتماعي وجذَّاب».

قلتُ وقد احمرَّت وجنتاي في التو تقريبًا: «بالفعل أراكَ كذلك».

ضحك كما لو أنني قلتُ مزحة، مما خفف عليَّ وطأة الأمر. فتح المُبَرِّد وأخرج زجاجة كوكاكولا. ثم فتحها وسَلَّمني إياها.

قال كام: «لمجرد أنني من متبعي ثقافة الحافة المستقيمة لا يعني أنكِ لا يمكنكِ أن تشربي. أعني، سأطلقُ أحكامًا عليكِ لو فعلتِ ذلك، ولكن لا يزال بإمكانكِ الشرب إذا أردتِ. وتلك كانت مزحة، بالمناسبة».

قلتُ: «أعلم. ولكنني على ما يرام مع تلك الكوكاكولا».

وقد كان ذلك صحيحًا. أخذتُ رشفة طويلة من الكوكاكولا خاصتي وتجشَّأتُ.

قلتُ وأنا أفكُّ إحدى ضفيرتيَّ: «معذرة».

لقد كانت الضفيرتان مشدودتين للغاية فحسب، وشعرتُ برأسي يؤلمني.

قال: «إنكِ تتجشئين، كما، يتجشأ الأطفال. هذا مقزز نوعًا ما ولكنه أيضًا لطيف ووديع».

فككتُ الضفيرة الأخرى وضربته في كتفه. لقد سمعتُ في رأسي كونراد يقول: *أووه، ها قد أصبحتِ تضربينه الآن. يا لها من طريقة للمغازلة يا بيلي، يا لها من طريقة للمغازلة.* حتى عندما لم يكن موجودًا، كان موجودًا. ومن ثم ما لبث أن أصبح موجودًا بحق.

من حيث لا أدري، سمعتُ جيرمايا، وغناء جيرمايا المميز على آلة الكاريوكي.

عضضتُ شفَّتي ثم قلتُ: «إنهما هنا».

- أتريدين الخروج والترحيب بهما؟

قلتُ بعد أن قفزتُ من فوق المَشرَب: «ليس حقًّا».

عدنا إلى غرفة المعيشة، وكان جيرمايا في مركز المنصة، يغني بصوت عالٍ أغنية لم أسمع بها من قبل. كانت الفتيات يضحكن ويراقبنه، بأعين محدقة. أما كونراد، فكان جالسًا على الأريكة وفي يده علبة من البيرة. رأيتُ فتاة ريد سوكس جاثمة فوق مسند الذراع بجانبه، مائلة نحوه بصورة كبيرة وتاركة شعرها يتساقط على وجهه كما لو كان ستارة تغطيهما هما الاثنين. تساءلتُ عما إذا كانا قد أقلَّاها معهما إلى هنا، عما إذا كان قد تركها تجلس في مقعد الراكب الأمامي.

قال كام: «إنه مغنٍّ رائع. (ثم نظر إلى حيث كنتُ أنظرُ) هل هو ونيكول يتواعدان؟».

فقلتُ: «ومَن يعرف؟ مَن يهتم؟».

رآني جيرمايا حينئذ، وهو ينحني في نهاية أغنيته، وقال: «بيلي! هذه الأغنية لأجلكما. (أشار إلى كام) ما اسمك؟».

تنحنح كام وأجاب قائلًا: «كام، كاميرون».

فقال جيرمايا في الميكروفون: «اسمك كام كاميرون؟ سحقًا، هذا مؤسف يا صاح».

ضحك الجميع، وبخاصة كونراد، الذي كان قبل ثانية واحدة فقط يبدو عليه الضجر الشديد.

قال كام في هدوء: «إنه كام فحسب».

نظر إليَّ بعد ذلك، وكنتُ مُحرَجة. ليس من أجله، وإنما منه. لقد كرهتهما من أجل ذلك. كان الأمر كما لو أن كونراد وجيرمايا قد حكما عليه بأنه لا يستحقني ولذا كان عليَّ أنا أيضًا أن أعتبره كذلك. لقد كان من المضحك كيف شعرتُ بمدى قربي الشديد منه قبل بضع دقائق فقط.

- حسنًا، كام كاميرون. هذه الأغنية لأجلك أنت وبيلي بوتون الصغيرة المفضلة لدينا. هيا يا آنسات.

ضغطت فتاة ما زر التشغيل في جهاز التحكم وبدأ جيرمايا يغني: «بالحب الصيفي.. استمتعتُ كثيرًا، الحب الصيفي.. لقد حدث سريعًا...».

أردتُ قتله، ولكن كل ما أمكنني فِعْلُه هو هزُّ رأسي وأنا أحدق إليه بنظرات تتقد غضبًا. لم أستطع أن أنتزع الميكروفون من يده أمام كل هؤلاء الناس. ابتسم لي جيرمايا ابتسامة عريضة فحسب وبدأ في الرقص. هَبَّت إحدى الفتيات الجالسات على الأرض واقفةً وبدأت في الرقص معه. غَنَّت الجزء الخاص بأوليفيا نيوتن-جون من الأغنية، بنشوز عن اللحن. أخذ كونراد يشاهد ذلك وعلى وجهه ذلك التعبير الذي يمزج بين الاستمتاع والتعالي. سمعتُ إحداهن تقول: «مَن تكون هذه الفتاة على أية حال؟» لقد كانت تنظر إليَّ مباشرة وهي تقول ذلك.

وبجانبي، كان كام يضحك. لم أستطع تصديق ذلك، كدتُ أموت من الحَرَج وهو كان يضحك! قال لي وقد وكزني في جنبي: «ابتسمي يا فلافيا».

عندما يطلب مني شخصٌ ما أن أبتسم، لا أستطيع منع نفسي. أبتسم تلقائيًّا، دائمًا.

في منتصف أغنية جيرمايا، خرجتُ أنا وكام، ومن دون النظر حتى، علمتُ أن كونراد كان يراقبنا. جلستُ مع كام على الدرج وتحدثنا. لقد جلس على درجة السلم التي تعلوني. كان من اللطيف التحدث معه، غير مُرَهِّب على الإطلاق. أحببتُ كيف كان يضحك ببساطة شديدة، ليس مثل كونراد. فمع كونراد على المرء أن يبذل مجهودًا كبيرًا من أجل كسب كل ابتسامة. لا شيء سهل أو بسيط مع كونراد.

الطريقة التي كان كام يميل بها نحوي، جعلتني أظن أنه يُحاوِل تقبيلي. كنتُ متأكدةً تمامًا من أنني سأسمح له. لكنه كان يميل فقط ليحُكَّ كاحِلَهُ، أو ليسحب جوربه، ثم يبتعد ثانيةً، ومن ثم يفعل ذلك مجددًا. وبينما كان ينحني مرة أخرى، سمعتُ أصواتًا غاضبة تتشاجر آتية من الشرفة. كان أحدها صوت كونراد بلا شك.

قفزتُ واقفة وقلتُ: «ثمة شيء ما يحدث هناك».

قال كام وهو يقود الطريق: «لنذهب ونتحقق من الأمر».

وجدنا كونراد وشابًّا ما لديه وشم على شكل سلك شائك على ذراعه يتشاجران. كان ذلك الشاب أقصر طولًا من كونراد، ولكنه بدا أقوى، ولديه عضلات خطيرة، وبدا وكأنه، في نحو، الخامسة والعشرين من العمر. أخذ جيرمايا يراقب ما يحدث، في ارتباك، ولكن يمكنني القول بأنه كان متأهبًا، وعلى استعداد للانقضاض لو احتاج إلى ذلك.

همستُ إلى جيرمايا قائلة: «ما الذي يتشاجران من أجله؟».

فهزَّ كتفيه وقال: «كونراد مخمور. لا تقلقي بشأن ذلك. إنهما يتباهيان فحسب».

قلتُ في غير ارتياح: «يبدوان وكأنهما على وشك أن يقتلا بعضهما بعضًا».

قال كام: «إنهما بخير، ولكن ربما ينبغي لنا الخروج من هنا. لقد تأخر الوقت».

حملقتُ في وجهه لثانية. كنتُ قد نسيتُ تقريبًا أنه واقف بجانبي.

قلتُ: «أنا لن أذهب».

صحيح أنني لا يمكنني فعل أي شيء لمنع نشوب الشجار، ولكن لن يكون من الصواب أن نترك كونراد هناك فحسب.

اقترب كونراد من الشاب صاحب الوشم، والذي دفعه بعيدًا بسهولة. ضحك كونراد. أمكنني الشعور بشجار حقيقي يختمر، مثل عاصفة رعدية. إنه تمامًا كهدوء ما قبل العاصفة.

هسهستُ قائلة: «هل ستفعل شيئًا ما؟».

فقال جيرمايا وعيناه مثبتتان على كونراد: «إنه فتى كبير. سيكون على ما يرام».

ولكنه في داخله لم يكن يصدق ذلك، ولا أنا كذلك. لم يبدُ كونراد على ما يرام مطلقًا. لقد بدا ككونراد فيشر الذي أعرفه، جامح تمامًا وخارج عن السيطرة. ماذا لو أصاب نفسه بالأذى؟ ماذا سيحدث بعد ذلك؟ كان ينبغي لي تقديم المساعدة، ينبغي لي ذلك فحسب.

بدأت في المشي نحوهما، وأزحتُ يد جيرمايا عندما حاول منعي. عندما وصلت إلى هناك، أدركتُ أنني ليس لدي أي فكرة عما سأقوله. لم أحاول قَطُّ فَضَّ شجارٍ من قبل.

قلتُ وأنا واقفة بينهما: «أمم، مرحبًا... علينا المغادرة».

أزاحني كونراد عن الطريق قائلًا: «ابتعدي عن هنا بحق الجحيم يا بيلي».

نظر إليَّ الشاب من أعلى لأسفل قائلًا: «مَن هذه؟ أختك الصغيرة؟».

قلتُ له: «كلا، أنا بيلي».

لقد كنتُ متوترة فحسب، وتأتأتُ حينما نطقتُ اسمي.

- بيلي؟

انفجر الشاب ضاحكًا، أما أنا فأمسكتُ بذراع كونراد قائلة: «سنغادر الآن».

أدركتُ كم كان مخمورًا لمَّا تمايل قليلًا وهو يحاول تخليص ذراعه من قبضتي.

- لا ترحلوا. ستزداد الأمور متعة. انظري، أنا على وشك أن أوسِع ذلك الفتى ضربًا.

لم أره هكذا من قبل. لقد أخافتني حِدَّته. تساءلتُ أين ذهبت فتاة ريد سوكس. تمنيتُ نوعًا ما لو كانت هنا لتهدئ كونراد وليس أنا. لم أكن أعرف ما الذي من المفترض عليَّ فعله. ضحك الشاب، ولكن يمكنني القول بأنه أراد القتال فقط بالقدر الذي كنتُ أريده أنا. لقد بدا مُتعَبًا، كما لو أن كل ما يريده هو العودة إلى المنزل ومشاهدة التلفاز مرتديًا سرواله الداخلي فحسب، بينما كان كونراد على قدم وساق. بدا كونراد أشبه بزجاجة صودا مرجوجة؛ كان على وشك أن ينفجر في شخص ما. لا يهم من يكون، لا يهم ما إذا كان هذا الشاب أضخم منه، لا يهم ما إذا كان طوله يبلغ عشرين قدمًا وصلبًا مثل الطوب. كان كونراد يبحث عن شجار، لن يرضى حتى يخوض واحدًا. وهذا الشاب، يمكنه قتل كونراد.

ظلَّت نظرات الشاب تتأرجح بيني وبين كونراد، ثم هزَّ رأسه وقال: «بيلي، من الأفضل أن تأخذي هذا الفتى الصغير إلى المنزل».

فحذَّره كونراد قائلًا: «لا تتحدث إليها».

وضعتُ يدي على صدر كونراد. لم يسبق لي أن فعلتُ ذلك من قبل. شعرتُ به صلبًا ودافئًا، وأحسستُ بقلبه ينبض بسرعة خارجة عن السيطرة.

توسلتُ إليه قائلة: «أرجوك، هل يمكننا العودة إلى المنزل فحسب».

لكن الأمر بدا كما لو أن كونراد لم يكن يراني حتى وأنا واقفة هناك، ولا يشعر بيدي على صدره.

قال الشاب: «استمع إلى ما تقوله حبيبتك يا فتى».

فقلتُ وأنا ألقي نظرة خاطفة إلى كام الذي خلا وجهه من أي تعبير: «أنا لستُ حبيبته».

ثم نظرتُ إلى جيرمايا في عجز يائس، فاقترب. همس بشيء ما في أذن كونراد، وأزاحه كونراد بعيدًا. غير أن جيرمايا ظلَّ يتحدث إليه بصوته الخفيض، وعندما نظرا إليَّ، أدركتُ أن الأمر متعلق بي. تردد كونراد، ومن ثم أومأ أخيرًا، ثم تظاهر نصف مازحٍ وكأنه سيضربُ الشاب، ورفع الشاب بؤبؤي عينيه في ضجر.

قال للشاب: «ليلة سعيدة أيها الأخرق».

لوَّح الشاب له ليبتعد بيد واحدة، وزفرتُ أنا نَفَسًا عميقًا.

في أثناء عودتنا إلى السيارة، أمسك كام بذراعي وسألني قائلًا: «هل ستكونين على ما يرام إذا عدتِ إلى المنزل مع هذين الرفيقين؟».

فاستدار كونراد وقال: «مَن يكون هذا الفتى؟».

هززتُ رأسي لكام وقلتُ: «سأكون على ما يرام، لا تقلق، سأتصل بك».

بدا عليه القلق وسأل قائلًا: «مَن الذي سيقود؟».

فأجاب جيرمايا: «أنا (وكونراد لم يجادله) لا تقلق، يا أيتها الحافة المستقيمة، أنا لا أشرب قبل القيادة».

شعرتُ بالإحراج، ويمكنني القول بأن كام قد انزعج، ولكنه أومأ برأسه فحسب. بسرعة عانقته، وشعرتُ بجسده متصلبًا. أردتُ أن أجعل الأمور على ما يرام.

قلتُ: «شكرًا لك على الليلة».

راقبته وهو يبتعد، وشعرتُ بطعنة من الاستياء. لقد أفسد كونراد وعَصَبيَّته الحمقاء موعدي الغرامي الحقيقي الأول، لم يكن ذلك عدلًا.

قال جيرمايا: «فلتركبا السيارة يا رفاق؛ لقد نسيتُ قبَّعَتي بالداخل، سأُحْضِرها وآتي على الفور».

قلتُ له: «فقط أسرع».

ركبتُ أنا وكونراد السيارة في صمت، شعرتُ بهدوء مخيف، وعلى الرغم من أن الساعة قد تجاوزت الواحدة فحسب، بدت وكأنها الرابعة صباحًا وأن العالم كله قد أخلد إلى النوم. استلقى في المقعد الخلفي، وقد تبخرت كل طاقته السابقة، وجلستُ أنا في مقعد الراكب الأمامي وقدماي الحافيتان مسنودتان فوق لوحة القيادة، وظهري مسنود للوراء في الكرسي. لم يتكلم أيٌّ منا، لقد كان الموقف مرعبًا هناك بالداخل. شعرتُ بأنني لا أعرفه، فاجأتني الطريقة التي كان يتصرف بها، لقد شعرتُ فجأة بالتعب الشديد.

كان شعري متدليًا، ومن المقعد الخلفي، فجأة، شعرتُ بكونراد يلمسه، يمرر أصابعه عليه حتى الأطراف. أعتقد أنني قد قطعت أنفاسي. إننا نجلس في صمت تام، وكونراد فيشر يلعب في شعري.

قال بنبرة ناعمة: «شعركِ كشعر طفل صغير، في الطريقة التي يكون بها فوضويًّا دائمًا».

أصابني صوته بالقشعريرة، كان كصوت موجة تنحسر بعد اصطدامها بالشاطئ. لم أقل أي شيء، لم أنظر إليه حتى، لم أرغب في إخافته. كان الأمر أشبه بالوقت الذي أُصبتُ فيه بحمى شديدة جدًّا، عندما شعرتُ بأن كل شيء كان يدور من حولي، كل شيء مشوَّشًا وضبابيًّا وغير حقيقي، كان الأمر أشبه بذلك فحسب. كان كل ما أعرفه هو، أنني لم أرد أن يتوقف كونراد.

ولكنه أخيرًا توقف. لقد رأيته في مرآة حاجب الشمس، وقد أغلق عينيه وتنهَّد، وكذلك فعلتُ أنا.

قال: «بيلي...».

وفجأة في الحال، صار كل شيء فيَّ متيقظًا. لقد ذهب شعوري بالنعاس؛ أصبح كل جزء من جسدي متيقظًا الآن.

كنتُ حابسةً أنفاسي في انتظار سماع ما سيقوله، لم أُجِبْهُ. لم أرغب في كسر التعويذة، وإبطال هذا السحر.

وفي تلك اللحظة، عاد جيرمايا وفتح الباب، ثم أغلقه بقوة. تلك اللحظة بيننا، الهشة الواهية، كُسِرَت إلى نصفين، انتهت. لن يجدي نفعًا لو تساءلتُ عما كان سيقوله. اللحظات عندما تُفقَد، لا يمكن استعادتها مرة أخرى، إنها تنقضي فحسب.

نظر إليَّ جيرمايا نظرة ساخرة. أستطيع القول إنه عرف بأنه قد قطع شيئًا ما كان يحدث لحظة وصوله. هززتُ كتفيَّ له والتفتُّ بعيدًا، وأدار محرك السيارة.

مددتُ يدي للراديو وشغلته، بصوت عالٍ.

طوال الطريق إلى المنزل، كان هناك هذا التوتر الغريب، الجميع هادئ وملتزم الصمت، كان كونراد شبه مغشي عليه في المقعد الخلفي، وتجنبنا أنا وجيرمايا النظر إلى بعضنا بعضًا في المقعدين الأماميين. حتى وصلنا إلى المنزل، عندما قال جيرمايا لكونراد، بنبرة قاسية بالنسبة إليه: «لا تدع أمي تراك وأنت على هذه الحالة».

في تلك اللحظة أدركت، تذكرت، أن كونراد كان مخمورًا جدًّا، أنه ليس مسؤولًا حقًّا عن أي شيء قاله أو فعله تلك الليلة. على الأرجح أنه لن يتذكر أيًّا من هذا غدًا. سيكون الأمر كما لو أنه لم يحدث قط.

بمجرد أن دخلنا، ركضتُ إلى غرفتي. أردتُ أن أنسى ما حدث في السيارة وأن أتذكر فقط الطريقة التي نظر إليَّ بها كام على الدرج، وذراعه تلامس كتفي.

الفصل الرابع والعشرون

في اليوم التالي، لا شيء. لم يتجاهلني، لأن هذا كان من الممكن أن يعتبر شيئًا، دليلًا بشكل ما على أن ذلك قد حدث، على أن شيئًا ما قد تغير. لكن لا، كان يتعامل معي بطريقته المعتادة نفسها. كما لو كنتُ لا أزال بيلي الصغيرة، الفتاة ذات ذيل الحصان المتطاير الفوضوي والرُكبتين العظميَّتين التي تجري وراءهما على الشاطئ. كان حريًّا بي أن أعرف.

المشكلة هي، أنه سواء كان يدفعني بعيدًا أو يسحبني نحوه، كنتُ لا أزال أسير في الاتجاه نفسه، نحو كونراد. لم يتصل بي كام لبضعة أيام، ولا ألومه. لم أتصل به أيضًا، رغم أنني قد فكرتُ في الأمر. لكنني فقط لم أكن أعرف ماذا أقول.

عندما اتصل أخيرًا، لم يتطرق لموضوع الحفل. طلب مني الذهاب إلى سينما السيارات، وافقتُ. رغم أنني قد انتابني القلق في الحال، هل يعني الذهاب لسينما السيارات أننا سنتبادل القبلات الغرامية الحارَّة؟ أي، قبلات غرامية جنونية حقًّا؟ وتكون النوافذ والمقاعد جميعها مغطاة بالبخار من حولنا؟

لأن هذا هو ما يفعله الناس في سينما السيارات. يكون هناك بعض العائلات، ومن ثم، في الجزء الخلفي من الساحة، تجد العشَّاق الذين يلفَّهم الغرام والإثارة. لم أكن مطلقًا في الجزء الخاص بالعشَّاق من قبل. كنتُ أذهب كجزء من عائلة، مع سوزانا وأمي والجميع، وقد سبق وذهبتُ مع الأولاد، ولكن ليس كحبيبة أبدًا، ليس كموعد غرامي.

ذات مرة، ذهبتُ أنا وجيرمايا وستيفن وتجسسنا على كونراد في أحد مواعيده الغرامية. سمحت سوزانا لجيرمايا بأن يوصلنا، رغم أنه لم يكن لديه إلا تصريح قيادة مؤقت. كانت سينما السيارات على بعد ثلاثة أميال، وفي كازينز، كان الجميع يقودون السيارات، حتى الأطفال على حِجر والديهم. غضب كونراد عندما أمسك بنا نتجسس عليه. لقد كان في طريقه إلى ركن الأطعمة والمشروبات لشراء شيء ما حينما رآنا. كان الأمر مضحكًا للغاية، لقد تبعثر شعره بالكامل وهو يصرخ فينا، وكانت شفتاه متوردتين وبهما لمعة براقة. أمضى جيرمايا الوقت كله منفجرًا في الضحك.

تمنيتُ لو يكون ستيفن وجيرمايا في مكانٍ ما في الظلام هناك. يتجسَّسان علينا وينفجران في الضحك. سيجعلني هذا أشعر بالارتياح بشكل ما، كنتُ سأشعر بأنني أكثر أمانًا.

كنتُ أرتدي سترة كام، وأبقيتها مقفولة بالكامل حتى رقبتي. جلستُ وذراعاي معقودتان، كما لو كنتُ أرتجف. رغم أني أعجبتُ بكام، رغم أنني أردتُ أن أكون هنا، فإنني شعرتُ برغبة مفاجئة في القفز من السيارة والعودة إلى المنزل سيرًا. لم أُقبِّل سوى فتى واحد في حياتي، ولم تكن قبلة بالمعنى الحقيقي. لقد دعتني تايلور بالراهبة. ربما كنتُ كذلك، في القلب. ربما ينبغي لي الانضمام إلى أحد الأديرة. لم أكن أعرف حتى ما إذا كان هذا موعدًا غراميًّا حقيقيًّا أم لا. ربما قد أصبته بخيبة أمل شديدة ليلة الحفلة لدرجة أنه صار يريد أن يكون صديقًا لي فقط ليس إلا.

أخذ كام يضبط الراديو حتى وجد المحطة الصحيحة. ثم قال وهو ينقر بيده على عجلة القيادة: «هل تريدين أي نوع من الفشار أو أي شيء آخر؟».

كنتُ أريدُ ذلك نوعًا ما، لكنني لم أرغب في أن يعلق الطعام بأسناني، لذلك قلتُ: «لا، شكرًا».

لقد كان مندمجًا مع الفيلم بشكل كبير، رأيت ذلك في الطريقة التي كان ينحني بها بالقرب من الزجاج الأمامي لإلقاء نظرة أقرب في بعض الأحيان. إنه فيلم رعب قديم، أخبرني كام بأنه مشهور حقًّا، بيد أنني لم أسمع به من قبل. بالكاد كنتُ منتبهة إليه على أية حال، شعرتُ وكأنني كنتُ أشاهده هو أكثر مما كنتُ أشاهد الفيلم. لقد لعق شفتيه كثيرًا. ولم ينظر إليَّ ويضحك معي في الأجزاء المضحكة مثلما فعل جيرمايا. لقد جلس في جانبه من السيارة فحسب، متكئًا على الباب، بعيدًا عني قدر المستطاع.

وحالما انتهى الفيلم، أدار محرك السيارة، وقال: «مستعدة؟».

شعرتُ بموجة من خيبة الأمل. كان سيأخذني إلى المنزل بالفعل، لن يأخذني إلى «سكوبس» لتناول المثلجات، أو لنتشارك معًا آيس كريم «صنداي» بصوص الفَدج الساخن. إن الموعد الغرامي، لو جازت تسميته كذلك أصلًا، قد باء بالفشل. لم يحاول تقبيلي أو مغازلتي ولو مرة واحدة. لا أعرف حتى ما إذا كنتُ قد أعطيته فرصة لذلك أم لا، لكن ولو... كان من الممكن أن يحاول على الأقل.

أجبته قائلة: «أمم-هممم».

شعرتُ بأنني على وشك البكاء، ولم أكن متأكدة تمامًا من السبب، إذ لم أكن متأكدةً مما إذا رغبتُ في تقبيله أم لا من الأساس.

قُدنا في صمت حتى وصلنا إلى أمام المنزل... حبستُ أنفاسي قليلًا، بينما يدي على مقبض الباب، في انتظار معرفة ما إذا كان قد أوقف المحرك أم إن عليَّ القفز للخارج. لكنه أوقفه، وأسند رأسه للخلف إلى مسند الرأس لثانية. ثم سأل فجأة: «أتعرفين لماذا تذكرتكِ؟».

بدا السؤال وكأنه قد خرج من العدم، إذ استغرق الأمر مني بعض الوقت لمعرفة ما الذي كان يتحدث عنه.

- أتقصد من المؤتمر اللاتيني؟

- أجل؟

- هل بسبب نموذج الكولوسيوم الخاص بي؟

لقد كنتُ نصف أمزح فحسب. إنها مهارة قد ساعدني ستيفن في بنائها؛ كانت مثيرة جدًّا للإعجاب.

- لا. (مرر كام يده في شعره، ولم ينظر إليَّ) لقد تذكرتكِ لأنني اعتقدتُ بأنك جميلة جدًّا. بل، ربما أجمل فتاة رأيتها في حياتي.

ضحكتُ، وداخل السيارة بدا صوت ضحكاتي عاليًّا حقًّا.

- أجل، حسنًا. محاولة لطيفة يا سكستوس.

فأصرَّ وقد ارتفع صوته: «أنا أعني ذلك».

- أنت تختلق هذا.

لم أصدق أن هذا من الممكن أن يكون صحيحًا. لم أُرِد أن أترك نفسي لتصديق ذلك، فمع الأولاد تكون أي مجاملة دائمًا الجزء الأول من مزحة ما.

هزَّ رأسه، وزمَّ شفتيه. لقد شعر بالإهانة لأنني لم أصدقه. لم أقصد إيذاء مشاعره، فقط لم أفهم كيف يمكن أن يكون ذلك صحيحًا. كانت على الأرجح طريقة يحاول بها الكذب حيال الأمر. أعرفُ كيف كان شكلي في ذلك الوقت، ولم أكن بالطبع أجمل فتاة رآها أي شخص في حياته، ليس بنظَّارتي السميكة وخدَّيَّ الممتلئين وجسم فتاة صغيرة.

نظر كام في عينيَّ بعد ذلك، وقال: «في اليوم الأول، ارتديتِ فستانًا أزرق. لقد كان من القماش المخملي المُضَلَّع أو شيء من هذا القبيل، لقد جعل عينيكِ تبدوان زرقاوين حقًّا».

قلتُ: «عيناي رماديتان».

- أجل. ولكن الفستان جعلهما تبدوان زرقاوتَي اللون.

لهذا السبب ارتديته، فهو المفضل لدي. تساءلتُ أين هو الآن، على الأرجح قد حزمته في العلِّيَّة هناك في البيت، مع كل ملابسي الشتوية. لقد أصبح صغيرًا جدًّا عليَّ الآن على أية حال.

بدا لطيفًا جدًّا، في الطريقة التي كان يراقبني بها، في انتظار رد فعلي، كانت وجنتاه قد تلونتا باللون الخوخي.

ابتلعت ريقي بصعوبة، ثم قلتُ: «لماذا لم تأتِ لتتحدث إليَّ؟».

هزَّ كتفيه قائلًا: «كنتِ دائمًا مع أصدقائكِ. لقد راقبتكِ طوال ذلك الأسبوع، محاولًا استجماع شجاعتي. لم أصدق نفسي عندما رأيتكِ في حفلة مشعلة الشاطئ تلك الليلة. غريب جدًّا، هاه؟».

ضحك كام، وقد بدا محرَجًا.

رددتُ قائلة: «غريب جدًّا».

لم أستطع تصديق أنه لاحظني. فمع وجود تايلور بجانبي، من كان سيهتم بالنظر إليَّ حتى؟

قال متذكِّرًا: «كدتُ أفسد خطاب «كاتولوس» عن عمد، لأدعكِ تفوزين».

اقترب مني قليلًا.

قلتُ: «سعيدة لأنكَ لم تفعل. (مددتُ يدي ولمستُ ذراعه، وقد ارتعشتْ يدي) أتمنى لو أنك قد أتيت لتتحدث إليَّ».

وفي تلك اللحظة أحنى رأسه لأسفل وقبَّلني. لم أترك مقبض الباب، كان كل ما يدور ببالي هو: *أتمنى لو كانت تلك هي قبلتي الأولى*.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الخامس والعشرون

عندما دخلتُ إلى المنزل، كنتُ أسيرُ فوق السحاب، فوق غيمات من حلوى غزل البنات، وأعيد في ذهني كل ما حدث للتو، حتى سمعتُ أمي وسوزانا تتجادلان في غرفة المعيشة. تراكَمَ الخوف داخلي، شعرتُ كما لو أن شخصًا ما كان يُحكِم قبضته على قلبي. إنهما لم تتشاجرا من قبل، ليس حقًّا. لم أرهما تتشاجران في حياتي إلا مرة واحدة فقط، كانت في الصيف الماضي حين ذهب ثلاثتنا للتسوق في هذا المركز التجاري الفاخر على بُعد ساعة من كازينز. كان مركزًا تجاريًّا مفتوحًا على الهواء الطلق، من النوع الذي يجلب الناس إليه كلابهم الصغيرة بجحم الجيب التي ترتدي سترات لطيفة ذات سلاسل فاخرة. رأيت فستانًا، فستان شيفون باللون الأرجواني الأقرب إلى لون البرقوق، مع شرائط متدلية عند منطقة الكتفين. بدا أنه بحاجة إلى فتاة أكبر مني سنًّا، ولكنني أحببته.

قالت سوزانا بأن عليَّ أن أجربه، من أجل المتعة فقط، لذا جربته. ألقت نظرة واحدة عليَّ وقالت لي بأنني يجب أن آخذه، هزَّت أمي رأسها رافضة على الفور.

قالت أمي: «إنها في الرابعة عشرة من عمرها. أين سترتدي فستانًا كهذا؟».

قالت سوزانا بأنه لا يهم، وأن ذلك الفستان قد صُنع من أجلي. علمتُ بأننا لا نستطيع تحمل تكلفته. ففي النهاية كانت أمي مطلقة حديثًا، إلا أنني رجوتها بإلحاح. توسلتُ إليها، فدخلنا في جدال حاد، هناك في المتجر، أمام الناس. أرادت سوزانا أن تشتريه لي، ولم تسمح لها أمي بذلك. قلتُ لهما لا عليكما، لا أريده، رغم أنني كنتُ أريده. كنتُ أعلم أن والدتي على حق، وأنني لن أرتديه أبدًا. وعندما عدنا من كازينز في نهاية الصيف، وجدتُ الفستان في حقيبتي، مُغَلَّفًا بالورق وموضوعًا بعناية على رأس أغراضي كما لو كنتُ أنا من وضعه هناك. لقد عادت سوزانا واشترته لي. إن سوزانا معتادة فعل أشياء كهذه. ولاحقًا، لا بد أن أمي قد رأته معلَّقًا في خزانة ملابسي، ولكنها لم تقل أي شيء بخصوصه مطلقًا.

وقفتُ هناك في الردهة لأستمع، شعرتُ بأنني جاسوسة كما كان ستيفن يتهمني دائمًا، ولكنني لم أستطع منع نفسي.

سمعتُ سوزانا تقول: «لوريل، أنا امرأة ناضجة الآن. أريدكِ أن تتوقفي عن محاولة إدارة حياتي. أنا مَن يقرر كيف أريد أن أعيش حياتي».

لم أنتظر سماع رد أمي. دخلت مباشرة وقلتُ: «ما الذي يجري؟».

نظرتُ إلى أمي عندما قلتُ ذلك، وعرفتُ أنني بدوت كما لو أنني ألقي باللوم عليها، ولكنني لم آبه.

قالت أمي وبدت عيناها حمراوين ومرهَقتين: «لا شيء، كل شيء على ما يرام».

- إذن لماذا تتشاجران؟

أكدت لي سوزانا قائلة: «لم نكن نتشاجر يا عزيزتي. (ثم مدَّت يدها وأخذت تمسح على كتفي، كما لو كانت تكوي قماشًا حريريًّا مجعدًا) كل شيء على ما يرام».

- لا يبدو الأمر كذلك.

قالت لي سوزانا: «حسنًا، ولكنه كذلك».

سألتُ قائلة: «وعد؟».

كنتُ أرغب في تصديقها.

فأجابت من دون تردد قائلة: «وعد».

ابتعدت أمي عنا بضع خطوات، واستطعتُ أن أرى من خلال كتفيها المتشنجتين أن كل شيء لم يكن على ما يرام، وأنها لا تزال غاضبة. ولكنني أردتُ أن أبقى مع سوزانا، حيث كان كل شيء على ما يرام، فلم أتبعها. كانت والدتي من النوع الذي يفضل أن يكون بمفرده على أية حال، أبي أكثر من يعرف هذا.

همستُ لسوزانا قائلة: «ما خطبها؟».

قالت وهي تقودني إلى أريكة الخيزران في غرفة التَشَمُّس: «لا شيء، أخبريني عن موعدكِ الغرامي مع كام».

كان يجب أن أستمر في ضغطها، كان يجب أن أحاول معرفة ما حدث فعلًا بينهما، ولكن قلقي قد بدأ يتلاشى بعيدًا بالفعل. أردتُ أن أخبرها بكل شيء عن كام، كل شيء. تتميز سوزانا بطريقة تجعلك ترغب في إخبارها بكل أسرارك. جلسَتْ على الأريكة وربَّعَتْ رجليها. جلستُ بجانبها ووضعتُ رأسي على حِجرها وأخذت تملِّسُ على شعري وتبعد بضع خصلات عن جبهتي برفق. شعرت بدفء وأمان، وكأن ذلك الشجار لم يحدث. وربما حتى لم يكن شجارًا أصلًا، ربما قد أخطأتُ في قراءة الأمر برمته.

بدأتُ أحكي قائلة: «حسنًا، إنه مختلف عن أي شخص قابلته».

- كيف ذلك؟

- إنه ذكي للغاية، ولا يهتم بما يفكر به الناس، وسيم جدًّا، لا أستطيع حتى أن أصدق أنه يعيرني أي اهتمام.

هزَّت سوزانا رأسها وقالت: «أوه، أرجوكِ لا تقولي هذا. بالطبع عليه أن يعيركِ اهتمامًا، أنتِ غاية في الجمال يا عزيزتي. لقد ازدهر جمالكِ هذا الصيف كزهرة قد تفتَّحت أوراقها، لا يسع الناس ألا يعيروكِ انتباههم».

قلتُ: «هاه...».

شعرتُ بالإطراء، إن سوزانا بارعة في جعل الناس يشعرون بأنهم مميزون.

- أنا سعيدة لأنني أستطيع التحدث معكِ حول هذا النوع من الأشياء.

- وأنا كذلك. لكن كما تعلمين، يمكنكِ أيضًا التحدث إلى والدتكِ.

- لن تكون مهتمة بأي منها، ليس حقًّا. ستتظاهر بأنها تهتم، ولكنها ليست كذلك.

- أوه يا بيلي، هذا ليس صحيحًا. إنها تهتم بالفعل. (طوَّقت سوزانا وجهي بيديها) والدتكِ هي أكبر مشجعيكِ وأشد مناصريكِ، إلى جانبي. إنها تهتم بكل ما تفعلينه، لا تغلقي بابكِ في وجهها.

لم أرغب في التحدث عن أمي أكثر، لقد أردتُ التحدث عن كام، فبدأتُ أحكي قائلةً: «لن تصدقي أبدًا ما قاله لي كام الليلة».

الفصل السادس والعشرون

وهكذا فجأة، انتهى يوليو وبدأ أغسطس. أعتقد أن الصيف يمر بشكل أسرع عندما يكون لديك شخص ما لتقضيه معه. بالنسبة إليَّ كان هذا الشخص هو كام، كام كاميرون.

دائمًا ما يأتي السيد فيشر في الأسبوع الأول من شهر أغسطس. كان يُحضر معه كل مفضلات سوزانا من المدينة، كرواسون اللوز وشكولاتة اللافندر والزهور، دائمًا ما يجلب الزهور. تحب سوزانا الزهور. قالت إنها تحتاج إليها كالهواء، لتتنفس. كان لديها عدد من المزهريات أكثر من أن أستطيع إحصاءها، مزهريات طويلة ومزهريات ضخمة وأخرى زجاجية. لقد كانت منتشرة في جميع أنحاء المنزل، مزهريات ممتلئة بالزهور في كل غرفة. نوعها المفضل هو الفاوانيا. كانت تُبقي أزهار الفاوانيا دائمًا على منضدة غرفة نومها، لتكون أول ما تراه في الصباح.

والأصداف أيضًا، كانت تحب الأصداف، إنها تحتفظ بها في كؤوس زجاجية. عندما تعود من جولة على الشاطئ، دائمًا ما تأتي حاملةً معها حفنة من الأصداف. كانت ترتبهم على طاولة المطبخ، وتتأمل أشكالهم في ولهٍ أولًا، وتقول أشياء مثل: «أليست هذه تشبه الأذن بالضبط؟» أو «أليست هذه الدرجة

المثالية من اللون الوردي؟»، ثم تضعها بالترتيب من الأكبر إلى الأصغر، كان هذا أحد طقوسها، ومن أكثر الأشياء التي أحببتُ رؤيتها تفعلها.

في ذلك الأسبوع، في الوقت الذي عادة ما يأتي فيه السيد فيشر، قالت سوزانا بأنه لن يستطيع الابتعاد عن العمل. كان ثمة أمر طارئ في البنك. سيقتصر هذا الصيف علينا نحن الخمسة فقط، وستكون هذه أول سنة نقضي فيها الصيف من دون السيد فيشر وأخي.

بعد أن ذهبت سوزانا إلى الفراش، مبكرًا، حدثني كونراد قائلًا: «إنهما سينفصلان».

قلتُ: «مَن؟».

- والداي، إنها مسألة وقت.

فحدَّق جيرمايا إليه في غضب وقال: «اخرس يا كونراد!».

هزَّ كونراد كتفيه وقال: «لماذا؟ أنت تعلم أن تلك هي الحقيقة، وبيلي ليست متفاجئة، أليس كذلك يا بيلي؟».

لقد كنتُ متفاجئة. كنتُ متفاجئة حقًّا، قلت لكليهما: «لطالما اعتقدتُ أنهما يحبَّان بعضهما كثيرًا، أو هكذا ظننت».

أيًّا كانت ماهية الحب، فقد كنتُ متأكدة من أنه كان بينهما. اعتقدتُ بأن حبهما كان أكبر مليون مرة من أي حب عادي. بان هذا من خلال الطريقة التي كانا يحدقان بها إلى بعضهما على طاولة العشاء، وكيف كانت تشتعل سوزانا بالحماس عند مجيئه إلى المنزل الصيفي. لم أعتقد أن أناسًا مثلهما يتطلقون، أناس مثل والديَّ من الممكن أن يتطلقوا، وليس سوزانا والسيد فيشر.

قال لي جيرمايا: «كانا، كانا يحبان بعضهما بعضًا. لا أعرف حقًّا ما الذي حدث».

فقال كونراد وهو ينهض: «أبي وغد. هذا هو ما حدث».

بدت نبرته خالية من أي إحساس، كما لو كان يقول حقيقة مُطلقة، ولكن هذا لا يبدو مُقنِعًا. ليس على الأقل وأنا أعرف أنه يعشق أباه. تساءلتُ عما إذا كان قد أصبح للسيد فيشر حبيبة جديدة مثل أبي. تساءلتُ عما إذا كان قد خان سوزانا، ولكن من ذا الذي قد يخون سوزانا؟ كان هذا مستحيلًا.

قال جيرمايا فجأة: «لا تخبري والدتكِ إننا نعرف بهذا؟ إن أمي لا تعرف أننا نعرف».

فقلتُ: «لن أفعل».

تساءلتُ كيف اكتشفا الأمر، لقد أجلَسَنا والداي أنا وستيفن وأخبرانا بكل شيء، وشرحا الأمر كله بالتفصيل.

عندما غادر كونراد، قال لي جيرمايا: «قبل مغادرتنا، كان أبونا ينام في غرفة الضيوف لأسابيع. لقد نقل بالفعل معظم ملابسه. هل فعلًا اعتقدا أننا لن نلاحظ؟».

اختلج صوته في الجزء الأخير. أمسكتُ بيده، وربتُّها بشدة، لقد كان متأثرًا جدًّا ومجروحًا بحق. أعتقد أن كونراد أيضًا كان كذلك، حتى لو لم يكن يُظهر مشاعره. بدا ذلك منطقيًّا تمامًا، عندما فكرت فيه. إن كونراد يتصرف بغرابة شديدة، كما لو كان تائهًا ولا يعرف كيف يجب عليه التصرف. لذا على عكس ما يحاول كونراد إظهاره، كان يعاني. ومن ثم سوزانا، والطريقة التي كانت تقضي بها الكثير من الوقت في السرير، وكيف بدا عليها الحزن الشديد. كانت هي أيضًا تعاني.

الفصل السابع والعشرون

رفعت أمي عينيها عن جريدتها، ونظرت إليَّ قائلة: «أصبحتِ أنتِ وكام تقضيان الكثير من الوقت معًا».

قلتُ: «ليس حقًّا».

مع أننا بالفعل كنا كذلك.

في المنزل الصيفي يذوب كل يوم في الذي بعده فحسب؛ يصعب عليك ملاحظة مرور الوقت. لقد كنا أنا وكام نتسكع لمدة أسبوعين قبل أن أدركَ الحقيقة التالية: لقد صار أقرب إلى كونه حبيبي. لقد أمضينا عمليًّا كل الأيام معًا، لا أعرف ما الذي كنتُ أفعله قبل أن ألتقيه، لا بد أن حياتي كانت مملة حقًّا.

قالت أمي: «نحن نفتقدكِ بالمنزل».

لو كانت سوزانا هي من قالت ذلك، لكنتُ شعرتُ بالإطراء، لكن سماع ذلك من أمي كان فقط مزعجًا حقًّا، لقد بدا وكأنه توجيه لاتهام. وعلى أية حال، لم يكن الأمر كما لو أنهما توجدان بالمنزل كثيرًا أصلًا. لقد كانتا دائمًا بالخارج تفعلان أشياء، هما الاثنتان فقط، وحدهما.

سألتني سوزانا بلطف: «بيلي، هل ستجلبين فتاكِ هذا لتناول العشاء ليلة الغد؟».

أردتُ أن أقول لا، ولكن بالنسبة إليَّ، كان قول لا لسوزانا أمرًا مستحيلًا، وبخاصةٍ مع كونها تمر بظروف طلاق. لم أستطع قول لا، لذا قلتُ بدلًا من ذلك: «أممم... ربما...».

- أرجوكِ يا عزيزتي، أود مقابلته حقًّا.

استسلمتُ.

- حسنًا، سأسأله. ومع ذلك لا أستطيع أن أعدكِ بأنه ليس لديه خطط أخرى.

أومأت سوزانا بهدوء وقالت: «حسنًا، ما دمتِ ستسألينه».

لسوء الحظ، على حدِّ علمي، لم يكن لدى كام خطط أخرى.

طبخت سوزانا؛ أعدَّت «التوفو» مع الخضار المطهو بطريقة القلي السريع لأن كام نباتي. ومرة أخرى، كان هذا شيئًا أعجبني فيه واحترمته بشأنه، ولكن عندما رأيت النظرة التي رمقني بها جيرمايا، جعلتني أشعر كما لو أنني قد أعيد النظر بشأن ذلك. لقد أعدَّ جيرمايا الهامبرجر في تلك الليلة. كان يحب إيجاد أي مبرر لاستخدام الشواية، تمامًا مثل أبيه. سألني إذا كنتُ أرغب في واحد أيضًا، وقلت لا، على الرغم من أنني أردتُ.

أمَّا كونراد فكان قد أكل بالفعل وصعد إلى الطابق العلوي ليلعب بجيتاره. لم يستطع حتى أن يزعج نفسه بالأكل معنا، نزل إلى الطابق السفلي ليحضر زجاجة مياه، ولم يلقِ التحية حتى على كام.

سأل جيرمايا وقد حشا نصف شطيرة البرجر خاصته في فمه: «إذن لماذا لا تأكل اللحوم يا كام؟».

ابتلع كام الماء الذي ارتشفه وقال: «أخلاقيًّا، أنا ضد أكل الحيوانات».

أومأ جيرمايا برأسه على نحو جاد ثم قال ضاحكًا: «ولكن بيلي تأكل اللحوم، هل تركتها تُقَبِّلُكَ بتلك الشفتين؟».

تبادلت سوزانا وأمي ابتسامة توحي بأنهما تفكران في الشيء نفسه. شعرتُ بوجهي يزداد سخونة، واستطعتُ أن أشعر كيف كان كام متوترًا بجانبي.

قلتُ: «اخرس يا جيرمايا».

نظر كام إلى أمي وضحك في حرج.

- أنا لا أحكم على الأشخاص الذين يختارون أكل اللحوم، إنه خيار شخصي.

فتابع جيرمايا قائلًا: «إذن أنت لا تمانع عندما تلامس شفتاها حيوانًا ميتًا ثم تلامسان، أمم، شفتيك؟».

ضحكت سوزانا ضحكة خافتة وقالت: «جير، امنح الفتى استراحة».

فقلتُ وقد حدَّقتُ إليه في غضب: «أجل يا جير، امنح الفتى استراحة».

ركلته من تحت الطاولة ركلة قوية، قوية بما يكفي لجعله يجفل.

قال كام: «كلا، لا بأس. لا أمانع على الإطلاق. في الواقع...».

ثم ضمني إليه وقبَّلني بسرعة، أمام الجميع. لقد كانت قبلة سريعة، ولكنها كانت مُحرِجة.

مَثَّل جيرمايا كما لو كان على وشك أن يتقيأ وقال: «أرجوك لا تُقَبِّل بيلي على طاولة العشاء، هذا يصيبني بالغثيان».

هزَّت أمي رأسها قائلة: «يُسمح لبيلي بالتقبيل. (ثم لوَّحت بشوكتها في وجه كام) ولكن هذا كل شيء».

وما لبثت أن انفجرت ضاحكة كما لو كان هذا أطرف شيء قالته في حياتها على الإطلاق، وحاولت سوزانا ألا تبتسم وطلبت منها أن تصمت، أردت قتل أمي ومن ثم قتل نفسي.

قلتُ: «أمي، أرجوكِ، هذا ليس مُضحكًا، لا مزيد من النبيذ لأمي».

رفضتُ أن أنظر إلى أي مكان بالقرب من اتجاه أيٍّ من جيرمايا أو كام.

الحقيقة هي، أنني وكام لم نتخط مرحلة القُبُلات، لم يبدُ أنه في عجلة من أمره. لقد كان حذرًا معي، ولطيفًا، وأحيانًا متوترًا. كانت طريقته مختلفة تمامًا عن الطريقة التي رأيت الشباب الآخرين يتصرفون بها مع الفتيات. في الصيف الماضي، أمسكت بجيرمايا مع فتاة على الشاطئ، أمام المنزل مباشرة. لقد كانا جامحين، وكأن ملابسهما فقط هي التي منعتهما من ممارسة الجنس. لقد أريته الجحيم بسبب ذلك لبقية الصيف بأكمله، ولكنه لم يهتم حقًّا. تمنيت لو أن كام كان يهتم أكثر من ذلك بقليل.

قالت أمي وهي تأخذ رشفة من «الشاردوناي[1]»: «بيلي، أنا أمزح. تعلمين أنني منفتحة تمامًا لفكرة استكشافكِ لنفسك».

انفجر جيرمايا ضاحكًا، فوقفتُ وقلتُ: «كفى، أنا وكام سنأكل طعامنا في الشرفة».

أمسكتُ بطبقي وانتظرتُ أن ينهض كام أيضًا، ولكنه لم يفعل.

قال: «بيلي، اهدئي. الجميع يمزحون فحسب».

ثم رفع شوكته المُحَمَّلة بالطعام ودفعها في فمه.

فقال جيرمايا وهو يومئ له: «يا لها من طريقة لإبقائها تحت السيطرة يا كام».

لقد بدا نوعًا ما منبهرًا حقًّا.

جلستُ، على الرغم من أن فعل ذلك كان يقتلني. لقد كرهتُ إراقة ماء وجهي أمام الجميع. ولكني إذا خرجت بمفردي، كنتُ أعلم أنه لا أحد سيأتي ورائي. سأكون مجرد بيلي بوتون الصغيرة، التي سرعان ما تغضب وتُبوِّز مرة أخرى. كانوا ينادونني بهذا الاسم عندما كنتُ طفلة، بيلي بوتون[2]، ظن ستيفن نفسه عبقريًّا لأنه هو مَن اخترعه.

- لا أحد يستطيع إبقائي تحت السيطرة يا جيرمايا، ناهيكم بكام كاميرون.

---

(1) نوع من النبيذ الأبيض.

(2) كتب الاسم في النص بهذا الشكل "Belly Botton" ويعني **سُرَّة البطن**.

ثم صفَّق الجميع وصفَّروا، حتى كام، وفجأةً عاد كل شيء طبيعيًّا تمامًا، كما لو أن كام كان حقًّا ينتمي إلى هناك. شعرتُ بنفسي وقد بدأتُ أهدأ، كان كل شيء في طريقه ليكون على ما يرام، بل أروع ما يمكن أن يكون، في الواقع، تمامًا مثلما وعدتني سوزانا.

بعد العشاء، أخذتُ أنا وكام جولة على الشاطئ. بالنسبة إليَّ لم -ولن- يكون هناك شيء أفضل من التمشية على الشاطئ بعد منتصف الليل. تشعر وكأنك يمكنك أن تظل تتمشى إلى الأبد، كما لو أن الليل كله ملكك وكذلك المحيط. عندما تتمشى على الشاطئ في الليل، قد تبوح بأشياء لا تستطيع قولها في الحياة الواقعية. في الظلام يمكنك أن تشعر بأنك قريب جدًّا من شخص ما، يمكنك قول أي شيء تريده.

قلتُ له: «أنا سعيدة حقًّا بمجيئك».

فأمسك بيدي وقال: «وأنا أيضًا. أنا سعيد لأنكِ سعيدة».

- بالطبع أنا سعيدة.

تركتُ يده لأشمِّر بنطالي الجينز، وقال، بهدوء: «لم يبدُ عليكِ أنكِ سعيدة لهذه الدرجة».

- حسنًا، أنا كذلك.

رفعتُ رأسي لأنظر إليه وأعطيته قبلة سريعة.

- أترى؟ ها أنا ذي، عندما أكون سعيدة.

ابتسم، وواصلنا المشي مجددًا.

- جميل. إذن أي واحد من هذين الفتيين كان صاحب قبلتكِ الأولى.

- هل أخبرتكَ بذلك؟

- أجل. قلتِ إن قبلتكِ الأولى كانت من فتى على الشاطئ عندما كنتِ في الثالثة عشرة من عمرك.

- أوه. (رفعتُ رأسي لأنظر إلى وجهه في ضوء القمر، وكان لا يزال مبتسمًا) خمِّن!

فقال على الفور: «الفتى الأكبر، كونراد».

- لماذا خمَّنت أنه هو؟

هزَّ كتفيه وأجاب قائلًا: «مجرد إحساس، من الطريقة التي ينظر بها إليكِ».

قلتُ له: «إنه بالكاد ينظر إليَّ أساسًا. وأنت مخطئ يا سكستوس، لقد كان جيرمايا».

الفصل الثامن والعشرون

في عمر الرابعة عشرة

سألت تايلور كونراد قائلة: «مصارحة أم تحدٍّ؟».

فقال: «لا أريد اللعب».

- بربك، لا تكن «شاذًّا» للغاية هكذا.

قال جيرمايا: «لا يجب أن تستخدمي كلمة «شاذ» بهذا الشكل».

فتحت تايلور فمها وأغلقته، ثم قالت: «لم أقصد بها شيئًا يا جيرمي».

قال جيرمايا: «إذن ماذا تقصدين بها يا تايلور؟».

لقد تحدث بنبرة ساخرة، ولكن حتى السخرية كانت أفضل من ألا يعيرك أحد انتباهه على الإطلاق. لربما كان فقط غاضبًا من كل الاهتمام الذي كانت توليه لكونراد في ذلك اليوم.

أطلقت تايلور تنهيدة طويلة، والتفتت إلى كونراد قائلةً: «كونراد، أنت تتصرف بسخافة شديدة. فلتلعب معنا مصارحة أم تحدٍّ».

تجاهلها ورفع مستوى الصوت في التلفاز، ثم تظاهر بكتم صوتها باستخدام جهاز التحكم عن بعد، مما جعلني أضحك بصوت عالٍ.

- حسنًا، إنه منسحب. ستيفن، مصارحة أم تحدٍّ؟

رفع ستيفن بؤبؤي عينيه وقال: «مصارحة».

لمعت عينا تايلور.

- تمام، إلى أي مدى كانت علاقتك بكلير تشو قد تطورت؟

أعلم أنها كانت تحتفظ بهذا السؤال لفترة طويلة، في انتظار اللحظة المحددة التي تتمكن من طرحه فيها. كانت كلير تشو فتاة قد واعدها ستيفن لمعظم سنته الأولى من المدرسة الثانوية. أقسمت تايلور بأن كلير كان لديها كاحلين سمينين بحجم البطاطا، ولكن في رأيي كان كاحلا كلير نحيفين بشكل مثالي. اعتقدتُ أن كلير كانت فتاة مثالية بشكل عام.

لقد احمرَّ ستيفن خجلًا فعليًّا وقال: «أنا لن أجيب عن ذلك».

قلتُ: «عليك أن تجيب. إننا نلعب مصارحة أم تحدٍّ، لا يمكنك الجلوس هنا والاستماع إلى الآخرين وهم يحكون أسرارهم بينما لا تفعل أنت ذلك».

لقد كنتُ أتساءل بشأنه هو وكلير أيضًا.

فاحتجَّ قائلًا: «لم يبح أي شخص بأسرار إلى الآن!».

قالت تايلور: «إننا على وشك فعل ذلك يا ستيفن، والآن تحلَّ بشجاعة الرجال وأخبرنا».

فتدخل جيرمايا قائلًا: «أجل، تشجَّع يا ستيفن».

ثم بدأنا جميعًا نردد: «تشجَّع! تشجَّع!».

وحتى كونراد جعل التلفاز على الوضع الصامت ليسمع الإجابة.

قال ستيفن: «حسنًا، سأخبركم».

سكتنا وانتظرنا.

قلتُ: «حسنًا، ها؟».

فقال أخيرًا: «لقد تطورت إلى درجة المداعبات الحميمية».

أرخيت ظهري على الأريكة مرة أخرى. المداعبات الحميمية، عجبًا، هذا مثير للاهتمام. لقد وصل أخي إلى تلك المرحلة، عجيب، مقزز.

بدا على تايلور الشعور بالرضا، وقالت: «أحسنت يا ستيفي».

هزَّ لها رأسه وقال: «والآن قد حان دوري».

جال بنظراته في أنحاء الغرفة، وغرقتُ أنا بعمق في وسائد الأريكة. لقد كنتُ آمل حقًّا ألا يختارني ويجعلني أفصح عن ذلك بعلو الصوت عن حقيقة أنني لم أقبِّلُ فتى في حياتي حتى الآن. مع العلم أن ستيفن من شأنه أن يفعل ذلك.

ولكنه فاجأني عندما قال: «تايلور. مصارحة أم تحدٍّ؟».

لقد اندمج في اللعبة حقًّا، وبدا أنه قرر الانتقام.

قالت تلقائيًّا: «لا يمكنك أن تختارني لأنني سألتك للتو، عليك أن تختار شخصًا آخر».

وقد كان ذلك صحيحًا، تلك هي القاعدة.

- هل أنتِ خائفة يا تاي تاي؟ لماذا لا تتحلين بالشجاعة؟

ترددت تايلور بعض الشيء، ثم قالت: «حسنًا، مصارحة».

ابتسم ستيفن ابتسامة شريرة عريضة، وسأل قائلًا: «مَن يمكنكِ تقبيله في هذه الغرفة؟».

فكرت تايلور في الأمر لبضع ثوان، ثم ارتسمت على وجهها نظرة القطة التي أكلت عصفور الكناري تلك. لقد كانت النظرة التي ارتسمت على وجهها نفسها عندما صبغت شعر أختها الصغيرة باللون الأزرق عندما كنا في الثامنة من العمر. انتظرت حتى حازت انتباه الجميع، ثم قالت: «بيلي».

ساد الغرفة صمت نابع من ذهول لمدة دقيقة، ومن ثم بدأ الجميع في الضحك، وكان كونراد أعلاهم صوتًا. رميتُ وسادة على تايلور، بقوة.

قال جيرمايا وهو يلوِّح بإصبعه أمام وجهها: «هذا ليس عدلًا، إنكِ لم تُجيبي بصراحة».

فقالت تايلور في تعجرف: «بلى، لقد فعلتُ. أنا أختار بيلي. انظر جيدًا إلى الأخت الصغرى المفضلة للجميع يا جيرمي، ها هي تتحول إلى فتاة فاتنة الجمال أمام عينيك».

خبأت وجهي خلف وسادة. شعرتُ أنني كنتُ أحمَرُّ خجلًا حتى أكثر من ستيفن. على الأغلب لأن هذا لم يكن صحيحًا، لم أكن أتحول لفتاة فاتنة الجمال أمام عينَيْ أي شخص، وجميعنا نعرف ذلك.

- تايلور، اصمتي، أرجوكِ.

قال ستيفن وقد بدا شيءٌ من الاحمرار على وجهه هو الآخر: «أجل، أرجوكِ أن تسكتي يا تاي-تاي».

وقال كونراد وعيناه معلقتان على التلفاز: «إذا كنتِ جادة جدًّا هكذا، فقبِّليها».

فقلتُ وقد حدَّقتُ إليه في غضب: «مهلًا. أنا شخص يا هذا، ولستُ جمادًا. لا يمكنك أن تُقَبِّلني هكذا من دون إذني».

نظر إليَّ وقال: «أنا لستُ الشخص الذي يرغب في تقبيلك».

قلتُ بحرارة: «في كلتا الحالتين، الإذن لن يُمنح لأيٍّ منكما».

تمنيت لو أتمكن من أن أُخْرِج له لساني دون أن أُتَّهم بكوني طفلة كبيرة.

تدخلت تايلور بسرعة قائلة: «لقد اخترتُ المصارحة، وليس التحدي. ولهذا السبب ليس ثمة قبلات الآن».

فقلتُ لها: «ليس ثمة قبلات الآن لأنني لا أريد تقبيلك».

شعرتُ بالاحمرار يضرب في وجهي، جزئيًّا لأنني كنتُ غاضبة، وجزئيًّا لأنني شعرتُ بالإطراء.

- الآن دعونا نتوقف عن الحديث عن ذلك، إنه دوركِ لتسألي.

- حسنًا. جيرمايا، مصارحة أم تحدٍّ؟

قال وهو يتكئ على الأريكة بتكاسل: «تحدٍّ».

- جميل، فلتُقَبِّل شخصًا ما في هذه الغرفة، الآن.

نظرت إليه تايلور في ثقة وانتظرَتْ.

شعرتُ كما لو أن الغرفة بأكملها كانت جالسة على حافة مقعدها بينما كنا ننتظر جيرمايا أن يقول شيئًا ما. هل سيفعل هذا حقًّا؟ إنه ليس ذلك النوع من الفتيان الذي قد يرفض قبول تحدٍّ. أنا، عن نفسي، كان ينتابني الفضول بشأن كيف ستكون قُبلته، ما إذا كانت ستكون قُبلة فرنسية أم مجرد قُبلة سريعة عادية. تساءلتُ أيضًا عما إذا ستكون هذه قُبلتهما الأولى، أم أنهما قد تبادلا القُبَل سابقًا خلال هذا الأسبوع، ربما في صالة ألعاب الآركيد مثلًا بينما كنتُ غير منتبهة، إنني واثقة من أنهما قد فعلا ذلك.

اعتدل جيرمايا في جلسته وقال وهو يفرك كفيه معًا بابتسامة: «هذا أمر سهل».

ابتسمت تايلور هي الأخرى وأمالت رأسها إلى الجانب حتى سقط شعرها على عينيها قليلًا.

ثم مال نحوي وقال: «مستعدة؟».

وقبل أن أتمكَّن من الإجابة، طبَع قُبلةً مباشرةً على شفتيَّ. كان فمه مفتوحًا قليلًا، ولكنها لم تكن قبلة فرنسية أو شيئًا من هذا القبيل. حاولتُ دفعه بعيدًا، ولكنه استمر في تقبيلي لبضع ثوان أخرى.

دفعته بعيدًا ثانية، فاتكأ على الأريكة مجددًا، ببساطة شديدة، وكأن ما فعله كان شيئًا عاديًّا تمامًا. كان الآخرون جميعهم جالسين وأفواههم مفتوحة على مصراعيها، باستثناء كونراد، الذي لم يبْدُ مدهوشًا حتى. ولكنه، لم يبد مدهوشًا من قبل على أية حال. أما أنا، على الجانب الآخر، كنتُ أجد صعوبة نوعًا ما في التقاط أنفاسي. لقد تلقيتُ قُبلتي الأولى للتو، أمام الناس، أمام أخي.

لم أستطع أن أصدق أن جيرمايا قد سرق قُبلتي الأولى، أنه قد اختلسها بهذا الشكل. لقد كنتُ أنتظر، أنتظر أن تكون لحظة مميزة، وقد حدثت في أثناء لعبة مصارحة أم تحدٍّ. إلى أي مدى من الممكن لهذا أن يكون غير مميز؟ وفوق هذا كله، لقد فعل ذلك فقط لجعل تايلور تشعر بالغيرة، وليس لأنه يحبني.

وقد نجح الأمر. لقد ضيَّقت عينيها وأخذت تحدِّق إلى جيرمايا كما لو أنه قد خلع قفازه وألقى به متحديًا إياها. والذي أعتقد أنه قد بدا عليه فعلًا بشكل ما.

قال ستيفن: «هذا مقزز، هذه اللعبة مُقرِفة، سأخرج من هنا».

ثم نظر إلينا جميعًا في اشمئزازٍ وغادر.

نهضتُ أنا أيضًا، وكذلك فعل كونراد. قلتُ: «أراكم لاحقًا. و... جيرمايا، سنُصَفِّي حساب ذلك».

فغمز وقال: «تدليك للظهر سيجعلنا شبه متعادلَين».

رميتُ وسادةً على رأسه مباشرة، وصفقتُ الباب خلفي. حقيقة أنه قد تظاهر بمغازلتي كانت الجزء الأسوأ في الأمر، لقد كان ذلك متعاليًا جدًّا ومُهينًا للغاية.

استغرق الأمر مني نحو ثلاث ثوان قبل أن أدرك أن تايلور لم تأتِ ورائي. لقد كانت بالداخل تضحك على نكات جيرمايا الغبية.

في الطرقة، نظر كونراد إليَّ بنظرته المميزة التي توحي بأنه يعرف شيئًا ما جيدًا وقال: «أنتِ تعلمين أنكِ قد أحببتِ الأمر».

حدَّقتُ إليه في غضب وقلتُ: «وكيف لك أن تعرف؟ أنت مهووس بنفسك لدرجة تمنعك من ملاحظة أي شخص آخر».

ابتعد عني بضع خطوات ثم التفت وقال: «أوه، أنا ألاحظ كل شيء يا بيلي. حتى ولو كان شيئًا صغيرًا مسكينًا مثلكِ».

قلتُ: «سحقًا لك!».

لقد قلتُ ذلك لأنه كان الشيء الوحيد الذي استطعتُ التفكير فيه. كان بإمكاني سماعه يقهقه وهو يغلق باب غرفته. عدتُ إلى غرفتي ونزلتُ تحت الأغطية، أغمضتُ عينيَّ وأخذتُ أعيد وأعيد في ذهني ما حدث للتو. لقد لامست شفتا جيرمايا شفتيَّ، لم تعد شفتاي ملكًا لي. لقد لُمستا من قِبَل **جيرمايا**. لقد قبَّلني أحدهم أخيرًا، وقد كان صديقي جيرمايا هو من فعل ذلك. صديقي جيرمايا الذي كان يتجاهلني طوال ذلك الأسبوع بأكمله.

تمنيت أن أتمكن من التحدث إلى تايلور. تمنيت أن نتمكن من التحدث عن أول قبلة، ولكننا لم نستطع ذلك، لأنها كانت في تلك اللحظة بالضبط تُقَبِّل الفتى نفسه الذي قَبَّلني للتو. كنتُ واثقةً من ذلك.

عندما عادت إلى الطابق العلوي بعد ساعة، تظاهرتُ بكوني نائمة.

همست عبر الغرفة قائلة: «بيلي؟».

لم أقل أي شيء، ولكنني تقلَّبتُ قليلًا، لإضفاء بعض التأثير.

قالت: «أعلم أنكِ لا تزالين مستيقظة يا بيلي، وأنا أسامحكِ».

أردتُ أن أنهض جالسة في الحال وأقول: «أنتِ تسامحينني؟ حسنًا، أنا لا أسامحك، لمجيئك إلى هنا وتدمير صيفي بأكمله».

ولكنني لم أقل أيًّا من ذلك. فقط واصلتُ الاستمرار في التظاهر بكوني نائمة.

في صباح اليوم التالي استيقظتُ باكرًا، بعد السابعة بالضبط، ووجدتُ تايلور قد خرجت بالفعل. كنتُ أعرف أين هي، لقد ذهبت لمشاهدة شروق الشمس مع جيرمايا. لقد كنا نخطط للذهاب لمشاهدة شروق الشمس على الشاطئ في صباح أحد الأيام قبل مغادرتها، لكننا دائمًا نطيل النوم ونستيقظ متأخرًا. لقد كان هذا صباحها قبل الأخير هنا، وقد اختارت أن تقضيه مع جيرمايا كما توقعت.

ارتديتُ ثوب سباحتي وتوجهتُ إلى المسبح. في الصباح، دائمًا ما يكون الجو باردًا بعض الشيء بالخارج، فقط لسعة بسيطة من الهواء، ولكنني لم أبالِ. إن السباحة في الصباح تُشعِرني كما لو كنتُ أسبح في المحيط، حتى لو لم أكن كذلك. من الناحية النظرية، تبدو السباحة في المحيط رائعة وكل شيء، ولكن الماء المالح يحرق عينيَّ كثيرًا لأفعل ذلك كل يوم. وبالإضافة إلى ذلك، كان المسبح أكثر خصوصية، وكأنه لي وحدي. على الرغم من أن الآخرين جميعًا يسبحون فيه أيضًا، فإنني في الصباحات وفي الليل كنتُ أحظى به لنفسي تقريبًا، إلى جانب سوزانا.

عندما فتحتُ البوابة إلى حوض السباحة، رأيتُ أمي جالسة على أحد كراسي التَشَمُّس تقرأ كتابًا. إلا أنها لم تكن تقرؤه حقًّا. كانت أقرب إلى كونها مجرد حاملة إياه وتحدِّقُ إلى الفضاء.

قلتُ بغرض كسر تلك التعويذة التي تسيطر عليها أكثر من أي شيء آخر: «مرحبًا يا أمي».

نظرت إلى أعلى، في ذهول وقالت وهي تتنحنح: «صباح الخير، هل نمتِ جيدًا؟».

هززتُ كتفيَّ وأسقطتُ المنشفة على الكرسي المجاور لها.

قلتُ: «أعتقد ذلك».

ظللت أمي بيدها على عينيها ورفعت رأسها لتنظر إليَّ قائلة: «هل أنتِ وتايلور تستمتعان بوقتكما؟».

قلتُ: «كثيرًا، إلى أكبر حد».

- أين تايلور؟

فقلتُ: «ومَن يدري؟ مَن يهتم؟».

سألت أمي بشكل عَرَضي: «هل كنتما تتشاجران؟».

- لا. لقد بدأت فقط أتمنى لو أنني لم أُحضِرها إلى هنا، هذا كل شيء.

قالت لي: «الصديقات المقربات مهمات، خصوصا هؤلاء الأقرب إلى الأخوات بالنسبة إلى بعضهن بعضًا. لا تفرطا في ذلك».

فقلتُ في انفعال: «أنا لم أفرِّط في شيء. لماذا عليكِ دائمًا أن تلقي باللوم عليَّ في كل شيء؟».

- إنني لا ألقي باللوم عليكِ. لماذا تعتقدين بأن العالم يتمحور حولكِ دائمًا يا عزيزتي؟

ابتسمت أمي بطريقتها الهادئة المثيرة للغضب.

رفعتُ بؤبؤي عينيَّ وقفزتُ للخلف في المسبح، كان الماء قارس البرودة. وعندما عدتُ إلى السطح صحتُ قائلة: «أنا لا أفعل!».

ثم بدأتُ لفَّاتي، وكلما فكرتُ في تايلور وجيرمايا، كنتُ ازداد غضبًا وأسبح بقوة أكبر. وبحلول الوقت الذي انتهيتُ فيه، كانت كتفاي تحترقان ألمًا.

كانت أمي قد غادرت، لكن تايلور وجيرمايا وستيفن كانوا قد أتوا للتو.

حذَّرت تايلور وهي تغمس قدمها في الماء قائلة: «بيلي، إذا سبحتِ كثيرًا، فسينتهي بكِ الأمر بكتفين عريضتين كأكتاف السباحين هذه».

تجاهلتها. ما الذي تعرفه تايلور عن التمرين؟ إنها تعتقد أن التجول بالكعب العالي في أنحاء المركز التجاري كان تمرينًا.

سألتُ وأنا أطفو على ظهري: «أين كنتم يا رفاق؟».

فأجاب جيرمايا بغموض: «نتسكع فحسب».

قلتُ في عقلي: *خائن. إنهم حفنة من الخونة.*

- أين كونراد؟

قال جيرمايا وهو يلقي بنفسه على واحد من كراسي التَشَمُّس: «مَن يدري؟ إنه أروع بكثير من أن يتسكع برفقتنا».

قال ستيفن بنبرة دفاعية بعض الشيء: «لقد ذهب للركض. يجب أن يستعيد لياقته البدنية من أجل الموسم الكروي. يجب أن يرحل الأسبوع المقبل لأجل التمرين، أتذكرين؟».

تذكرتُ. في ذلك العام، كان على كونراد المغادرة باكرًا حتى يتمكن من العودة في الوقت المناسب لإجراء تجارب الأداء. لم يبدُ قط كلاعبي كرة القدم الأمريكية بالنسبة إليَّ، ولكن ها قد كان هناك، يحاول الانضمام إلى الفريق. خمَّنتُ أنه كان للسيد فيشر علاقة كبيرة بذلك الأمر؛ فقد كان يمتلك كل المقومات. وجيرمايا كذلك، حتى ولو لم يكن يأخذ الموضوع بشكل جدِّي، إنه لا يأخذ أي شيء بشكل جدِّي على الإطلاق.

قال جيرمايا بشكل عَرَضي: «من المحتمل أن ألتحق بالفريق أنا أيضًا في العام المقبل».

ثم استرق نظرة خاطفة إلى تايلور ليرى ما إذا كان ذلك قد أثار انبهارها، ولكن لم يبدُ عليها ذلك. لم تكن حتى تنظر إليه.

تدلت كتفاه بعض الشيء، وشعرتُ بالأسف من أجله رغمًا عني.

قلتُ: «جير، فلتسابقني، حسنًا؟».

هزَّ كتفيه ونهض واقفًا، ليخلع التي-شيرت الذي كان يرتديه، ثم مشى متجهًا نحو الجزء الأعمق وغطس في الماء.

ثم سأل حين عاد إلى السطح قائلًا: «أتريدين بدايةً استباقيةً؟».

فقلتُ وأنا أجدِّف: «كلا، أعتقد أنني أستطيع أن أهزمك دون الحصول على أية أفضلية».

- أووووه! فلنرَ.

تسابقنا على طول المسبح، سباحة حرة، وقد سبقني في الجولة الأولى، ومن ثم الثانية. ولكنني أرهقته في الجولة الثالثة والرابعة وهزمته أيضًا. هتفت لي تايلور، وهو ما أزعجني أكثر.

* * *

في صباح اليوم التالي، كانت قد خرجت مجددًا. ولكن هذه المرة، سأنضم إليهما. إن الشاطئ ليس ملكًا لها هي وجيرمايا. أنا أيضًا لدي الحق مثلهما تمامًا في مشاهدة الشروق. نهضتُ، وارتديتُ ملابسي، وتوجهتُ إلى الخارج.

لم أرهما في البداية. لقد كانا أبعد من المعتاد، وظهراهما مُدارين إليَّ، وقد طوَّقها بذراعه. لقد كانا يتبادلان القُبَل. لم يكونا يشاهدان شروق الشمس. و... فوق كل ذلك، لم يكن جيرمايا. لقد كان ستيفن، أخي.

كان الأمر أشبه بتلك الأفلام ذات النهاية المفاجئة، حيث يقع كل شيء في مكانه ويصبح منطقيًّا دَفعة واحدة. أصبحت حياتي فجأة كفيلم «المشتبه بهم المعتادون» (The Usual Suspects)، وتايلور، تحولت إلى «كايزر سوز» (Keyser Soze). مرَّت المشاهد كلها في رأسي: تايلور وستيفن يتشاحنان، ومن ثم الطريقة التي أتى بها إلى الممشى الخشبي في تلك الليلة، وكيف زعمت تايلور أن كاحلي كلير تشو سمينان بحجم حبتي البطاطا، وكل أوقات الظهيرة التي قضتها في منزلي.

لم يسمعا وقع خطواتي نحوهما. ولكنني بعد ذلك قلتُ بصوت عالٍ: «واو، أولًا كونراد، ثم جيرمايا، والآن أخي!».

التفتت للخلف، متفاجئة، وقد بدا ستيفن متفاجئًا أيضًا.

قالت: «بيلي...».

- اخرسي. (ثم نظرتُ إلى أخي بعد ذلك، وقد ارتبك وبدا عليه الشعور بالحرج) أنتَ منافق. إنك لست معجبًا بها حتى! لقد قلتَ بأنها تُشَقِّر كل خلية في دماغها باستخدام مستحضر «صن-إن»!

فتنحنح ثم قال: «إنني لم أقل هذا قط».

أخذت عيناه تتأرجحان بالنظرات بيني وبين تايلور. أما تايلور فاغرورقت عيناها بالدموع، وكانت تمسح عينها اليسرى بظهر كمِّ سترتها، بل سترة ستيفن. لقد كنتُ غاضبة جدًّا، غاضبة لدرجة أنني لم أستطع البكاء.

- سأخبر جيرمايا.

قال ستيفن وهو يهز رأسه بطريقته الأخوية: «بيلي، فقط اهدئي بحق الجحيم. أنتِ كبيرة جدًّا على نوبات غضبك هذه».

خرجت مني الكلمات ملتهبة وسريعة وأكيدة: «اذهب إلى الجحيم».

لم أتحدث بهذه الطريقة مع أخي من قبل. بل لا أعتقد أنني قد تحدثتُ بهذه الطريقة مع **أي** شخص أبدًا من قبل، رَمَش ستيفن بعينيه.

حينها كنتُ قد بدأتُ في السير بعيدًا، ولاحقتني تايلور. كان عليها أن تركض لتلحق بي، تلك كانت سرعة خطواتي حينها، أظن أن الغضب يمنحك قدرًا من السرعة.

قالت: «بيلي، أنا آسفة للغاية. كنتُ سأخبرك. لقد حدثت الأمور بسرعة فحسب».

توقفتُ عن السير واستدرتُ قائلة: «متى؟ متى حدثت؟ لأنه مما رأيته، كانت الأمور تحدث بسرعة مع **جيرمي**، وليس مع أخي الأكبر».

هزَّت كتفيها في قلة حيلة، مما جعل غضبي يزداد تأججًا فحسب. يا لتايلور الصغيرة قليلة الحيلة.

- لطالما كنتُ معجبة بستيفن، أنتِ تعرفين ذلك يا بيلي.

- في الواقع، لم أكن أعرف. شكرًا لكِ على إخباري.

- عندما بادلني الإعجاب، كنتُ كما... كما لو أنني لا أستطيع تصديق ذلك. لم أستطع التفكير حتى.

فقلتُ: «هذا هو الأمر، إنه لا يبادلكِ الإعجاب. إنه يستغل وجودك فحسب».

كنتُ أعلم أن كلماتي قاسية، ولكنني كنتُ أعلم أيضًا أنها صحيحة، ثم دخلتُ إلى المنزل وتركتها تقف في الخارج.

تبعتني وأمسكت بذراعي، ولكنني تخلصتُ من قبضتها.

قالت تايلور وعيناها البنيتان مملوءتان بالدموع: «أرجوكِ لا تغضبي يا بيلي. أريد أن تظل الأمور بيننا كما هي إلى الأبد».

ما قصدته فعلًا هو: أريدكِ أن تظلي كما أنتِ إلى الأبد بينما يزداد حجم نهديَّ وأترك عزف الكَمان وأُقَبِّلُ أخاكِ.

قلتُ: «لا يمكن للأمور أن تظل على حالها للأبد».

لقد قلتُ ذلك لأجرح مشاعرها، لأنني كنتُ أعرف أن تلك الكلمات ستنجح في ذلك.

توسلتْ قائلة: «لا تغضبي مني! حسنًا يا بيلي؟».

كانت تايلور تكره أن يغضب الناس منها.

قلتُ: «أنا لستُ غاضبة منكِ. أنا فقط أعتقد أننا لم نعد نعرف بعضنا بعضًا بعد الآن».

- لا تقولي ذلك يا بيلي.

- إنني أقول ذلك لأنها الحقيقة.

قالت: «أنا آسفة، حسنًا؟».

أشحتُ بنظري بعيدًا للحظة.

- لقد وعدتني بأن تكوني لطيفة معه.

بدت تايلور مرتبكة حقًّا وهي تقول: «مَن؟ ستيفن؟».

- كلا. جيرمايا. قلتِ بأنكِ ستكونين لطيفة.

فلوَّحَتْ بيدها في الهواء قائلة: «أوه، إنه لا يكترث».

- بلى، إنه يكترث. كل ما في الأمر أنكِ لا تعرفينه. (كما أعرفه أنا، أردتُ أن أضيف ذلك) لم أعتقد قط أنكِ ستكونين... ستكونين... (حاولتُ البحث عن الكلمة المثالية، لأجرحها كما جرحتني) عاهرة.

قالت بنبرة بالكاد تُسمع: «أنا لستُ عاهرة».

كانت تلك هي القوة التي أمتلكها أمامها، قوة براءتي المزعومة على عهرها المفترض. ولكن ذلك لم يكن إلا هراءً، كنتُ لأبادلها الأماكن في ثانية.

* * *

في وقت لاحق، سألني جيرمايا ما إذا كنتُ أريد لعب لعبة «السرعة» (Speed) بالورق. لم نلعبها ولو مرة واحدة طوال الصيف. لقد اعتدنا لعب هذه اللعبة، كانت تقليدنا الصغير. وقد كنتُ ممتنة لاستعادته، حتى ولو كان مجرد جائزة ترضية.

وزَّع جيرمايا الورق وسلمني حفنتي، وبدأنا اللعب، ولكن كل منا كان مشتت الذهن ومحمَّلًا بالكثير من العواطف. كانت لدينا أشياء أخرى تشغل أذهاننا. اعتقدتُ أنه كان لدينا هذا الاتفاق غير المعلن بألا نتحدث عنها، ولربما لم يكن لديه علم أصلًا بما حدث، ولكنه قال بعد ذلك: «أتمنى لو أنكِ لم تحضريها إلى هنا على الإطلاق».

- وأنا أيضًا.

قال وهو يُفَنِّطُ رزمة أوراقه: «يكون من الأفضل عندما يقتصر الأمر علينا نحن فحسب».

وافقته قائلة: «أجل».

وبعد أن غادرَتْ، بعد انقضاء هذا الصيف، بقيت الأمور على حالها ولم تبقَ. ظللنا أنا وهي صديقتين، ولكن ليس صديقتين مُقَرَّبتين، ليس كما كنا في السابق، ولكننا حافظنا على صداقتنا. لقد عرفتني على امتداد حياتي. من الصعب أن نرمي بالماضي وراء ظهرينا، إنه كأن ترمي بجزء من نفسك وتتخلى عنه.

عاد ستيفن من جديد مباشرة لتجاهل تايلور وللهوس بشأن كلير تشو. لقد تظاهرنا فقط وكأن شيئًا لم يحدث قط، ولكنه حدث.

الفصل التاسع والعشرون

سمعته يدخل إلى المنزل، أعتقد أن جميع مَن في المنزل قد سمعوه، ما عدا جيرمايا، الذي يستطيع النوم حتى في خضم الأمواج العارمة. شقَّ كونراد طريقه إلى الأعلى صعودًا على الدرج وهو يتعثر ويطلق اللعنات، ومن ثم أغلق بابه وشغَّل جهاز الاستريو الخاص به بصوت عالٍ. كانت الساعة الثالثة صباحًا.

مكثتُ في سريري نحو ثلاث ثوان قبل أن أقفز وأقطع الطرقة ركضًا في طريقي لغرفته. طرقتُ الباب، مرتين، لكن صوت الموسيقى كان عاليًا جدًّا لدرجة أنني شككتُ في أنه يستطيع سماع أي شيء، فتحتُ الباب، وجدته جالسًا على حافة سريره، يخلع حذاءه، ثم رفع رأسه ورآني واقفة هناك.

قال وهو ينهض ويطفئ جهاز الاستريو: «ألم تعلمكِ والدتكِ أن تطرقي الباب؟».

- لقد فعلتُ، ولكن موسيقاك كانت عالية جدًّا لدرجة أنك لم تستطع سماعي، على الأغلب أنك قد أيقظت المنزل بأكمله يا كونراد.

خطوتُ إلى الداخل وأغلقتُ الباب خلفي. لقد مرَّ وقت طويل منذ آخر مرة دخلتُ فيها إلى غرفته. وجدتها كما أتذكرها بالضبط، مرتبة بشكل مثالي.

تبدو غرفة جيرمايا أشبه بموسم الإعصار، ولم تكن غرفة كونراد كذلك. في غرفة كونراد كان ثمة مكان لكل شيء، وكل شيء في مكانه. رسوماته بالقلم الرصاص كانت لا تزال معلقة على لوحة الملصقات، لا تزال نماذجه المصغرة من السيارات مصطفة فوق تسريحته. كان من المريح رؤية أن ذلك على الأقل لا يزال على حاله.

كان شعره مبعثرًا، كما لو أن أحدًا كان يمرر يديه من خلاله. على الأرجح أنها كانت فتاة ريد سوكس.

- هل ستشين بي يا بيلي؟ أما زلتِ واشيةً؟

تجاهلته وتوجهتُ إلى مكتبه. كانت ثمة صورة مؤطرة معلقة فوقه مباشرة له وهو في زي كرة القدم الأمريكية، والكرة تحت ذراعه.

- بالمناسبة، لماذا توقفتَ عن لعب كرة القدم؟

- لم تعد ممتعة الآن.

- اعتقدتُ أنكَ أحببتها.

فقال: «كلا. لقد كان أبي هو مَن أحبها».

- ولكن بدا أنكَ قد أحببتها كذلك.

لقد بدا كذلك في الصورة، ولكن يمكنني القول إنه كان يحاول ألا يبتسم.

- لماذا توقفتِ عن الرقص؟

التفتُ ونظرتُ إليه. كان يفك أزرار القميص الخاص بزيٍّ عمله، قميص أبيض اللون، وكان يرتدي تي-شيرت تحته.

- أتذكرُ ذلك؟

- لقد كنتِ ترقصين في كل أنحاء المنزل مثل جنوم[1] صغير.

ضيَّقتُ عينيَّ وأنا أنظر إليه قائلة: «الجنومات لا ترقص. للعلم فقط، كنتُ راقصة باليه».

فابتسم بتكلف وقال: «لماذا توقفتِ إذن؟».

---

(1) الجنوم: مخلوق أسطوري يشبه رجلًا عجوزًا متقزِّمًا، يعيش في أعماق الأرض ويحرس الكنوز المدفونة.

كان ذلك تقريبًا في الوقت الذي تطلَّق فيه والداي. لم تستطع أمي أن توصلني إلى هناك وتعود لتأخذني مرتين أسبوعيًّا بمفردها. كان لديها عمل. لقد بدا الأمر فقط أنه لم يعد يستحق العناء، كنتُ قد مللته في ذلك الوقت على أية حال، وقد توقفت عنه تايلور أيضًا. وعلاوة على ذلك، لقد كرهتُ شكلي في ثوب الرقص الخاص بي. لقد نما حجم نهديَّ قبل بقية الصف بأكمله، وفي صورتنا الصفيَّة، بدوت كما لو أنني من الممكن أن أكون المعلمة، كان الأمر محرجًا.

لم أجب عن سؤاله. وبدلًا من ذلك قلتُ: «كان أدائي جيدًا حقًّا! كنتُ لأصبح راقصة في فرقة الآن!».

لم أكن لأصبح كذلك. لم يكن أدائي جيدًا لهذه الدرجة، مهما بلغ بي الخيال من سعة.

قال ساخرًا: «صحيح».

لقد بدا متعجرفًا جدًّا وهو جالس هناك على السرير.

- على الأقل أستطيع الرقص.

فاحتج قائلًا: «مهلًا، أنا أيضًا أستطيع الرقص».

عقدتُ ذراعيَّ وقلتُ: «فلتثبِت ذلك».

- ليس عليَّ إثبات ذلك. لقد علمتكِ بعض الحركات، أتذكرين؟ آهٍ كم ننسى سريعًا. (نهض كونراد بسرعة من فوق سريره وأمسك بيدي وجعلني أدورُ في حركة راقصة) أترين؟ ها نحن نرقص.

كانت ذراعه تطوق خصري، وضحك قبل أن يسمح لي بالذهاب.

قال وهو ينهار على سريره: «إنني أرقص أفضل منكِ يا بيلي».

حدَّقتُ إليه. لم أفهمه على الإطلاق. في دقيقة ما يكون متعجرفًا ومنطويًا على نفسه، وفي الدقيقة التالية أجده يضحك ويجعلني أدورُ راقصةً في أرجاء الغرفة.

قلتُ: «أنا لا أعتبر هذا رقصًا. (تراجعت للخروج من الغرفة) هل يمكنك إبقاء صوت موسيقاك منخفضة؟ لقد أيقظت المنزل بأكمله بالفعل».

ابتسم. كانت لكونراد طريقة في النظر إليَّ، إليك، إلى أي شخص، تجعل كل شيء يذوب من حوله ويرغب في الانهيار عند قدميه.

قال: «بالتأكيد. ليلة سعيدة يا بيلز».

بيلز، كُنيتي منذ ألف سنة فاتت.

لقد صعَّبَ الأمر عليَّ كثيرًا، صعَّبَ عليَّ ألا أحبه. عندما كان لطيفًا هكذا، تذكرتُ لماذا أنا واقعة في حبه، أقصد كنتُ واقعة في حبه.

تذكرتُ كل شيء.

الفصل الثلاثون

في عمر الحادية عشرة

كان المنزل الصيفي يحتوي على كومة من الأسطوانات التي استمعنا إليها باستمرار، وكان هذا هو كل شيء. لقد قضينا الصيف بأكمله نستمع إلى الأسطوانات نفسها، كانت ثمة أسطوانة لفرقة «ذا بوليس» (The Police)، التي اعتادت سوزانا تشغيلها في الصباح، وأسطوانة لـ «بوب ديلن» (Bob Dylan)، التي كانت تُشَغِّلها في فترة ما بعد الظهيرة؛ وأيضًا لـ «بيلي هوليداي» (Billie Holiday)، والتي كانت تُشَغِّلها على العشاء. وفي الليل كان لدينا حرية الاختيار، وقد كان ذلك أطرف شيء. كان جيرمايا سيشغل الأسطوانة الخاصة بألبوم «ذا كرونِك» (The Chronic)، بينما تغسل أمي الملابس، وهي تدندن مع الأغنيات. على الرغم من أنها تكره موسيقى راب العصابات. وبعد ذلك لربما تضع أمي أسطوانة «أريثا فرانكلين» (Aretha FranKlin) الخاصة بها، وسيغني جيرمايا جميع الكلمات، لأننا كنا قد حفظناها جميعًا بحلول ذلك الوقت، فقد استمعنا إليها كثيرًا جدًّا.

كانت موسيقاي المفضلة هي موسيقى «موتاون» (Motown) وموسيقى الشاطئ. لقد اعتدتُ سماعها على جهاز «الوُكْمان» (Walkman) القديم الخاص بسوزانا عندما آخذ حمَّام الشمس.

في تلك الليلة، شَغَّلتُ أسطوانة لمقاطع منوعة من موسيقى الشاطئ على جهاز الاستريو الكبير في غرفة المعيشة، وأمسكت سوزانا بيد جيرمايا وبدآ يرقصان، لقد كان يلعب البوكر مع ستيفن وكونراد وأمي، والتي كانت بارعة جدًّا في لعب البوكر.

حاول جيرمايا الامتناع في البداية، ولكنه ما لبث أن رقص على أية حال. كانا يرقصان رقصة «الشاج» (Shag)، وهي نوع من رقصات الشاطئ في الستينيات. أخذتُ أشاهدهما، سوزانا وهي ترمي برأسها للخلف وتضحك، وجيرمايا وهو يجعلها تدور راقصة، وقد شعرتُ بالرغبة في الرقص أنا الأخرى. كانت قدماي تتوقان للرقص. فقد تعلمتُ رقص الباليه والرقص المعاصر، في نهاية المطاف. ويمكنني التباهي بمدى كفاءتي.

طالبتُه وقد وكزته بإصبع قدمي الكبيرة قائلة: «ستيفي، ارقص معي».

لقد كنتُ مستلقيةً على الأرض، على بطني، أشاهدهما.

قال: «أجل، حسنًا».

ولكنه لم يكن يستطيع الرقص على الإطلاق.

حثَّت سوزانا كونراد قائلة: «كوني، ارقص مع بيلي».

وقد احمر وجهها عندما جعلها جيرمايا تدور ثانية.

لم أجرؤ على النظر إلى كونراد. كنتُ أخشى أن يبدو حبي له، وحاجتي إلى موافقته مكتوبين على وجهي كالقصيدة.

تنهد كونراد. ولكنه كان كبيرًا بما يكفي لفعل الشيء الصحيح في ذلك الوقت. لذا مدَّ لي يده وجذبني لأنهض. وقفتُ على قدميَّ المرتعشتين، لم يترك يدي.

قال وهو يحرك قدميه من جانب لآخر: «هكذا تُرقَصُ رقصة «الشاج». واحد-اثنان-ثلاثة، واحد-اثنان-ثلاثة، ثم خطوة الروك[1]».

استغرق الأمر مني بضع محاولات حتى نجحتُ في فعلها. كان الأمر أصعب مما بدا عليه، وكنتُ متوترة.

قال ستيفن من أحد المقاعد الجانبية: «حافظي على الإيقاع».

وقالت أمي من فوق الأريكة: «لا تكوني متشنِّجَة للغاية بهذا الشكل يا بيلي، إنها رقصة هادئة».

حاولت أن أتجاهلهما وأركِّز نظري على كونراد فحسب.

سألته قائلة: «كيف تعلمتَ هذا؟».

فأجاب كونراد ببساطة: «لقد علمتنا أمي نحن الاثنين. (ثم جذبني إليه وطوَّقني بذراعه، وهكذا أخذنا خطواتنا معًا، جنبًا إلى جنب) هذه الحركة تسمى التضام.

كان التضام هو جزئي المفضل؛ لم أقترب منه بهذا القدر قط من قبل.

قلتُ متظاهرة بأنه قد اختلط عليَّ الأمر: «دعنا نفعلها مرة أخرى».

أراني الطريقة مرةً أخرى، واضعًا ذراعه فوق ذراعي.

- أترين؟ ها قد بدأتِ تتمكنين منها.

جعلني أدور، وقد شعرتُ بالدوار من فرط الفرحة، الفرحة الخالصة المطلقة.

---

(1) "خطوة الروك" أو "خطوة الوصل" هي تلك الخطوة الراقصة عندما تحرك إحدى قدميك خلف الأخرى ثم ترفع قدمك الأمامية.

الفصل الحادي والثلاثون

قضيت اليوم التالي بأكمله في المحيط، مع كام، حزمنا الأغراض من أجل نزهتنا الشاطئية، أعدَّ كام شطائر الأفوكادو والكرنب مع المايونيز الذي قد أعدته سوزانا يدويًّا في المنزل والخبز الأسمر. وقد كانت لذيذة، بقينا في المحيط لما بدا وكأنه ساعات، ومع كل موجة تعلو، كان أحدنا يبدأ في الضحك، ثم تغمرنا الموجة والمياه. أحرقتني عيناي بسبب مياه المحيط المالحة، وشعرت ببشرتي متهيجة بسبب احتكاكها بالرمال مرارًا وتكرارًا، كما لو أنني قد فركت جسدي بأكمله بمقَشِّر الجسم ذي خلاصة المشمش ورائحته الخاص بأمي من ماركة «سانت إيفز» (St. Ives). لقد كان رائعًا جدًّا.

وبعد ذلك، عدنا إلى منشفتينا بخطوات متعثرة. أحببت الشعور بالبرودة والرطوبة في المحيط، ومن ثم الركض إلى المناشف والسماح لحرارة الشمس بتجفيف حبَّات الرمال حتى تكاد تشويها. يمكنني فعل ذلك طوال اليوم: المحيط، الرمال، المحيط، الرمال. كنتُ قد أحضرتُ سكاكر «لفائف الفواكه» (Fruit Roll-Ups) بطعم الفراولة، أكلناها بسرعة كبيرة لدرجة أن أسناني آلمتني.

قلتُ بينما أبحثُ عن القطعة الأخيرة: «أحبُ لفائف الفواكه».

فخطفها وقال وهو ينتزع غلافها البلاستيكي: «وكذلك أنا، لقد أكلتِ ثلاثة بالفعل ولم آكل أنا إلا اثنتين فقط».

ثم ابتسم وجعلها تتدلَّى فوق فمه.

حذَّرته قائلة: «لديك ثلاث ثوان لتعطيني إياها. حتى لو حصلتَ على اثنتين فقط من لفائف الفواكه وحصلتُ أنا على عشرين. إنه منزلي».

ضحك كام ووضعها بالكامل في فمه. وقال وهو يمضغ بصوت عالٍ: «هذا ليس منزلك. إنه منزل سوزانا».

قلتُ وقد ارتميتُ ثانية على منشفتي: «هذا يُظهر مقدار معرفتك. إنه منزلنا جميعًا».

شعرتُ فجأة بالعطش الشديد. كانت سكاكر لفائف الفواكه تسبب ذلك. بخاصة عندما تلتهم ثلاثة منها في نحو ثلاث دقائق.

قلتُ: «هلا تعود لمنزلنا وتحضر لي بعضًا من شراب «كولايد»؟ أتوسل إليك؟».

فقال كام وهو يهز لي رأسه بحزن: «لا أعرف أي شخص يستهلك السكر أكثر مما تفعلين في يوم واحد. السكر الأبيض مُضِرّ».

جادلته قائلةً: «هذا ما يقوله الفتى الذي قد أكل للتو آخر قطعة من السكاكر!».

قال: «ما دمت لم أسرف فلا ضرر. (ثم وقف ونفض الرمال عن سرواله) سأحضر لكِ الماء، وليس شراب «كولايد»».

أخرجتُ لساني له، وتقلَّبتُ على الجانب الآخر وقلتُ: «فقط أسرع حيال ذلك».

بيد أنه لم يُسرع. لقد غاب لخمس وأربعين دقيقة قبل أن أعود إلى المنزل حاملة مناشفنا وواقي الشمس والقمامة، أتنفس بصعوبة وأتعرق مثل جَمَل في قلب الصحراء. وجدته في غرفة المعيشة، يلعب ألعاب الفيديو مع الأولاد. كانوا جميعهم مستلقين وهم يرتدون ملابس السباحة خاصتهم. لقد قضينا معظم الصيف مرتدين ملابس السباحة بهذا الشكل.

قلتُ وأنا ألقي بحقيبة شاطئي على الأرض: «أشكرك على عدم عودتك بشراب «كولايد»».

رفع كام نظره عن اللَعِب وقال: «أووبس! عذرًا، هذا خطئي. لقد طلب مني الفتيان اللعب، لذا...».

تلاشى صوته.

نصحه كونراد قائلًا: «لا تعتذر».

وأضاف جيرمايا وهو يضغط بإبهامه بقوة مقبض التحكم: «أجل، مَن أنت، عبدها؟ هل ستجعلك الآن تعد لها شراب «الكولايد»؟».

ثم التفت وابتسم إليَّ ابتسامة عريضة ليُظهِر لي أنه كان يمزح، ولكنني لم أبتسم له لأظهر أنه لا بأس.

لم يقل كونراد شيئًا، ولم أنظر إليه حتى، رغم أنني كان بإمكاني الشعور به وهو ينظر إليَّ. تمنيتُ أن يتوقف.

لماذا حتى في وجود صديق لي لا أزال أشعر بأنني مستبعدة من ناديهم؟ لم يكن هذا عدلًا. ليس عدلًا أن يكون كام ممتنًّا للغاية لكونه جزءًا من هذا كله، لقد كان اليوم يسير على ما يرام.

سألتُ قائلة: «أين أمي وسوزانا؟».

فأجاب جيرمايا بغموض: «لقد ذهبتا إلى مكان ما».

- للتسوق، ربما؟

كانت أمي تكره التسوق، لا بد أن سوزانا قد أخذتها عنوة.

توجهتُ إلى المطبخ لأعد لنفسي شراب «الكولايد». نهض كونراد وتبعني. لم يكن عليَّ أن ألتفت لأعرف أنه كان هو.

شرعتُ في عملي، بدأتُ أسكب لنفسي كوبًا من شراب «كولايد» بنكهة العنب، متظاهرة بأنه لم يكن واقفًا هناك، يراقبني.

قال أخيرًا: «هل ستظلين تتجاهلينني فحسب؟».

فقلتُ: «لا، ماذا تريد؟».

تنهد واقترب.

- لماذا عليكِ أن تكوني هكذا؟ (ثم انحنى للأمام، وهو قريب مني، قريب جدًّا) هل يمكنني الحصول على بعض من هذا؟

وضعتُ الزجاجة على المَشرَب وبدأتُ في الابتعاد، لكنه أمسك بمعصمي. أعتقد أنني قد شهقتُ.

- بربكِ يا بيلز.

كانت أصابعه باردة، تمامًا كما هو حاله دائمًا. شعرتُ فجأة بحرارة محمومة بداخلي.

انتزعتُ يدي قائلة: «اتركني وشأني».

- لم أنتِ غاضبة مني؟

كان لديه الجرأة على أن يتظاهر بالحيرة والقلق في الوقت نفسه. لأنه بالنسبة إليه، كان الشيئان مرتبطين ببعضهما بعضًا: حين يكون في حيرة فإنه يقلق أيضًا. وكان من النادر جدًّا أن يكون محتارًا، لذلك كان من النادر جدًّا أن تجده قلقًا. بالتأكيد لم يكن قط قلقًا عليَّ. إنني شيء عديم الأهمية بالنسبة إليه، لطالما كنتُ كذلك.

- هل تهتم حقًّا؟

شعرتُ بقلبي يضطرب بقوة في صدري، أحسستُ بغيظ غريب في انتظار سماع إجابته.

قال كونراد وقد بدا متفاجئًا، كما لو كان هو أيضًا لم يستطع تصديق أنه يهتم: «أجل».

المشكلة كانت، أنني لم أكن أعلم على الإطلاق. أعتقد أن هذا في الغالب بسبب الطريقة التي جعلني بها أشعر بكل تلك الأشياء المتضاربة في داخلي. أن يكون لطيفًا معي في دقيقة، وباردًا في الدقيقة التي تليها. لقد جعلني أتذكر أشياء لم أرغب في تذكرها. ليس الآن. كانت الأمور تسير بشكل جيد حقًّا مع كام، ولكن في كل مرة اعتقدتُ أنني متأكدة من مشاعري نحوه، كان كونراد ينظر إليَّ بطريقة معينة، أو يجعلني أدور في حركة راقصة، أو يدعوني بيلز، ويتحول كل شيء آخر إلى مجرد هراء.

قلتُ: «أوه، لماذا لا تذهب لتدخين سيجارة؟».

تشنجت عضلة في فكِّه وقال: «حسنًا».

شعرتُ بمزيج من الذنب والرضا لأنني تمكنتُ من إثارة غضبه أخيرًا. ولكنه ما لبث أن أردف قائلًا: «لماذا لا تذهبين وتنظرين إلى نفسك في المرآة بضع مرات أكثر؟».

شعرتُ كما لو أنه قد صفعني على وجهي. كان شيئًا مُهينًا، أن يكشف شخص ما أمرك وتجده يرى الأشياء السيئة بشأنك. لقد رآني وأنا أنظرُ إلى نفسي في المرآة، أتحققُ من مظهري، أعجبُ بنفسي؟ هل صار الجميع يعتقدون أنني مختالة وسطحية الآن؟

زممتُ شفتيَّ وتراجعتُ مبتعدة عنه، وأنا أهزُّ رأسي ببطء.

قال: «بيلي...».

لقد بدا آسفًا. كان الأسف مكتوبًا على وجهه بأكمله.

دخلتُ إلى غرفة المعيشة وتركته واقفًا هناك. حدَّق كام وجيرمايا إليَّ كما لو كانا يعلمان أن شيئًا ما قد حدث. هل سمعانا؟ وهل هذا سيهم بأي شكل من الأشكال؟

قلتُ: «سأشارك في الجولة القادمة».

تساءلتُ ما إذا كانت هذه هي الطريقة التي يموت بها إعجابك القديم بأحدهم، بأنين خافت، ببطء، ومن ثم، وبتلك البساطة... ينتهي.

الفصل الثاني والثلاثون

أتى كام إلى المنزل مرة أخرى، وبقي حتى وقت متأخر. عند نحو منتصف الليل سألته عما إذا كان يود التمشية على الشاطئ. وكذلك فعلنا، وأيضًا... تشابكنا بالأيدي. بدا المحيط فضِّي اللون وسحيق الأعماق، وكأن عمره مليون سنة، وهو ما خمَّنتُ أنه صحيح.

سألني قائلًا: «مصارحة أم تحدٍّ؟».

لم أكن في مزاج لمصارحات فعلية. فجاءتني فكرة، من العدم. كانت الفكرة كالتالي: أردتُ أن أسبح عارية... مع كام. كان هذا ما يفعله الشباب والفتيات الأكبر سنًّا على الشاطئ، تمامًا كإقامة العلاقات في سينما السيارات. إذا سبحنا عاريين، فسيكون ذلك بمنزلة دليل، على أنني قد كبرتُ.

لذا قلتُ: «كام، دعنا نلعب لعبة «ماذا تُفَضِّل». ماذا تُفَضِّل.. السباحة عاريًا في هذه الثانية، أم...؟».

كنت أواجه مشكلة في التفكير في الخيار الثاني.

فقال وقد ابتسم ابتسامة عريضة: «الخيار الأول، الخيار الأول. أو كلاهما، مهما كان الخيار الثاني».

أُصبت بالدوار فجأة، كما لو أنني في حالة من السُكْر. هربتُ منه راكضةً نحو الماء ورميت كنزتي على الرمال. كنتُ قد ارتديتُ البيكيني تحت ملابسي.

صحتُ وأنا أفك أزرار سروالي القصير قائلة: «إليكَ القواعد. لا عري حتى نصبح مغمورين في المياه بالكامل! ولا اختلاس للنظر!».

قال وهو يركض نحوي والرمال تتطاير في كل مكان من حوله: «انتظري، هل سنفعل ذلك حقًّا؟».

- أجل، ألا تريد ذلك؟

- بلى، ولكن ماذا لو رأتنا والدتكِ؟

ألقى كام نظرة إلى المنزل.

- لن تفعل. لا يمكنك رؤية أي شيء من المنزل؛ الظلام حالك.

نظر إليَّ ومن ثم إلى المنزل من جديد. وقال في ارتياب: «ربما في وقت لاحق».

حدَّقتُ إليه. أليس هو الشخص الذي كان عليه أن يُقنعني بفعل هذا؟

- هل أنتَ جاد؟

ولكن ما أردت قوله حقًّا كان: هل أنت شاذ؟

- أجل. الوقت ليس متأخرًا بما فيه الكفاية لئلا يلحظنا أحد. ماذا لو كان هناك أناس لا يزالون مستيقظين؟ (التقط كنزتي من فوق الرمال وأعطاها لي) ربما يمكننا فعل ذلك فيما بعد.

أعلم بأنه لم يكن يعني ذلك.

كان جزء مني حانقًا، وجزء آخر قد تغمَّده الارتياح. إن الأمر أشبه بأن تشتهي شطيرة زبدة الفول السوداني والموز المقلية ثم تدرك بعد قضمتين أنك لم تكن تريدها حقًّا.

أخذتُ منه كنزتي وقلتُ: «لا تسدِني أي معروف يا كام».

ثم ابتعدتُ بأسرع ما يمكنني، والرمال تُركَل من ورائي. اعتقدتُ بأنه قد يتبعني، ولكنه لم يفعل. ولم أنظر إلى الوراء لأرى ما الذي كان يفعله أيضًا.

على الأرجح كان جالسًا على الرمال يكتب إحدى قصائده الغبية تحت ضوء القمر.

بمجرد أن عدتُ إلى الداخل، اندفعتُ إلى المطبخ كالعاصفة. لم يكن سوى ضوء واحد مضاء؛ وكان كونراد جالسًا إلى الطاولة يغرف بطيخًا بالملعقة.

سأل في سخرية: «أين كام كاميرون؟».

كان عليَّ أن أفكر لثانية فيما إذا كان يحاول التصرف بلطف أم إنه يستهزئ بي. بدا تعبير وجهه طبيعيًّا ومحايدًا، لذا اعتبرت أنه كان القليل من كليهما. لو كان سيتظاهر بأن شجارنا السابق لم يحدث، فكذلك سأفعل أنا.

قلتُ وأنا أفتش في الثلاجة وأخرِجُ الزبادي: «ومَن يدري؟ مَن يهتم؟».

- هل تشاجر عصفورا الحب؟

جعلتني النظرة المتعجرفة المرتسمة على وجهه أرغب في صفعه.

قلتُ وأنا أجلس بجانبه ومعي ملعقة وعبوة من زبادي الفراولة: «فلتركز اهتمامك على شؤونك الخاصة».

وجدتُ أن الزبادي كان أحد أغراض سوزانا الخالية من الدسم، وبدا الجزء العلوي منه مائيًّا ومتجمدًا. فأغلقتُ الغطاء الورقي-المعدني للعبوة وأزحتُها بعيدًا.

دفع كونراد البطيخ نحوي قائلًا: «لا ينبغي لكِ أن تكوني قاسية للغاية على الناس يا بيلي. (ثم وقف وأردف) ارتدِي كنزتك».

أخذتُ قطعة من البطيخ وأخرجتُ لساني إلى ظهره في أثناء خروجه من المطبخ. لماذا جعلني أشعر كما لو أنني ما زلتُ في الثالثة عشرة من عمري؟ في رأسي سمعتُ صوت أمي يقول: «لا أحد يمكنه أن يجعلكِ تشعرين بأنكِ أي شيء يا بيلي. ليس من دون إذن منكِ. «إليانور روزفلت» قالت ذلك. لقد كنتُ على وشك أن أسمِّيكِ على اسمها». بلاه، بلاه، بلاه. ولكنها كانت نوعًا ما على حق. لن أعطيه الإذن ليجعلني أشعر بالسوء، ليس بعد الآن. تمنيت فقط لو أن شعري كان مبللًا على الأقل، أو أن ملابسي كانت محملة بحبيبات من الرمال، لكي يكون بإمكانه أن يفكر في أننا كنا ننوي فعل شيء ما، حتى لو لم نكن كذلك.

جلستُ إلى الطاولة وأكلتُ البطيخ. أكلتُ حتى أنهيتُ نصفه. كنت أنتظر عودة كام إلى الداخل، ولما لم يفعل ذلك، ازداد غضبي فحسب. كان جزء مني يميل إلى أن أوصد الباب وأتركه بالخارج. لربما يلتقي رجلًا مشرَّدًا ما ويصبح صديقًا له، ومن ثم يحكي لي قصة حياة الرجل في اليوم التالي. أعلم بأنه لم يكن ثمة أي رجال مشرَّدين في طرفنا من الشاطئ. لم يسبق لي أن رأيت رجلًا مشرَّدًا في كازينز، أو شيء من هذا القبيل. ولكن لو كان هناك، لكان كام سيجده. إلا أن كام لم يعد إلى المنزل، لقد غادر فحسب. سمعتُ صوت سيارته وهي تنطلق، شاهدته من ردهة الطابق السفلي وهو يبتعد على طول الطريق. أردتُ أن أركض خلف سيارته وأصرخ عليه، كان من المفترض أن يعود. ماذا لو أنني قد أفسدتُ الأمور ولم يعد معجبًا بي بعد الآن؟ ماذا لو لم أره مجددًا؟

في تلك الليلة استلقيتُ على سريري، أفكر في الغراميَّات الصيفية كيف تحدث بسرعة كبيرة، ومن ثم تنتهي بسرعة كبيرة.

ولكن في صباح اليوم التالي، خرجتُ إلى التِراس لآكل التوست الخاص بي، وجدتُ زجاجة ماء فارغة على الدَرَج المؤدي إلى الشاطئ، «بولاند سبرينج»، النوع الذي يشربه كام دائمًا. كانت ثمة قطعة ورق صغيرة بالداخل، ملاحظة. رسالة في زجاجة. كان الحبر ملطخًا قليلًا، ولكني أستطيع قراءة المكتوب فيها. مكتوب: «إني أدين لكِ بأن نسبح عاريين في منتصف الليل».

الفصل الثالث والثلاثون

أخبرني جيرمايا بأنني يمكنني القدوم والتسكع عند المسبح بينما يمارس عمله مُنقذ غرق، لم أدخل من قبل إلى مسبح النادي الريفي. لقد كان ضخمًا وفخمًا، لذا انتهزتُ الفرصة.

بدا النادي الريفي مكانًا غامضًا بالنسبة إليَّ. لم يسمح لنا كونراد بالقدوم الصيف الماضي، قائلًا بأن ذلك سيكون مُحرِجًا.

في العصر، قدتُ دراجتي إلى هناك. بدا العشب الأخضر في كل مكان من حوله؛ لقد كان محاطًا بملعب للجولف. وتوجد هناك فتاة تجلس إلى طاولة ومعها لوح كتابة مشبكي، فذهبتُ إليها وقلتُ لها بأنني هنا لرؤية جيرمايا، فلوَّحت لي بالدخول.

رصدتُ جيرمايا قبل أن يراني. رأيته جالسًا على كرسي المنقذ يتحدث إلى فتاة داكنة الشعر ترتدي بيكيني أبيض اللون. كان يضحك، وهي كذلك. بدا كما لو أنه شخص مهم للغاية بجلوسه على ذلك الكرسي، فكرت لوهلة أنني لم أره قط في وظيفة فعلية من قبل.

شعرتُ بالخجل فجأة. مشيت إليه ببطء، ونعلاي يطرقعان على طول رصيف المسبح مع كل خطوة.

قلتُ عندما أصبحتُ على بعد بضعة أقدام منهما: «مرحبًا».

نظر جيرمايا إلى الأسفل من كرسيه العالي وابتسم لي ابتسامة عريضة وقال وهو يحدِّقُ إليَّ مُحشِّفًا عينيه ويحجب الشمس عنهما بيديه: «لقد أتيتِ!».

- أجل.

أخذتُ أؤرجح حقيبتي القماشية ذهابًا وإيابًا، مثل البندول. كان اسمي مكتوبًا عليها بأحرف متصلة، إنها من ماركة «إل. إل. بين» (L. L. Bean)، هدية من سوزانا.

- بيلي، هذه يولي. زميلتي في الإنقاذ.

مدت يولي يدها وصافحت يدي. لقد تفاجئتُ لكونه شيئًا رسميًّا للغاية بالنسبة إلى فتاة ترتدي البيكيني. كانت مصافحتها قوية، وقبضتها لطيفة، وهو شيء كانت أمي ستُقَدِّره كثيرًا.

قالت: «مرحبًا بيلي. لقد سمعتُ الكثير عنكِ».

فقلتُ وأنا أنظر إلى جيرمايا: «فعلًا؟».

ابتسم بتكلف وقال: «أجل. لقد أخبرتها بكل شيء بشأن الطريقة التي تُشَخِّرين بها بصوت عالٍ للغاية لدرجة أنني أستطيع سماعكِ من الطرف الآخر من الطُرقة».

ضربته ضربة قوية في قدمه قائلة: «اصمت. (ثم التفتُّ إلى يولي) سررتُ بلقائكِ».

ابتسمت لي -كانت لديها غمَّازة على كلا الخدين وسِنَّة سفلية معوجَّة- وقالت: «وأنا كذلك. جير. أتريد أن تأخذ استراحة الآن؟».

فقال: «بعد قليل. بيلي، اذهبي واحرقي نفسكِ في الشمس كالمعتاد».

أخرجت له لساني وفرشتُ منشفتي على أحد كراسي التشمُّس الذي ليس بالبعيد جدًّا. كان المسبح فيروزيًّا بشكل مثالي، لا تشوبه شائبة. وهناك منصتان للقفز، إحداهما مرتفعة والأخرى منخفضة. وهناك طن من الأطفال يطرطشون بالماء داخله. قررتُ أنني سأسبح أيضًا عندما لا أستطيع تحمل الحرارة أكثر. استلقيتُ هناك فحسب، مرتدية نظارتي الشمسية وعيناي مغمضتان، أستمتع بحمَّام الشمس بينما أستمع إلى موسيقاي.

أتى جيرمايا بعد فترة، جلس على حافة الكرسي وشرب من تُرمس شراب «كولايد» الخاص بي.

قلتُ: «إنها فتاة جميلة».

هزَّ كتفيه قائلًا: «مَن؟ يولي؟ إنها لطيفة. واحدة من معجباتي الكثيرات».

- ها!

- وماذا عنكِ إذن؟ كام كاميرون، ها؟ كام النباتي، كام فتى الحافة المستقيمة.

حاولتُ ألا أبتسم.

- وماذا في ذلك؟ أنا معجبة به.

- إنه غريب الأطوار نوعًا ما.

- هذا ما أحبه فيه. إنه مختلف.

قطَّب جبينه قليلًا وقال: «مختلف عن مَن؟».

- لا أعلم.

ولكنني كنتُ أعلم بالفعل. كنت أعلم بالضبط عمَّن كان مختلفًا.

- أتقصدين أنه ليس وغدًا ككونراد؟

ضحكتُ، وكذلك فعل هو.

- أجل، بالضبط. إنه لطيف.

- لطيف فقط، هاه؟

- أكثر من لطيف.

- لقد تخطيتِ حبكِ له إذن؟ بصدق؟

كان كلانا يعرف «له» عائدة على مَن.

قلتُ له: «أجل».

قال جيرمايا وقد حدَّقَ إليَّ من كثب، تمامًا مثلما كان يحاول اكتشاف أي نوع من البطاقات أحملها في يدي في أثناء لعبة «أونو» (Uno): «لا أصدقك».

خلعتُ نظارتي الشمسية ونظرتُ في عينيه.

- إنها الحقيقة. لقد تخطيته.

قال جيرمايا وهو ينهض واقفًا: «سنرى، لقد انتهت استراحتي. هل أنتِ على ما يرام هنا؟ انتظري قليلًا وسأقود بكلينا إلى المنزل. يمكنني وضع دراجتكِ بالخلف».

أومأتُ برأسي، وراقبته وهو يسير عائدًا إلى كرسي المنقذ. كان جيرمايا صديقًا رائعًا، لطالما أحسن معاملتي، واعتنى بي.

الفصل الرابع والثلاثون

جلست أمي وسوزانا على الكراسي الشاطئية، واستلقيتُ أنا على منشفة قديمة تحمل رسمة دمية دُب محشوَّة من ماركة «رالف لورين» (Ralph Lauren). لقد كانت المفضلة لديَّ لأنها كانت طويلة جدًّا، وناعمة للغاية من كثرة غسلها.

سألتني أمي قائلة: «ماذا ستفعلين الليلة يا بين؟».

أحببتُ أن تناديني أمي بـ«بين». لقد ذكرتني بحين كنتُ في السادسة من عمري وأنام في سريرها.

قلت لهما في فخر: «أنا وكام ذاهبين إلى ملعب الجولف المُصَغَّر».

لقد اعتدنا الذهاب إليه عندما كنا أطفالًا. كان السيد فيشر يأخذنا إلى هناك، ودائمًا ما يحرِّضُ الأولاد على بعضهم بعضًا قائلًا: «عشرون دولارًا لأول مَن يُدخِل الكرة في الحفرة». «عشرون دولارًا للفائز». أحبَّ ستيفن ذلك. أعتقدُ أنه قد تمنى لو أن السيد فيشر كان أبانا. في الواقع، كان من الممكن أن يكون كذلك. أخبرتني سوزانا بأن أمي قد واعدته أولًا. ولكن أمي سلَّمته لسوزانا لأنها عرفت بأنهما سيكونان مثاليين لبعضهما بعضًا.

لقد أشركني السيد فيشر في مسابقات الجولف المُصَغَّر، ولكنه لم يتوقع مني مطلقًا أن أفوز. وبالطبع لم أفز قط. كنتُ أكره الجولف المُصَغَّر على أية حال. كرهتُ المضارب الصغيرة كالأقلام الرصاص والعشب المزيف. لقد كان مزعجًا بشكل مثالي، نوعًا ما مثل السيد فيشر. أراد كونراد بشدة أن يكون مثله، وكنتُ آمل ألا يصبح كذلك أبدًا.

آخر مرة ذهبتُ فيها إلى الجولف المُصَغَّر كنتُ في الثالثة عشرة من عمري وهناك جاءتني دورتي الشهرية للمرة الأولى. كنتُ أرتدي سروالًا أبيض وقد شعر ستيفن بالخوف. لقد اعتقد أنني قد جرحتُ نفسي أو شيئًا من هذا القبيل، ولثانية، اعتقدتُ ذلك أيضًا. وبعد هذه التجربة، لم أرغب قط في العودة إلى هناك، ولا حتى عندما دعاني الأولاد. لذا بدا لي الذهاب مع كام وكأني سأستعيد الجولف المُصَغَّر مرة أخرى، أي استعادته لنفسي ذات الاثني عشر عامًا، لقد كانت فكرتي أن نذهب إلى هناك.

قالت أمي: «هل يمكنكِ العودة إلى المنزل مبكرًا؟ أريدنا أن نقضي بعض الوقت معًا، ربما نشاهد فيلمًا».

- مبكرًا متى؟ إنكما يا رفاق تخلدان إلى النوم في نحو التاسعة.

خلعت أمي نظارتها الشمسية ونظرت إليَّ. كان لديها علامتان على أنفها في موضع سنَّادتي نظارتها.

- أتمنى لو أنكِ تقضين المزيد من الوقت في المنزل.

فذكَّرتها قائلة: «أنا في المنزل الآن».

لقد تصرفت وكأنها لم تسمعني.

- إنكِ تقضين الكثير من الوقت مع هذا الفتى.

- لقد قلتِ إنه أعجبكِ!

نظرتُ إلى سوزانا طلبًا للدعم، فرمقتني بنظرة تعاطف. تنهدت أمي، وفي تلك اللحظة قالت سوزانا: «إن كام يعجبنا بالفعل، ولكننا نفتقدكِ يا بيلي. نحن نتقبل تمامًا حقيقة أن لديكِ حياة فعلية، (ثم عدلت قبعتها الشمسية المصنوعة من القش وغمزت لي) نريدكُ فقط أن تقضي معنا بعض الوقت أكثر بقليل!».

ابتسمتُ رغمًا عني، وقلتُ وأنا مستلقية على المنشفة: «حسنًا، سأعود إلى المنزل مبكرًا. لنشاهد فيلمًا».

قالت أمي: «اتفقنا».

أغمضتُ عيني ووضعتُ سماعات الرأس الخاصة بي. لربما كان معها حق، لقد كنتُ أقضي كل وقتي مع كام. لربما كانت حقًّا مشتاقة إليَّ. الأمر فقط، أنها لا يمكن أن تعتبره أمرًا مفروغًا منه أنني سأقضي كل ليلة في المنزل مثل كل صيف آخر. لقد أوشكتُ على إتمام السادسة عشرة، لقد أصبحتُ عمليًّا شخصًا بالغًا، وعلى أمي تقبُّل حقيقة أنني لن أظل صغيرتها «بين» إلى الأبد.

لقد ظنتا أنني كنتُ نائمة عندما بدأتا في الحديث، ولكنني لم أكن كذلك. كنتُ أستطيع سماع ما تقولانه، حتى مع صوت الموسيقى.

قالت أمي بصوت خافت: «لقد أصبحت تصرفات كونراد تثير الأعصاب مؤخرًا، فقد ترك كل زجاجات البيرة هذه في التِراس لأنظفها. لقد خرج الأمر عن السيطرة».

تنهدت سوزانا وقالت: «أعتقد أنه يعلم بأنه ثمة خطب ما، هو على هذا الحال منذ شهور. إنه حسَّاس للغاية، أعلم بأنه أكثر من سيؤلمه الأمر».

- ألا تعتقدين أن الوقت قد حان لإخبار الأولاد؟

في كل مرة تقول فيها أمي «ألا تعتقدين» يكون كل ما تعنيه حقًّا هو: «أنا أعتقد ذلك. لذا عليكِ أيضًا أن تعتقدي الشيء نفسه».

- عندما ينتهي الصيف، هذا وقت قريب بما فيه الكفاية.

فقالت أمي: «بيك، أعتقد أن الوقت قد حان».

- سأعرفُ متى يحين الوقت، لا تضغطيني يا لور.

كنتُ أعلم أنه ليس ثمة شيء يمكنها قوله من شأنه أن يغير رأيها. كانت سوزانا هينة لينة، ولكنها حازمة وعنيدة كالصخر إذا أرادت أن تكون كذلك. لقد كان ثمة فولاذ نقي تحت كل نعومتها ورقتها.

أردتُ أن أقول لكليهما: إن كونراد يعرف بالفعل، وكذلك جيرمايا، ولكنني لم أستطع. لم يكن من الصواب فعل هذا، ليس من شأني أن أقول.

لقد أرادت سوزانا أن يكون هذا الصيف صيفًا مثاليًّا حتى النهاية، صيف خالٍ من الاضطرابات، كما كان الحال دائمًا من قبل. ولكن هذا النوع من الأصياف لم يعد له وجود بعد الآن، أردتُ أن أقول لها ذلك.

الفصل الخامس والثلاثون

قُرب غروب الشمس، أتى كام وأخذني إلى ملعب الجولف المُصَغَّر. انتظرته في الشرفة الأمامية، وعندما ركنَ سيارته، ركضتُ إليها. وبدلًا من التوجه إلى كرسي الراكب الأمامي، مشيتُ مباشرةً إلى كرسي السائق وسألتُ قائلة: «هل يمكنني القيادة؟».

كنتُ أعلم أنه سيوافق.

هزَّ رأسه لي وقال وقد افتعل الجدية مازحًا: «كيف يمكن لأي شخص أن يقول لكِ لا؟».

رفرفتُ برموشي إليه، وقلتُ: «لم يسبق لأي أحد أن فعل».

رغم أن ما قلته لم يكن صحيحًا، ولو حتى بقدر ضئيل.

فتحتُ باب السيارة، وانتقل كام من مقعده. قلتُ له وأنا أبدأ في التحرك بالسيارة: «عليَّ العودة إلى المنزل مبكرًا الليلة».

فتنحنح قائلًا: «لا مشكلة. و... إمم... هل يمكنكِ أن تبطئي قليلًا؟ الحد الأقصى للسرعة على هذا الطريق هو خمسة وثلاثون».

في أثناء قيادتي للسيارة، ظل ينظر إليَّ ويبتسم.

سألته وقد شعرتُ برغبة في تغطية وجهي بقميصي: «ماذا هناك؟ لماذا تبتسم؟».

- أنفكِ يشبه ذيل أرنب صغير.

ثم مد يده ونقر عليه، فصفعتُ يده ليبعدها.

قلتُ له: «إنني أكره أنفي».

بدا كام متحيرًا.

- لماذا؟ أنفكِ لطيف. إن العيوب هي ما تجعل الأشياء جميلة.

تساءلتُ عما إذا كان هذا يعني أنه يعتقد أنني جميلة. وتساءلتُ عما إذا كان هذا هو سبب إعجابه بي، عيوبي.

انتهى بنا الأمر بالبقاء في الخارج حتى وقت متأخر عما كنتُ أخطط له. هذان اللذان كانا أمامنا قد أمضيا وقتًا طويلًا جدًّا عند كل حفرة؛ كانا حبيبين، وواصلا التوقف عن اللعب بين كل حين وآخر من أجل القُبُلات. كان الأمر مزعجًا، أردتُ أن أقول لهما: الجولف المُصَغَّر ليس مكانًا يذهب الناس إليه لإقامة العلاقات، ذلك هو الغرض من وجود سينما السيارات. وبعد ذلك، جاع كام، لذا توقفنا لتناول المحار المقلي، وبحلول ذلك الوقت كانت الساعة قد جاوزت العاشرة، وعرفتُ أن أمي وسوزانا قد نامتا بالفعل.

سمح كام لي بأن أقود في طريقنا إلى المنزل. لم يكن عليَّ حتى أن أطلب منه؛ لقد سلَّمني المفاتيح فحسب. وعندما وصلنا إلى أمام المنزل، أوقفتُ محرك السيارة. كانت جميع الأضواء في المنزل مطفأة ما عدا ضوء غرفة كونراد.

أخبرتُ كام قائلة: «لا أريدُ الدخول بعد».

- ظننتُ أن عليكِ العودة إلى المنزل مبكرًا.

- بالفعل عليَّ ذلك. أنا فقط لستُ مستعدة للدخول بعد.

شغَّلتُ الراديو، وجلسنا هناك لخمس دقائق نستمع إليه.

ثم تنحنح كام وقال: «هل يمكنني تقبيلك؟».

تمنيتُ لو أنه لم يسأل. تمنيتُ لو أنه فعلها فحسب. لقد جعل الاستئذان الأمر غريبًا ومحرجًا؛ لقد وضعني في موضع لا بد لي فيه من قول نعم. أردتُ رفع بؤبؤي عينيَّ ولكن بدلًا من ذلك قلتُ: «أمم حسنًا. ولكن في المرة القادمة، أرجوك ألا تسأل. من الغريب أن تسأل شخصًا ما إذا كان يريد تقبيلك. كان عليك أن تفعل ذلك فحسب».

ندمتُ على قول ذلك في التو، بمجرد أن رأيتُ النظرة المرتسمة على وجه كام.

قال وقد احمرَّ وجهه: «لا بأس. انسي أنني قد سألتُ».

- كام، أنا آســـــــ...

وقبل أن أتمكن من إنهاء كلامي، مال نحوي وقبَّلَني. كان خدُّه مزغَّبًا فشعرتُ بخشونة بعض الشيء، ولكن على نحو لطيف.

ولما انتهت، قال: «هل هذا مناسب؟».

فابتسمتُ وقلتُ: «مناسب. (وفككتُ حزام أماني) تُصبح على خير».

ثم خرجتُ من السيارة، وعاد هو إلى مقعد السائق. تعانقنا، ووجدتُ نفسي أتمنى لو أن كونراد كان يراقبنا. على الرغم من أن الأمر لم يعد مهمًّا، على الرغم من أنني لم أعد معجبة به بعد الآن، فقد أردته فقط أن يعلم أنني لم أعد معجبة به بعد الآن، أن يعلم ذلك حقًّا، أن يرى ذلك بأم عينيه.

ركضتُ إلى الباب الأمامي، ولم يكن عليَّ الالتفات لأعرف أن كام كان ينتظرني حتى أدلف إلى الداخل ليغادر بسيارته.

في اليوم التالي، لم تذكر أمي أي شيء حيال الأمر، ولكن لم يكن عليها فعل ذلك. لقد جعلتني أشعر بالذنب من دون أن تنبس بكلمة واحدة.

الفصل السادس والثلاثون

إن عيد ميلادي بمنزلة علامة على بداية انتهاء الصيف. لقد كان آخر شيء أتطلع إليه. وهذا الصيف كنتُ سأتم السادسة عشرة. يجب على حفل بلوغ السادسة عشرة أن يكون مميزًا، أن يكون حَدَثًا كبيرًا حقًّا. لقد أجَّرت تايلور صالة استقبال لإقامة حفلها، وتولى ابن عمها تنسيق «الدي جي» (Dj) ودعت المدرسة بأكملها. لقد أمضت دهرًا بأكمله تخطط لهذا اليوم. لطالما كانت أعياد ميلادي هنا هي نفسها دائمًا: كعكة، هدايا مضحكة من الأولاد، ومشاهدة كل ألبومات الصور القديمة، وأنا محشورة بين سوزانا وأمي على الأريكة. كل عيد ميلاد عشته في حياتي كان هنا، في هذا المنزل. كانت هناك صور لأمي جالسة على الشرفة وهي حامل، مع كوب من الشاي المُثَلَّج وقبعة ذات حواف عريضة، وكنتُ أنا هناك، داخل بطنها، وكان ثمة صور تجمعنا نحن الأربعة، كونراد، وستيفن، وجيرمايا، وأنا، ونحن نركض على الشاطئ. لقد كنتُ عارية باستثناء طربوش عيد ميلادي، أطاردهم. لم تكن أمي تُلبسني ثوب سباحة حتى بلغتُ الرابعة من عمري. تركتني فقط أركض هكذا في جموح.

لم أتوقع أن يكون عيد ميلادي هذا مختلفًا، وهي فكرة بدت لي مريحة وأيضًا محبطة نوعًا ما. باستثناء أن ستيفن لن يكون هناك، سيكون هذا أول عيد ميلاد لي من دون أن يحاول دفعي بمرفقه وإطفاء شموعي بدلًا مني.

كنتُ أعلم بالفعل ماذا سيهديني والداي: سيارة ستيفن القديمة؛ لقد أخذاها لفحصها وطلائها بطبقة جديدة من الطلاء وتلك الأمور. عندما أعود للمدرسة، سآخذ دورات إعداد الطلاب لاختبارات القيادة، وسرعان ما لن أضطر إلى طلب توصيلة مرة أخرى.

لم أستطع منع نفسي من التساؤل ما إذا كان هناك أي أحد في المنزل يتذكر عيد ميلادي. بخلاف تايلور، فقد تذكرت، دائمًا ما تفعل. لقد اتصلت بي في تمام الساعة 9:02 صباحًا لتغني لي عيد ميلاد سعيد، كل سنة. لا أنكر أن هذا كان رائعًا، ولكن مشكلة أن يكون عيد ميلادك في الصيف وأنت في مكان بعيد لدرجة أنك لا يمكنك إقامة حفل مع جميع أصدقاء مدرستك. لن تجد البالونات معلقة على خزانتك الصفيَّة أو أي شيء من هذا القبيل. لم يكن ذلك يهمني البتَّة، ولكن فيما بعد أصبح يهمني، قليلًا.

أخبرتني أمي أنني أستطيع دعوة كام، ولكنني لم أفعل. لم أخبره حتى بأنه عيد ميلادي، لم أرده أن يشعر وكأنه مضطر إلى فعل شيء ما. لكن الأمر كان أكثر من ذلك. فكرتُ في لو أنه سيكون كأي عيد ميلاد سابق، إذًا فعليه أن يكون كذلك حقًّا، بالضبط، كأي عيد ميلاد سابق. يجب أن يقتصر علينا فحسب، أنا وعائلتي الصيفية.

عندما استيقظتُ في الصباح كانت تفوح في المنزل رائحة الزبدة والسكر. لقد خبزت سوزانا كعكة عيد ميلاد، كانت مكونة من ثلاث طبقات ووردية اللون مع حواف بيضاء، وكتبت سوزانا بكريمة التزيين البيضاء: عيد ميلاد سعيد يا بيلز، وأشعلت بعضًا من شموع الشرارات أعلاها، وقد توهجت الشموع وأطلقت شراراتها كاليرعات المجنونة. بدأت هي وأمي في الغناء، وأشارت سوزانا إلى كونراد وجيرمايا لينضما إليهما. وقد فعلا، غنيا خارج اللحن وبصوت بغيض.

قالت أمي: «تمني أمنية يا بيلي».

كنت لا أزال في بيجامتي، ولم أستطع التوقف عن الابتسام. لطالما كنتُ أتمنى الشيء نفسه في أعياد ميلادي الأربعة الماضية، ولكن ليس هذه السنة. هذه السنة سأتمنى شيئًا آخر. شاهدتُ الشرارات وقد بدأت تخفتُ بعض الشيء، ومن ثم أغمضتُ عينيَّ ونفختُها.

حثَّتني سوزانا قائلة: «فلتفتحي هديتي أولًا».

وضعت صندوقًا صغيرًا مُغلَّفًا بورق وردي اللون في يدي، فنظرت أمي إليها في تساؤل وقالت: «ماذا فعلتِ يا بيك؟».

ابتسمت ابتسامة غامضة وقد ضغطت معصمي في حنان قائلة: «افتحيها يا حُلوتي».

مزقتُ الورقة وفتحتُ الصندوق. لقد كان عُقدًا من اللؤلؤ، صف كامل من اللؤلؤ الأبيض الكريمي الصغير مع قفل ذهبي لامع. بدا قديمًا، وليس كشيء يمكنك شراؤه اليوم. إنه مثل ساعة جدِّي السويسرية التي يمتلكها أبي الآن، متقن الصنع بشكل رائع الجمال، بكل تفصيلة فيه وصولًا إلى القفل. لقد كان أجمل شيء رأيته في حياتي.

أخذتُ نَفَسًا وقلتُ وأنا أرفعه: «يا إلهي!».

نظرتُ إلى سوزانا، والتي كانت تشع ابتهاجًا، ثم إلى أمي، التي اعتقدتُ أنها كانت ستقول بأنه باهظٌ للغاية، ولكنها لم تفعل. فقط ابتسمت وقالت: «هل هذا هو...؟».

- أجل. (ثم التفتت سوزانا إليَّ وقالت) لقد أهداني والدي هذا العقد في عيد ميلادي السادس عشر. أريدكِ أن تحتفظي به.
- حقًّا؟ (عدتُ أنظر إلى أمي للتأكد من أنه لا بأس في ذلك، فأومأت برأسها) يا للروعة، شكرًا لكِ يا سوزانا. إنه جميل حقًّا.

أخذته مني وعقدته حول رقبتي. لم أكن قد ارتديتُ اللؤلؤ من قبل، لم أستطع التوقف عن لمسهم. صفقت سوزانا بيديها. لم تكن تحب التَلَكُّؤ كثيرًا بعد تقديم هداياها؛ كانت تستمتع بتقديمها فحسب.

قالت سوزانا: «حسنًا، من التالي؟ جيرمايا؟ كون؟».

تحرك كونراد في مقعده في غير ارتياح وقال: «لقد نسيت، آسف يا بيلي».

رمشتُ بعينيَّ. لم يسبق له أن نسي عيد ميلادي أبدًا من قبل.

قلتُ: «لا بأس».

لم أستطع النظر إليه حتى.

قال جيرمايا: «افتحي هديتي. على الرغم من أن هديتي ستكون مزرية نوعًا ما بالمقارنة مع الهدية الأولى، شكرًا جزيلًا لكِ يا أمي».

أعطاني عُلبة صغيرة واتكأ في كرسيه، فخشخشتُ العُلبة قائلة: «حسنًا، ماذا يمكن أن يكون هذا؟ براز بلاستيكي؟ سلسلة مفاتيح بها حامل لرخصة القيادة؟».

ابتسم وقال: «سترين، لقد ساعدتني يولي في اختيارها».

سألت سوزانا: «مَن تكون يولي؟».

فقلتُ وأنا أفتح العُلبة: «إنها فتاة واقعة في حب جيرمايا».

بالداخل، فوق وسادة من القطن، كانت هناك دلَّاية صغيرة، على شكل مفتاح فضي صغير.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل السابع والثلاثون

في عمر الحادية عشرة

غنَّى ستيفن وقد رمى بدلو ممتلئ بالرمال في حِجري: «عيد ميلاد سعيد يا غطاء البرميل».

وخرج سلطعون رملي من الرمال وبدأ في الزحف على فخذي. صرختُ بقوة وقفزتُ، طاردتُ ستيفن على طول الشاطئ، والدم يغلي في عروقي من الغضب. لم أكن سريعة بما يكفي لأمسك به؛ لم أكن كذلك قط، ظلَّ يركض حولي بشكل دائري.

نادت أمي قائلة: «تعالي وأطفئي شموعكِ».

وبمجرد أن استدار ستيفن للعودة إلى المنشفة، قفزتُ على ظهره واضعة إحدى ذراعيَّ حول رقبته، وشددتُ شعره بأقصى ما أستطيع من قوة.

سقط متعثرًا وعوى قائلًا: «آوو!».

تشبثتُ بظهره كالقردة، حتى مع إمساك جيرمايا بقدمي محاولًا سحبي وإنزالي. أما كونراد فسقط على ركبتيه ضاحكًا.

نادت سوزانا قائلة: «يا أطفال، هناك كعكة!».

قفزتُ من فوق ظهر ستيفن وسارعتُ إلى بساط شاطئنا.

صاح وهو يلاحقني: «سأنال منكِ!».

اختبأتُ وراء أمي وقلتُ: «لا تستطيع. إنه عيد ميلادي».

أخرجتُ له لساني. سقط الأولاد فوق البساط، وأجسادهم مبللة وتكسوها الرمال.

اشتكى ستيفن قائلًا: «أمي، لقد اقتلعت كتلة كبيرة من شعري».

- ستيفن، لديك رأس كامل ممتلئ، لا داعي للقلق حيال ذلك.

أشعلت أمي الشموع المثبتة فوق الكعكة التي قد خبزتها في ذلك الصباح. لقد كانت كعكة بنكهة الفانيليا ومائلة قليلًا على أحد جانبيها، مصنوعة من خليط الكعك الجاهز من «دونكن هاينز» (Duncan Hines)، ومزينة بالشوكولاتة. كان خَطها فوضويًّا بعض الشيء لذا بدت عبارة «عيد ميلاد سعيد» أقرب إلى «عيد ميلاك سعيد».

نفختُ الشموع قبل أن يحاول ستيفن «مساعدتي» في ذلك. لم أكن أريده أن يسرق أمنيتي، كانت أمنيتي تتمحور حول كونراد، بكل تأكيد.

قال ستيفن بتجهم: «افتحي هداياكِ يا ذات الرائحة الكريهة».

كنتُ أعرف بالفعل ما الذي أحضره لي. زجاجة مزيل عرق. لقد لفها في منديل؛ استطعتُ رؤيتها من خلاله.

تجاهلته ومددتُ يدي نحو صندوق مسطح صغير مُغلَّف بورق مرسوم عليه أصداف بحرية. إنها من سوزانا، لذا علمتُ أنها ستكون رائعة. مزَّقتُ ورق التغليف، وداخله وجدتُ سوارًا فضيًّا، سوار من ذلك النوع الذي يمكنكَ تعليق الكثير من الدلَّايات فيه، من المتجر الذي تحبه سوزانا، «رينجولد»، حيث يباع الخزف الصيني الفاخر وأطباق الحلوى الكرستاليَّة. كان معلَّقًا في السوار خمس دلَّايات: صَدَفة محار، وبدلة سباحة، وقلعة رملية، ونظارة شمسية، وحدوة حصان.

قالت سوزانا وهي تلمس حدوة الحصان: «كم نحن محظوظون بوجودكِ في حياتنا».

أخرجتُ السوار من الصندوق، وازداد لمعان الدلَّايات وتلألؤهم في ضوء الشمس.

- لقد أحببته.

خيَّم الصمت على أمي. كنتُ أعرف فيما تفكر، كانت تفكر في أن سوزانا قد بالغت في الأمر، وأنها قد أنفقت على هذه الهدية الكثير من المال. شعرتُ بالذنب لأنني أحببتُ السوار كثيرًا.

اشترت لي أمي نوتة موسيقية وأسطوانات. لم يكن لدينا الكثير من المال مثلهم، وفي تلك اللحظة فهمتُ أخيرًا ما الذي يعنيه ذلك.

الفصل الثامن والثلاثون

قلتُ: «لقد أحببته».

ركضتُ إلى غرفتي في الطابق العلوي وتوجهت مباشرة إلى صندوق الموسيقى الموضوع فوق التسريحة، حيث كنتُ أحتفظُ بسوار الدلَّايات، أمسكتُ بالسوار وعدتُ راكضة نزولًا على الدرج، ثم قلتُ وأنا أعلِّقُ المفتاح في معصمي: «أترى؟».

قال جيرمايا وهو متكئ على كرسيه شابكًا يديه معًا وراء رأسه: «لقد اخترتُ مفتاحًا لأنكِ ستقودين السيارة قريبًا. أعرفتِ لماذا اخترته؟».

عرفتُ، وابتسمتُ لأريه أنني كذلك.

انحنى كونراد لإلقاء نظرة عن قرب. وقال: «جميل».

حملته في راحة يدي الأخرى. لم أستطع التوقف عن النظر إليه. قلتُ مرة أخرى: «لقد أحببته كثيرًا. ولكنه من «رينجولد». لا بد أن ثمنه باهظ حقًّا».

فقال بنبرة جادة: «لقد ادخرتُ المال طوال الصيف من أجل شرائه».

حدَّقتُ إليه قائلة: «كلا، لم تفعل!».

فضحته ابتسامته فقال: «خدعتكِ. إنكِ سهلة الانخداع كالمعتاد، ألستِ كذلك؟».

قلتُ وقد لكمته في ذراعه: «لم أصدقك على أية حال، أيها الأحمق».

على الرغم من أنني قد صدقته بالفعل، لثانية.

فرك جيرمايا ذراعه حيث لكمته وقال: «لم يكن باهظ الثمن لتلك الدرجة. وعلى أي حال، أنا رجل يعمل الآن، أتذكرين؟ لا تقلقي بشأني. أنا فقط سعيد لأنه أعجبكِ. لقد قالت يولي بأنه سيعجبكِ».

عانقته بقوة قائلة: «إنه مثالي».

قالت سوزانا: «يا لها من هدية رائعة يا جير. إنها أفضل من قلادتي القديمة، هذا أمر أكيد».

ضحك وقال: «أجل، صحيح».

ولكن أمكنني القول إنه كان مسرورًا.

نهضت أمي وبدأت في تقطيع الكعكة. لم تكن تجيد التقطيع كثيرًا: كانت القِطَع كبيرة جدًّا، وتسقط على جانبها.

سألت وهي تلعق إصبعها قائلة: «من يريد الكعك؟».

قال كونراد سريعًا: «أنا لستُ جائعًا. (ثم نهض وهو ينظر في ساعته) عليَّ أن أرتدي ملابسي من أجل الذهاب للعمل. عيد ميلاد سعيد يا بيلي».

صعد إلى الطابق العلوي ولم ينبس أحد بكلمة واحدة لمدة دقيقة. ثم قالت أمي بصوت عالٍ وقد دفعت بقطعة أمام سوزانا: «الكعكة لذيذة. فلتتناولي القليل منها يا بيك».

فقالت وعلى وجهها ابتسامة خافتة: «أنا لستُ جائعة أيضًا».

- أتعرفين ما يقولونه بشأن أن الطباخ لا يستطيع تذوق ما طبخه. ولكن كلوا أنتم يا رفاق.

تناولتُ جزءًا كبيرًا وقلتُ: «مممم! كعكة الفانيليا، المفضلة لديَّ».

فأضافت أمي: «ومصنوعة في المنزل من الألف إلى الياء».

الفصل التاسع والثلاثون

دعا كونراد نيكول، فتاة قبعة ريد سوكس، إلى المنزل، منزلنا. إنه لمن الغريب وجود فتاة هناك غيري.

كنا في وقت ما بعد الظهيرة، وبينما كنتُ في التِراس، جالسة إلى طاولة طقم الأثاث الخارجي، أتناول شـطيرة «الدوريتوس» (Doritos)، رأيتهما وقد وصلا بالسيارة. كانت ترتدي سروالًا قصيرًا، أعني قصيرًا جدًّا، وتي-شيرت أبيض اللون، ونظارة شمـسية فوق رأسها. لم أرَ قبعة ريد سوكس في أي مكان على مرأى عينـيَّ. بدت أنيقة المظهر، كأنها تنتمي إلى المكان حقًّا. على عكسي أنا، مَن ترتـدي قميص شاطئ كازينز القديم والذي كنتُ أستخدمه أيضًا كقميص نوم. اعتقدتُ أنه على الأقل كان سيدخلها إلى داخل المنزل، ولكنهما بقيا في الجانب الآخر من التِراس، مستلقيين على كراسي التَشَمُّس. لم أستطع سـماع ما يقولانه، لكنني كنتُ أسمعها تضحك بشكل جنوني.

بعد نحو دقائق لم أستطع تحمل أكثر من ذلك. أمسكتُ الهاتف واتصلتُ بكام. قال إنه سيستطيع المجيء بعد نصف ساعة، ولكنه استغرق نحو خمس عشرة دقيقة فحسب.

دخلا إلى المنزل بينما كنتُ أنا وكام نتجادل حول اختيار الفيلم الذي سنشاهده.

سأل كونراد وهو جالس على الأريكة المقابلة لنا: «ماذا ستشاهدان يا رفاق؟».

كانت فتاة ريد سوكس تجلس بجانبه، بل عمليًّا كانت في حضنه.

لم أنظر إليه عندما أجبتُ قائلة: «نحن ما زلنا نحاول أن نقرر».

وقد شدَّدتُ على نطق «نحن».

فسأل كونراد قائلًا: «هل يمكننا المشاهدة معكما؟ صحيح، هل تعرفان نيكول يا رفاق؟».

ها قد أصبح كونراد يتصرف فجأة وكأنه يحب أن يكون اجتماعيًّا، بينما كان في الواقع يقضي الصيف بأكمله منعزلًا في غرفته.

قالت بنبرة ضَجِرَة: «مرحبًا».

فقلتُ: «مرحبًا».

وقد حاولتُ تقليد لهجتها بأفضل ما أمكنني.

قال كام: «مرحبًا يا نيكول. (أردتُ أن أطلب منه ألا يكون ودودًا للغاية، لكنني أعلم أنه لن يصغي إليَّ بأي حال من الأحوال) أريد مشاهدة «كلاب المستودع» (Reservoir Dogs)، ولكن بيلي تريد مشاهدة «تايتانك» (Titanic)».

قالت الفتاة وقد ضحك كونراد: «حقًّا؟».

قال ساخرًا: «إن بيلي تحب تايتانك».

فقلتُ: «كنتُ أحبه عندما كنتُ في التاسعة من عمري. أما الآن فأريد مشاهدته فقط لأضحك عليه».

كنتُ هادئة ومتماسكة تمامًا، لن أتركه يستفزني أمام كام مرة أخرى. في الواقع، كنتُ لا أزال أحب تايتانك. ما الذي لا يمكنك ألا تحبه بشأن قصة غرامية محكوم عليها بالفشل على سفينة منكوبة؟ كنتُ أعلم حقيقة أن كونراد كان يحبه أيضًا، حتى ولو تظاهر بعكس ذلك.

قالت نيكول وهي تتفحص أظفارها: «أصوِّتُ لكلاب المستودع».

هل أعطاها أحد حق التصويت أصلًا؟ ما الذي كانت تفعله هناك على أي حال؟

- إذن، صوتان لصالح كلاب المستودع. ماذا عنك يا كونراد؟

فأجاب بلا مبالاة: «أعتقد بأنني سأصوت لصالح تايتانك. كلاب المستودع فيلم مقرف. إنه أسوأ حتى من تايتانك. الناس يبالغون في تقديره فحسب».

نظرتُ إليه وقد ضيَّقتُ عينيَّ وقلتُ: «أتعلم؟ أعتقد أنني سأغير تصويتي إلى كلاب المستودع. لذا يبدو أننا نفوقك عددًا يا كونراد».

نظرت نيكول إلى أظفارها ثم رفعت رأسها وقالت: «حسنًا، سأغيِّرُ تصويتي إلى تايتانك».

فتمتمتُ من تحت أنفاسي قائلة: «ومَن تكونين أنتِ؟ مَن أعطاكِ الحق للتصويت في هذا المنزل من الأساس؟».

- وماذا عنه؟ (أشار كونراد إلى كام بمرفقه، والذي بدا مدهوشًا) إنني أمزح فقط يا رجل.

قال كام وهو يخرج القرص المدمج من علبته: «حسنًا دعونا نشاهد تايتانك فحسب».

جلسنا وشاهدنا في هدوء حتى انفجر الجميع ضاحكًا على الجزء الذي يقف فيه جاك عند مقدمة السفينة ويقول: «أنا مَلِكُ العالم!». بقيتُ صامتة. وفي منتصف الفيلم تقريبًا، همست نيكول بشيء ما في أذن كونراد، ثم نهض الاثنان.

قال كونراد: «نراكما لاحقًا يا رفاق».

وبمجرد خروجهما، هسهستُ قائلة: «إنهما مقرِفان. على الأرجح سيصعدان إلى الطابق العلوي ليفعلاها».

قال كام وقد بدا عليه الارتباك: «يفعلانها؟ مَن يستخدم هذا التعبير؟».

- اسكت. ألا تعتقد أنها مقرفة؟

- مقرفة؟ لا، أرى أنها لطيفة. ولكنها ربما تضع الكثير من بودرة التسمير فحسب.

ضحكتُ رُغمًا عني.

- بودرة التسمير... ما الذي تعرفه أنتَ عن بودرة التسمير؟

فقال وقد ابتسم في خجل: «لدي أخت كبرى، أتذكرين؟ إنها تحب الماكياج. نحن نتشارك الحمَّام نفسه».

لم أذكر أن كام قد أخبرني أن لديه أختًا.

فكَّرتُ قائلة: «حسنًا، على أي حال، إنها بالفعل تضع الكثير من بودرة التسمير. إن بشرتها تبدو برتقالية لامعة! أتسائلُ أين قبعة ريد سوكس خاصتها».

التقط كام جهاز التحكم عن بعد وأوقف الفيلم إيقافًا مؤقتًا. ثم قال: «لمَ أنتِ مهووسة بها لهذه الدرجة؟».

- أنا لستُ مهووسة بها. لماذا سأكون مهووسة بها؟ إنها معدمة الشخصية. ليست إلا واحدة من هؤلاء الأشخاص المتصنعين. إنها تنظر إلى كونراد كما لو كان إلهًا.

أعلم أنه كان يحكم عليَّ لحديثي عنها بهذه الوضاعة، ولكنني لم أستطع التوقف عن الكلام.

نظر إليَّ وكأنه يريد أن يقول شيئًا ما، بيد أنه لم يفعل. وبدلًا من ذلك، أعاد تشغيل الفيلم فحسب.

جلسنا هناك على الأريكة وأنهينا مشاهدة الفيلم في صمت، وقرب النهاية، سمعتُ صوت كونراد على الدَرَج، ودون أن أفكر حتى، التصقتُ بكام تلقائيًّا، وأرحتُ رأسي على كتفه. عاد كونراد ونيكول إلى الطابق السفلي، ونظر

كونراد إلى كلينا لثانية قبل أن يقول: «أخبري أمي أنني ذهبتُ لتوصيل نيكول إلى منزلها».

بالكاد رفعتُ رأسي وأنا أجيب قائلة: «حسنًا».

وبمجرد رحيلهما، استقام كام في جلسته، وكذلك فعلتُ أنا أيضًا، أخذ نَفَسًا وقال: «هل دعوتِني إلى هنا لجعله يغار؟».

قلتُ: «مَن؟».

- أنتِ تعرفين مَن. كونراد.

كان بإمكاني الشعور بالاحمرار وهو يتصاعد من أعماق صدري وصولًا إلى وجنتيَّ.

- لا.

بدا الأمر وكأن الجميع يريدون معرفة إلى أين آلت الأمور بيني وبين كونراد.

- أما زلتِ تحبينه؟

- كلا.

فنفخ نَفَسًا في الهواء قائلًا: «أترين، لقد ترددتِ».

- كلا، لم أفعل.

هل فعلتُ؟ هل كنتُ كذلك؟ كنتُ واثقةً من أنني لم أفعل.

قلتُ لكام: «عندما أنظر إلى كونراد، كل ما أشعر به هو الاشمئزاز».

يمكنني القول بأنه لم يصدق ذلك. أنا نفسي لم أصدق ذلك. لأن الحقيقة كانت، أنني عندما أنظر إلى كونراد كل ما أشعر به هو تَوْق لم ينطفئ أبدًا. لطالما كان هو نفسه. ها أنا لدي هذا الشاب الرائع بحق والذي هو بالفعل معجب بي، وبداخل أعماقي لا أزال معلَّقة بكونراد، تلك هي الحقيقة المحضة. لم أتخطَّ مشاعري تجاهه قط. كنتُ متشبثة به تمامًا مثلما فعلت روز وهي فوق ذلك اللوح الخشبي الغبي الطافي في المحيط.

تنحنح كام وقال: «إنكِ ستغادرين شاطئ كازينز قريبًا، هل ترغبين في أن نبقى على تواصل؟».

لم أفكر في ذلك. كان محقًّا، لقد أوشك الصيف على الانتهاء. قريبًا جدًّا سأعود للديار مرة أخرى.

- أمم... هل ترغب أنت؟

- حسنًا، أجل، أرغب بالفعل.

الفصل الأربعون

أخيرًا حظينا بسهرة الفيلم خاصتنا. شاهدتُ أنا، وأمي، وسوزانا، وجيرمايا فيلم سوزانا المفضل من أفلام «آلفريد هتشوك» (Alfred Hitchcock) في غرفة التلفاز وألعاب الفيديو وكل الأنوار مطفأة من حولنا.

كانت أمي قد أعدَّت الفشار في القِدر الحديدي الكبير، وخرجت واشترت كرات الشكولاتة بالكراميل وحلوى الدببة الهلاميَّة والطوفي. تحب سوزانا حلوى الطوفي. كانت سهرة كلاسيكية، مثل سهرات الأيام الخوالي، ولكن من دون ستيفن وكونراد، الذي كان يعمل في مناوبة العَشاء.

في منتصف فيلم «نوتوريوس» (Notorious)، أكثر أفلام سوزانا تفضيلًا على الإطلاق، غَفَتَ سوزانا، غطَّتها أمي ببطانية، وعندما انتهى الفيلم همستُ قائلة: «جيرمايا، هل ستحملها إلى الطابق العلوي؟».

أومأ جيرمايا سريعًا، ولم تستيقظ سوزانا حتى عندما رفعها بين ذراعيه وحملها صعودًا للأعلى. لقد التقطها كما لو كانت بلا وزن، كأنها ريشة. لم أره يفعل ذلك قط من قبل. وعلى الرغم من أننا كنا في العمر نفسه تقريبًا، فإنه في تلك اللحظة بالذات بدا وكأنه كبير. نهضت أمي كذلك، وأخذت تمدد أطرافها قائلة: «أنا مُرهَقة، هل ستخلدين إلى الفراش أنتِ أيضًا يا بيلي؟».

فأجبتُ قائلة: «ليس بعد. أعتقد أنني سأنظف المكان هنا أولًا».

قالت وقد غمزت لي: «فتاة صالحة».

ومن ثم توجهت إلى الطابق العلوي، وبدأتُ أنا في التقاط أغلفة حلوى الطوفي وبعض الفتات الذي سقط على السجادة.

عاد جيرمايا عندما كنتُ أضع قرص الفيلم في عُلبته، وغرق في وسط وسادات الأريكة.

قال وهو ينظر إليَّ: «دعينا لا نخلد إلى النوم الآن».

- حسنًا، هل تريد مشاهدة فيلم آخر؟

- لا، فلنشاهد التلفاز فحسب.

التقط جهاز التحكم عن بُعد وبدأ في التقليب عبر القنوات بشكل عشوائي.

- أين كام كاميرون في الآونة الأخيرة؟

جلستُ، وأطلقتُ تنهيدة صغيرة قبل أن أجيب قائلة: «لا أعرف. إنه لم يتصل، ولم أتصل أنا به. لقد أوشك الصيف على الانتهاء. ربما لن أراه مجددًا».

لم ينظر إليَّ عندما قال: «وهل تريدين ذلك؟ أي أتريدين رؤيته مجددًا؟».

- لا أعرف... لستُ واثقة. ربما، وربما لا.

وضع جيرمايا التلفاز على الوضع الصامت، ثم التفت إليَّ بعد ذلك وقال: «لا أعتقد بأنه الشخص المناسب لكِ».

بدت عيناه حزينتين. لم أره قط بهذه الكآبة.

قلتُ بنبرة خافتة: «أجل، أشك في ذلك أيضًا».

بدأ بالقول: «بيلي...».

أخذ نَفَسًا عميقًا وملأ خديه بالهواء، ثم نفخه بقوة كبيرة جعلت الشعر فوق جبهته يتطاير، شعرتُ بخفقان قلبي يزداد قوة. إن شيئًا ما سيحدث، سيقول شيئًا ما لا أرغب في سماعه، شيئًا سيغير كل شيء.

فتحتُ فمي للتحدث، لمقاطعته قبل أن يقول شيئًا قد لا يستطيع سحبه مرة أخرى، ولكنه هزَّ رأسه قائلًا: «فقط دعيني أفصح عن هذا. (أخذ نَفَسًا

عميقًا) لطالما كنتِ أعز أصدقائي. ولكن الآن بات الأمر ينطوي على ما هو أكثر من ذلك. إنني أراكِ أكثر من مجرد صديقة، أكثر من مجرد أعز أصدقائي. (ثم تابع وقد اقترب مني أكثر) أنتِ أروع فتاة قابلتها في حياتي، ولطالما كنتِ موجودة من أجلي عندما احتجتُ إليكِ. إنني... إنني أستطيع الاعتماد عليكِ. وأنتِ أيضًا تستطيعين الاعتماد عليَّ. أنتِ تعرفين ذلك جيدًا».

أومأتُ. كان بإمكاني سماعه وهو لا يزال يتحدث، ورؤية شفتيه تتحركان، ولكن عقلي كان يعمل بسرعة مليون ميل في الدقيقة.

كان هذا جيرمايا، صديقي، أعز أصدقائي، بل إنه يكاد يكون أخي. إن مدى ضخامة كل ما قاله صعَّبت عليَّ التقاط أنفاسي. بالكاد أستطيع أن أنظر إليه، لأنني لم أكن كذلك. لم أكن أراه بتلك الطريقة. لطالما كان هناك شخص واحد فقط. وبالنسبة إليَّ، كان هذا الشخص هو كونراد.

- وأعلم أنكِ لطالما كنتِ معجبة بكونراد، ولكنكِ قد تخطيتِ مشاعركِ تجاهه الآن، صحيح؟

بدت عيناه مفعمتين بالأمل، كان يقتلني النظر إليهما، يقتلني ألا أجيب عليه بما يريد سماعه.

همستُ قائلة: «لا أعرف».

حبس أنفاسه، كما يفعل دائمًا عندما يكون محبطًا.

- ولكن لماذا؟ إنه لا يراكِ بتلك الطريقة. أنا مَن يفعل.

شعرتُ بعينيَّ وقد بدأتا تغرورقان بالدموع. لم يكن هذا عدلًا. لا يمكنني البكاء. إنه محق بشأن ما قاله. كونراد لا يراني بتلك الطريقة. تمنيتُ فقط لو أنني باستطاعتي أن أرى جيرمايا بالطريقة التي يراني بها.

- أعلم ذلك، وأتمنى لو لم أفعل، لكن مشاعري تجاهه لا تزال... لا تزال على حالها.

ابتعد جيرمايا عني. لم ينظر إليَّ حتى؛ نظرت عيناه إلى كل مكان في الغرفة عداي أنا.

قال وقد اختلج صوته: «سينتهي به المطاف فقط بجرح مشاعركِ».

- أنا آسفة، آسفة للغاية. أرجوك لا تغضب مني. لن أستطيع تحمل الأمر إن غضبتَ مني.

تنهَّد وقال: «لستُ غاضبًا منكِ. إنني فقط أتساءل... لماذا يجب دائمًا أن يكون كونراد؟».

ثم قام، وتركني جالسة هناك.

الفصل الحادي والأربعون

في عمر الثانية عشرة

أخذ السيد فيشر الأولاد إلى إحدى رحلات الصيد الليلية في أعماق البحار. لم يستطع جيرمايا الذهاب؛ لقد كان مريضًا في صباح ذلك اليوم، لذا أجبرته سوزانا على البقاء في المنزل.

أمضينا الليلة معًا على الأريكة القديمة ذات النقوش المربعة في الطابق السفلي، نتناول رقائق البطاطس والغُموس ونحن نشاهد الأفلام.

وبين فيلمي «المُدَمِّر» (The Terminator) و«المُدَمِّر 2» (The Terminator 2) قال جيرمايا بمرارة: «إنه يحب كون أكثر مني. تعرفين ذلك».

كنتُ قد نهضتُ لتغيير القرص المدمج، فاستدرتُ وقلتُ: «هاه؟».

قال جيرمايا وهو يعبث بخيط في بطانية صوف الفانيلا المفرودة على حِجره: «إنها الحقيقة. ولكنني لا أهتم على أية حال. أعتقد بأنه أحمق».

اعتقدتُ أيضًا أنه أحمق نوعًا ما، ولكنني لم أستطع قول ذلك. لا يفترض بك المشاركة عندما يبدأ شخص ما في انتقاد أبيه، لذا وضعتُ القرص المدمج وعدتُ لأجلس ثانية، قلتُ وأنا آخذ زاوية من البطانية: «إنه ليس بهذا السوء».

نظر إليَّ جيرمايا قائلًا: «بلى، هو كذلك، وأنتِ تعرفين هذا. إنه يعتقد بأن كونراد إله أو شيء من هذا القبيل، وأخوكِ يفعل الشيء نفسه».

قلتُ من منطلق دفاعي: «الأمر فقط أن أباكما مختلف للغاية عن أبينا. أبوكما يا رفاق يأخذكما إلى الصيد، ويلعب معكما كرة القدم. أبونا لا يفعل هذا النوع من الأشياء. إنه يحب الشطرنج».

فهزَّ كتفيه قائلًا: «أنا أحب الشطرنج».

لم أكن أعرف تلك المعلومة عنه. لقد أحببته أيضًا. لقد علَّمني أبي كيف ألعبه عندما كنتُ في السابعة من عمري، ولم أكن سيئة في لعبه أيضًا، ولكنني لم أنضم إلى نادي الشطرنج مطلقًا، رغم أنني كنتُ أرغب في ذلك نوعًا ما. كان نادي الشطرنج لأولئك الذين يعبثون بأنوفهم، هذا ما أطلقته تايلور عليهم.

قال جيرمايا: «إن كونراد يحب الشطرنج أيضًا. ولكنه يحاول فقط أن يكون ما يريده أبونا. والمشكلة أنني لا أعتقد أنه يحب كرة القدم حتى، ليس كما أحبها أنا. إنه فقط جيد فيها كما هو حاله في كل شيء آخر».

لم يكن هناك ما يمكن قَوْلُه حيال ذلك. لقد كان كونراد جيدًا في كل شيء. أمسكت بحفنة من رقائق البطاطس وحشوتها في فمي حتى لا أضطر إلى قول أي شيء.

قال جيرمايا: «في يوم من الأيام سأكون أفضل منه».

لم أكن أتوقع حدوث ذلك. فإن كونراد كان بارعًا بحق.

قال جيرمايا فجأة: «أعلم أنكِ معجبة بكونراد».

ابتلعتُ رقائق البطاطس. لقد أصبح طعمها كطعم طعام الأرانب على حين غرة.

- كلا، هذا ليس صحيحًا. أنا لستُ معجبة بكونراد.

قال وقد بدت نظرة عينيه مفعمة بالثقة والحكمة: «بلى، أنتِ كذلك. فلتقولي الحقيقة. لا أسرار، أتذكرين؟».

«لا أسرار». لقد كان هذا شعارًا نقوله أنا وجيرمايا منذ الأزل تقريبًا. إنه من التقاليد، مثله مثل الطريقة التي كان يشرب بها جيرمايا حليبي المُحَلَّى الخاص بحبوب الفطور خاصتي. إنه فقط أحد تلك الأشياء التي نقولها عندما لا يكون هناك سوانا نحن الاثنين فحسب.

أصررتُ قائلة: «لا، إنني حقًّا لستُ معجبة به. إنني أحبه كصديق. أنا لا أنظر إليه بتلك الطريقة».

- بلى أنتِ كذلك. إنك تنظرين إليه كما لو كنتِ تحبينه.

لم أتحمل نظرات تلك العينين الواثقتين في عينيَّ لثانية واحدة أخرى.

فقلتُ محتدمة: «إنك تقول ذلك فقط لأنك تشعر بالغيرة من أي شيء يفعله كونراد».

قال بهدوء: «لستُ أشعر بالغيرة. فقط أتمنى لو كنتُ جيدًا جدًّا مثله».

ثم تجشَّأ وشغَّل الفيلم.

الحقيقة هي، أن جيرمايا كان محقًّا. لقد أحببته بالفعل، وكنتُ أعرف بالضبط اللحظة التي تجلَّت فيها حقيقة مشاعري أيضًا. كان كونراد قد استيقظ مبكرًا لإعداد وجبة فطور مميزة كاحتفال متأخر بمناسبة يوم الأب، فقط لأن السيد فيشر لم يتمكن من المجيء في الليلة السابقة، ولم يكن هناك أيضًا في صباح اليوم التالي كما من المفترض أن يكون. أعدَّ كونراد الطعام على أية حال. لقد كان في الثالثة عشرة من عمره، وطَبَّاخًا مريعًا، ولكننا أكلنا جميعًا ما أعدَّه من طعام. كنتُ أراقبه بينما يقدِّم البيض ذا القوام المطاطي وهو يتظاهر بكونه غير حزين، وقلتُ في عقلي: «*سأظل أحبُّ هذا الفتى إلى الأبد*».

الفصل الثاني والأربعون

لقد ذهب للركض على الشاطئ، وهو شيء قد بدأ يفعله مؤخرًا. عرفتُ ذلك لأنني شاهدته من نافذة غرفتي صباحين على التوالي. كان يرتدي سروالًا قصيرًا رياضيًّا وتي-شيرت؛ وقد شكَّل العرق دائرة في ظهره. لقد غادر قبل نحو ساعة، إنني رأيته وهو ينطلق، وها هو يركض عائدًا إلى المنزل الآن.

خطوت إلى الخارج، إلى الشرفة الأمامية، من دون أي خطة حقيقية في ذهني. كل ما كنتُ أعرفه هو أن الصيف شارف على الانتهاء، وقريبًا جدًّا سيكون قد فات الأوان. سنغادر عائدين للديار، ولن تكون هناك فرصة لأخبره أبدًا. لقد وضع جيرمايا كل شيء على المحك والآن جاء دوري. لن أتمكن من قضاء عام كامل دون أن أخبره بذلك.

لقد كنتُ خائفة جدًّا من التغيير، من أي شيء من شأنه أن يقلب مركبنا الشراعي الصيفي الصغير، لكن جيرمايا قد فعل ذلك بالفعل، وانظروا، ها نحن ما زلنا على قيد الحياة. ما زلنا بيلي وجيرمايا. كان عليَّ فعل ذلك، لأن عدم فعل ذلك سيقتلني. لا أستطيع الاحتفاظ بهذا التَوق داخلي لشيء ما، لشخص ما قد يبادلني الإعجاب أو قد لا يفعل، كان عليَّ أن أعرف على وجه اليقين، إمَّا الآن وإلا فلا.

لم يسمعني آتية من ورائه، كان قد انحنى ليفكَّ أربطة حذائه الرياضي.

قلتُ: «كونراد. (لم يسمعني، لذا قلتها مرة أخرى، بصوت أعلى) كونراد».

نظر إلى أعلى في ذهول، ثم استقام في وقفته وقال: «مرحبًا».

بدا لي التحدث إليه على حين غرة كإشارة جيدة، فقد كان لديه مليون جدار، ربما لو بدأتُ في التحدث للتو، فلن يكون لديه الوقت لبناء واحد جديد.

زممتُ شفتيَّ ثم بدأت في الكلام. قلتُ أول كلمات خطرت ببالي، تلك التي كانت في قلبي منذ البداية.

قلتُ: «إنني أحبك منذ أن كنتُ في العاشرة من عمري».

رَمَشَ بعينيه.

- أنت الفتى الوحيد الذي فكرت فيه يومًا. طوال حياتي، لطالما كنت أنتَ. لقد علَّمتني كيف أرقص، لقد أتيت إليَّ عندما سبحتُ بعيدًا في البحر. أتذكر ذلك؟ لقد بقيت معي وظللت تسحبني للعودة إلى الشاطئ، وطوال الوقت كنتَ تقول: «كدنا نصل». وقد صدقتُ ذلك. لقد صدَّقتُ لأنك أنت من كان يقولها، وقد صدَّقتُ كل ما كنت تقوله، كل شيء على الإطلاق. مقارنة بك، كان كل شخص آخر كالبسكويت المملح، حتى كام، وأنا أكره البسكويت المملح. أنت تعرف ذلك. أنت تعرف كل شيء عني، حتى هذا الشيء، وهو أنني أحبك حقًّا.

انتظرتُ، هناك وأنا واقفة أمامه. لقد انقطعت أنفاسي. شعرتُ بأن قلبي كان على وشك الانفجار، لقد كان ممتلئًا عن آخره. رفعتُ شعري لأعلى بيديَّ وربطته على شكل ذيل حصان، وأبقيته هكذا، وأنا ما زلت في انتظار أن يقول شيئًا ما، أي شيء.

شعرتُ كما لو أن ألف سنة قد مرَّت قبل أن يتكلم.

- حسنًا، لا يجب عليكِ ذلك، أنا لستُ الشخص المناسب، آسف.

وكان ذلك كل ما قاله. أطلقت تنهيدة كبيرة وحدَّقتُ إليه قائلة: «إنني لا أصدقك. أنت أيضًا معجب بي؛ أعلم هذا. لقد رأيت الطريقة التي كنت تنظر بها إليَّ عندما كنتُ مع كام، لقد رأيتها بأم عينيَّ الاثنتين».

قال: «ليس بالطريقة التي أردتِها».

تنهد، وبتلك الطريقة الحزينة، كما لو كان يشعر بالأسف من أجلي، أردف قائلًا: «إنكِ لا تزالين طفلة يا بيلي».

- أنا لم أعد طفلة! إنك فقط تتمنى لو كنتُ كذلك، لكيلا تكون مضطرًا إلى التعامل مع أي من هذا. ذلك هو سبب غضبك مني طوال هذا الصيف. (ثم أخذ صوتي يرتفع) أنت بالفعل معجب بي. اعترف بذلك!

فقال وقد ضحك قليلًا وهو يبتعد عني: «أنتِ مجنونة».

ولكن ليس هذه المرة. لن أسمح له بالفرار بتلك السهولة. لقد سئمتُ وتعبتُ من أسلوب «جيمس دين» (James Dean) الكئيب الذي يتبناه هذا. لقد كانت لديه مشاعر تجاهي. أعلم هذا. سأجعله يقولها.

أمسكتُ بكمِّه وقلتُ: «اعترف بذلك. لقد كنتَ غاضبًا عندما بدأتُ في التسكُّع مع كام. أردتني أن أظل معجبتك الصغيرة».

أزاح يدي قائلًا: «ماذا؟ أفيقي يا بيلي. إن العالم لا يتمحوَرُ حولكِ».

توهجت وجنتاي احمرارًا؛ أمكنني الشعور بالحرارة من تحت بشرتي. كانت أقوى من حروق الشمس بمليون مرة.

- أجل، بالضبط، لأنه يتمحور حولكَ أنت، صحيح؟

- إنكِ لا تملكين أية فكرة عما تتحدثين عنه.

كانت ثمة نبرة تحذيرية في صوته، ولكنني لم أتوقف لأصغي. كنتُ غاضبة جدًّا، كنتُ أخيرًا أقول ما يدور بخاطري حقًّا، ولم يكن ثمة مجال للتراجع الآن.

ظللتُ واقفة في مواجهته، لن أتركه يبتعد عني، ليس هذه المرة.

- تريدُ فقط أن تبقيني مُعَلَّقة بهذا الشكل، أليس كذلك؟ لكي أستمر في ملاحقتك والسعي ورائك فيتسنَّى لك الشعور بالرضا عن نفسك. وبمجرد أن أبدأ في تخطيك ستجذبني إليك مجددًا فحسب. إن رأسك هذا مختل تمامًا، ولكني أقول لك يا كونراد، لقد انتهى الأمر.

صرخ قائلًا: «ما الذي تتحدثين عنه؟».

ضرب شعري وجهي بقوة وأنا أستدير لمواجهته: «لقد انتهى الأمر. لن تحظى بي أبدًا مرة أخرى، لا معجبةً، ولا صديقةً، ولا أي شيء. يكفي هذا».

التوى فمه، ثم قال: «ما الذي تريدينه مني؟ إن لديكِ حبيبكِ الصغير هذا لتلعبي معه الآن، أتذكرين؟».

هززتُ رأسي وتراجعتُ خطوة للوراء قائلة: «الأمر ليس كذلك».

لقد فهم الأمر كله بشكل خاطئ. لم يكن ذلك ما كنتُ أحاول فعله. لقد كان هو مَن يتلاعب بي طوال حياتي. كان يعلم طبيعة مشاعري نحوه، وتركني أحبه، لقد **أراد** أن أحبه.

اقترب مني وقال: «دقيقة تعجبين بي. ثم كام... (سكت كونراد للحظة) ومن ثم جيرمايا. أليس هذا صحيحًا؟ تريدين أن تحصلي على كعكتك، وأن تأكليها أيضًا، ولكنك تريدين أيضًا الحصول على الكوكيز، والآيس كريم...».

صحتُ قائلة: «اصمت!».

- إنكِ أنتِ مَن تحيكين الألعاب يا بيلي.

كان يحاول أن يبدو وكأنه يتكلم بشكل عادي، وكأن ما يقوله ليس إلا كلامًا تلقائيًّا، ولكن جسده كان متشنِّجًا، كما لو أن كل عضلة فيه كانت مشدودة كأوتار جيتاره الغبي.

- لقد كان سلوكك بغيضًا طوال الصيف. كل ما تفكر فيه هو نفسك. والداك يتطلقان! وماذا إذن؟ يتعرض أناس كثيرون لهذا. إنه ليس عذرًا لمعاملة الآخرين كما لو أنهم حثالة!

نفض رأسه بعيدًا عني قائلًا: «أغلقي فمكِ».

كان فكه يرتعش، لقد فعلتُها أخيرًا. لقد بدأتُ أثير أعصابه.

- لقد سمعتُ سوزانا تبكي في ذلك اليوم بسببك، بالكاد استطاعت النهوض من السرير! هل تهتم حتى؟ هل تعرف حتى كم أنت أناني؟

اقترب كونراد خطوة مني، أصبحنا قريبين جدًّا لدرجة أن وجهانا كانا متلامسين تقريبًا، وكأنه على وشك إما أن يضربني وإما أن يقبِّلني. أمكنني سماع ضربات قلبي بأذنيَّ. كنتُ غاضبة جدًّا لدرجة أنني كدتُ أتمنى أن يضربني. كنتُ أعلم بأنه لن يفعل ذلك أبدًا، ولا حتى بعد مليون سنة. أمسك

بذراعيَّ وهزَّني، ومن ثم تركني فجأة. شعرتُ بالدموع تتراكم في عينيَّ، لأنني لوهلة هناك، اعتقدتُ بأنه قد يفعل ذلك.

قد يُقَبِّلُني.

كنتُ أبكي عندما عاد جيرمايا من عمله حارسًا للإنقاذ؛ كان شعره لا يزال مُبللًا. لم أسمع حتى صوت سيارته وهي تتوقف أمام المنزل. ألقى نظرة واحدة إلى كلينا، وعرف أن خطبًا ما كان يحدث. لقد بدا خائفًا تقريبًا، ثم ما لبثَ أن بدا عليه الغضب.

قال: «ما الذي يجري بحق الجحيم؟ كونراد، ما مشكلتك؟».

حدَّق كونراد إليه قائلًا: «فقط أبقها بعيدة عني. أنا لستُ في مزاج يسمح للتعامل مع أي من هذا».

جفلتُ. كان الأمر كما لو أنه قد ضربني حقًّا، بل إنه أسوأ من ذلك. بدأتُ في الابتعاد، ولكن جيرمايا أمسك ذراعي وقال: «عليك البدء في التعامل مع هذا الأمر يا رجل، إنك تتصرف كالوغد. كُفَّ عن تفريغ غضبك على الجميع. اترك بيلي وشأنها».

ارتجفتُ. هل كان هذا بسببي؟ مزاج كونراد السيئ طوال الصيف، وحبسه لنفسه بداخل غرفته، هل كان ذلك بسببي حقًّا؟ هل ينطوي الأمر على ما هو أكثر من طلاق والديه؟ هل كان مستاءً من رؤيتي مع شخص آخر؟

حاول كونراد التخلص منه قائلًا: «لماذا لا تتركاني أنا وشأني؟ لماذا لا نجرب هذا بدلًا من ذاك؟».

ولكن جيرمايا لم يدعه يفلت قال: «لقد تركناك وشأنك. لقد تركناك وشأنك هذا الصيف بأكمله، تسكر وتعبس كما الطفل الصغير. من المفترض أنك الأكبر، صحيح؟ أخي الأكبر؟ فلتتصرف على النحو أيها الأحمق. كن رجلًا بحق الجحيم وتولَّ التعامل مع أمورك».

زمجر كونراد قائلًا: «اغرب عن وجهي».

- كلا.

اقترب جيرمايا بضع خطوات، حتى أصبح يبعد بين وجهيهما بضع بوصات، تمامًا كما كان حال وجهينا قبل خمس عشرة دقيقة.

قال كونراد بصوت خَطِر: «أنا أحذرك يا جيرمايا».

كانا أشبه بكلبين غاضبين، يزمجران ويبصقان ويدوران حول بعضهما بعضًا. لقد نسيا أنني كنتُ واقفة هناك. شعرتُ وكأنني كنتُ أشاهد شيئًا لم يكن عليَّ مشاهدته، كما لو كنتُ أتجسس. أردتُ أن أضع يديَّ على أذنيَّ. لم أرهما قط بهذه الحالة مع بعضهما بعضًا طوال الوقت الذي عرفتهما فيه. ربما قد تجادلا، ولكن الأمر لم يصل إلى هذه الحالة قط، ولا مرة واحدة. كنتُ أعلم أنني يجب عليَّ المغادرة، ولكني لم أستطع فعل ذلك، وقفتُ هناك على الهامش، وقد طويتُ ذراعيَّ على صدري.

صاح جيرمايا قائلًا: «إنك تمامًا مثل أبي، أتعرف ذلك؟».

حينها علمتُ أن الأمر ليس متعلقًا بي. كان هذا أكبر من أي شيء من الممكن أن أكون جزءًا منه. كان هذا أمرًا لا أعرف عنه شيئًا.

دفع كونراد جيرمايا بعيدًا بقوة، ودفعه جيرمايا كذلك. تعثَّر كونراد وكاد يسقط، ولمَّا قام، لكمه في وجهه، أعتقد بأنني صرختُ، ومن ثم أصبحا يتصارعان، يشدَّان بعضهما بعضًا، يضربان ويشتمان ويلهثان بثِقَل. لقد أوقعا إبريق الشاي المُثَلَّج الكبير الخاص بسوزانا، وقد تكسَّر، انسكب الشاي في جميع أنحاء المكان. كانت ثمة دماء على الأرضية، ولكنني لم أعرف دماء مَن كانت.

استمرَّا في الشجار، الشجار فوق الزجاج المكسور، على الرغم من أن جيرمايا كان على وشك أن يفقد نعليه.

قلتُ بضع مرات: «توقفا!».

ولكنهما لم يستطيعا سماعي، بدوَا متشابهَين. لم ألاحظ قط إلى أي مدى يبدوان متشابهين. ولكن في ذلك الحين بدوَا كالإخوة. واصلا الصراع، وفجأةً في خضم كل ذلك، ظهرت أمي هناك. خمَّنتُ أنها قد دخلت من الباب الخلفي. لا أعلم، لقد كانت هناك فحسب، فرَّقت الاثنين عن بعضهما بعضًا بهذا النوع المذهل من القوة الغاشمة، النوع الذي لا تمتلكه سوى الأمهات.

لقد فَصَلَتهما عن بعضهما بعضًا وقد وضعت يدًا على صدر كل منهما. وبدلًا من أن تبدو غاضبة، بدت في غاية الحزن وهي تقول: «عليكما أن تتوقفا».

لقد بدت وكأنها على وشك البكاء، ولم تكن أمي تبكي مطلقًا.

كانوا يتنفسون بصعوبة، ولا ينظرون إلى بعضهم بعضًا، ولكنهم بطريقة ما كانوا متواصلين معًا، ثلاثتهم. لقد فهموا شيئًا ما لم أفهمه. لقد كنت واقفة هناك فحسب، على الهامش، أشهد على كل شيء. ذكَّرني الأمر بالمرة التي ذهبتُ فيها إلى الكنيسة مع تايلور، وكان الجميع يعرفون الترانيم، ما عداي أنا. كانوا رافعين أذرعتهم في الهواء وهم يتمايلون ويعرفون كل كلمة عن ظهر قلب، وشعرتُ بأنني دخيلة.

قالت أمي وهي تنزل يديها عنهما: «إنكما تعرفان، أليس كذلك؟».

حبس جيرمايا أنفاسه، وعرفت أنه قد حبسها، محاولًا ألا يبكي. كانت الكدمات قد بدأت تظهر على وجهه بالفعل. أما وجه كونراد فبدا غير مبالٍ، منفصلًا عن الواقع، وكأنه ليس هناك.

حتى بدأت مشاعره تظهر على وجهه وبدا فجأة كما لو كان في الثامنة من عمره. نظرتُ خلفي، ورأيتُ سوزانا تقف عند مدخل الباب، كانت ترتدي فستانها المنزلي القطني الأبيض، وقد بدت واهنة للغاية وهي تقف هناك.

قالت وهي ترفع يديها في غير حول منها ولا قوة: «أنا آسفة».

خطت نحو الولدين، في تردد، وتراجعت أمي. مدَّت سوزانا ذراعيها وارتمى جيرمايا في حضنها، وعلى الرغم من أنه كان أضخم منها حجمًا بكثير، فقد بدا صغيرًا. لطَّخ الدم على وجهه مقدمة فستانها، ولكنهما لم يأبها ولم يبتعدا. لقد بكى كما لم أسمعه يبكي منذ أن أغلق كونراد باب السيارة على يده بالخطأ منذ سنوات عديدة. وقد بكى كونراد في ذلك اليوم بقوة بكاء جيرمايا نفسها، ولكنه لم يفعل ذلك الآن. لقد ترك سوزانا تلمس شعره، ولكنه لم يبكِ.

قالت أمي وهي تمسك بيدي: «بيلي، فلنذهب».

إنها لم تفعل ذلك منذ وقت طويل. ومثل طفلة صغيرة، تبعتُها للداخل، صعدنا إلى الطابق العلوي، إلى غرفتها، أغلَقَت الباب وجلَسَتْ على السرير، وجلستُ بجانبها.

سألتها في حيرة من أمري، وأنا أبحثُ في وجهها عن إجابة: «ما الذي يحدث؟».

أخذت يديَّ ووضعتهما بداخل يديها. لقد أمسكتهما بقوة، كما لو كانت هي مَن تتشبث بي، هي من تحتاج إليَّ، وليس العكس.

قالت: «بيلي، لقد مرضت سوزانا مجددًا».

أغلقتُ عينيَّ. كان بإمكاني سماع هدير المحيط من حولي؛ كان الأمر أشبه بإمساك صدفة محَّار بقرب شديد من أذني. لم يكن هذا صحيحًا. لم يكن هذا صحيحًا. لقد كنتُ في أي مكان آخر عدا هناك، عدا في تلك اللحظة. كنتُ أسبح تحت قبة من النجوم، كنت في المدرسة، جالسة في حِصَّة الرياضيات، فوق دَرَّاجتي، على الطريق القابع خلف بيتنا، ولكنني لم أكن هناك، لم يكن هذا ما يحدث.

تنهدت أمي وقالت: «آهٍ يا بين، أحتاج إلى أن تفتحي عينيكِ، أريدكِ أن تصغي إليَّ».

لن أفتحهما، لن أستمع. لم أكن هناك حتى.

- إنها مريضة. إنها كذلك منذ فترة طويلة. لقد عاد السرطان من جديد. وهو... وهو في غاية الشراسة. لقد انتشر حتى وصل إلى كَبِدها.

فتحت عينيَّ وانتزعتُ يديَّ من يديها قائلة: «توقفي عن قول هذا. إنها ليست مريضة. هي بخير. إنها لا تزال سوزانا».

كان وجهي مبللًا ولم أكن أعرف حتى متى قد بدأتُ في البكاء.

أومأت أمي برأسها، وبللت شفتيها بلسانها، ثم قالت: «أنتِ محقة. إنها لا تزال سوزانا. هي تخوض الأمور على طريقتها الخاصة. لم تكن تريدكم أن تعرفوا أيها الصغار. لقد أرادت أن يكون هذا الصيف... مثاليًّا».

لقد اختنق صوتها عند كلمة «مثاليًّا». لقد بدت الكلمة أشبه بصوت تمزُّق جوربٍ من النايلون، وكانت الدموع تترقرق في عينيها كذلك. جذبتني إليها، وضمَّتني إلى صدرها وأخذت تهزني ذهابًا وإيابًا. وقد تركتها تفعل ذلك.

انتحبتُ قائلة: «ولكنهم كانوا بالفعل يعرفون. الجميع يعرف ما عداي أنا. إنني الوحيدة التي لا تعرف، وأنا أحب سوزانا أكثر من أي شخص آخر».

وهو ما لم يكن صحيحًا، كنتُ أعرف ذلك. جيرمايا وكونراد، هما مَن يحبَّانها أكثر من الجميع. ولكنني شعرتُ بذلك حقًّا في هذه اللحظة. أردتُ أن أقول لأمي بأنه لا يهم على أية حال، لقد أُصيبت سوزانا بالسرطان في مرة سابقة، وكانت بخير. ستكون بخير مجددًا. ولكن لو قلتُ ذلك بصوت عالٍ سيكون بمنزلة اعتراف بأنها حقًّا مصابة بالسرطان، وأن هذا كان يحدث بالفعل. لم أستطع!

في تلك الليلة استلقيتُ على سريري وبكيت. كان جسدي كله يؤلمني، فتحتُ كل النوافذ في غرفتي وبقيتُ مستلقية في الظلام، أستمع إلى المحيط فحسب. تمنيتُ لو يأخذني المَدُّ ولا يعيدني أبدًا، تساءلتُ عما إذا كان هذا هو ما شعر به كونراد، وشعر به جيرمايا، وشعرت به أمي.

شعرتُ أن العالم كان ينتهي وأن لا شيء أبدًا سيعود مجددًا كما كان من قبل. وقد كان كذلك.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الثالث والأربعون

عندما كنا صغارًا، حين يكون المنزل ممتلئًا، ممتلئًا حقًّا بالأشخاص كأبي والسيد فيشر والأصدقاء الآخرين، كنتُ أنا وجيرمايا نتشارك سريرًا واحدًا، وكذلك كونراد وستيفن، كانت أمي تأتي لتدسنا في الأغطية. ورغم أن الأولاد كانوا يتظاهرون بأنهم قد كبروا جدًّا على ذلك، فإنني كنتُ أعرف أنهم قد أحبوا ذلك بقدر ما أحببته. لقد كان هذا الشعور بكونك مرتاحًا ودافئًا مثل حشرة في بُساط، وملفوف بالحب كالبوريتو[1]. كنتُ أستلقي في السرير وأستمع إلى الموسيقى وهي تنجرف صعودًا على درجات السلَّم من الطابق السفلي، ونهمس أنا وجيرمايا بقصص مخيفة لبعضنا بعضًا حتى ننام. لطالما كان يغط في النوم أولًا. لطالما كنتُ أقرصه في محاولة لإيقاظه، ولكن الأمر لم ينجح قط. في آخر مرة حدث فيها ذلك، لربما كانت هي آخر مرة التي شعرتُ فيها بكوني آمنة حقًّا، حقًّا في هذا العالم. وكأنما كل شيء سليم وعلى ما يرام.

في ليلة شِجار الولدين، طرقتُ باب جيرمايا.

---

(1) البوريتو: نوع من المأكولات المكسيكية، والذي يتكون بشكل رئيسي من خبز تورتيلا ملفوف بشكل أسطواني ليحتوي ما بداخله من حشوات.

وقال: «ادخل».

كان مستلقيًا على سريره يحدِّقُ إلى السقف ويداه مشبوكتان وراء رأسه. وجدتُ خديه مبللين وبدت عيناه دامعتين وحمراوين، كان يحيط بعينه اليمنى لون رمادي مائل إلى الأرجواني، وكانت قد تورَّمت بالفعل. وحالما رآني، مسح عينيه بظهر يده.

قلتُ: «مرحبًا، أيمكنني الدخول؟».

فنهض جالسًا وقال: «أجل، تفضلي».

مشيتُ نحوه وجلستُ على حافة السرير وأسندتُ ظهري إلى الحائط. ثم بدأت في التحدث قائلةً: «أنا آسفة».

لقد كنتُ أتدرب على ما سأقوله، وكيف سأقوله. حتى يتسنى له معرفة كم كنتُ آسفة حقًّا. آسفة على كل شيء. ولكن ما لبثتُ أن بدأت في البكاء وأفسدتُ الأمر.

مدَّ يده ووضعها على كتفي في ارتباك. لم يستطع النظر إليَّ، وهو ما سهَّل الأمر عليَّ بطريقة ما.

قلتُ: «هذا ليس عدلًا».

ثم بدأتُ في النحيب.

قال جيرمايا: «لقد كنتُ أفكر في الأمر طيلة الصيف، كيف أنه من المحتمل أن يكون الصيف الأخير. فهذا هو مكانها المفضل، كما تعلمين. أردته أن يكون صيفًا مثاليًّا لأجلها، ولكن كونراد ذهب ودمر كل شيء. لقد استسلم وانسحب. أمي قلقة للغاية، وهذا آخر شيء قد تحتاج إليه، أن تقلق بشأن كونراد. إنه أكثر شخص أناني عرفته في حياتي، إلى جانب أبي».

كنتُ أقول في خاطري: إن كونراد يتألم **أيضًا**. ولكنني لم أقل ذلك بصوت عالٍ لأنه لن يساعد في أي شيء، لذا اكتفيتُ بقول: «أتمنى لو أنني كنتُ أعرف، لو أنني قد أوليتُ اهتمامًا، لكان الوضع سيكون مختلفًا».

هزَّ جيرمايا رأسه قائلًا: «لم تكن تريدكِ أن تعرفي. لم تكن تريد أيًّا منا أن يعرف. لقد أرادت أن يكون الأمر على هذا النحو، لذا تظاهرنا بذلك. من

أجلها. لكني كنتُ أتمنى لو كان بمقدوري إخبارِك. لربما قد سهَّل عليَّ ذلك الأمر بعض الشيء أو شيئًا من هذا القبيل».

ثم مسح عينيه بياقة التي-شيرت الذي يرتديه، وكان بإمكاني رؤية كيف أنه يحاول جاهدًا أن يتمالك نفسه، وأن يتحلَّى بالقوة.

مددتُ يدي لأعانقه، وقد ارتجف، وبدا أن شيئًا ما قد انكسر داخله. بدأ يبكي، يبكي بحق، ولكن في هدوء. بكينا معًا، وأكتافنا تهتز وترتجف من وطأة حِمل هذا كله.

استمررنا في البكاء بهذا الشكل لوقت طويل. وعندما توقفنا، تركني ومسح أنفه.

قلتُ: «تنحَّ جانبًا».

وهكذا فعل، تنحى جانبًا بالقرب من الحائط، ومددتُ ساقيَّ بجانبه.

- سأنام هنا، حسنًا؟

قلتُ ذلك، غير أنه لم يكن سؤالًا.

أومأ جيرمايا برأسه ونمنا على هذه الحالة، بملابسنا فوق اللحاف. وعلى الرغم من أننا أصبحنا أكبر سنًّا، فإن شعورنا لم يتغير. نمنا وجهًا لوجه، بالطريقة التي اعتدناها.

استيقظتُ في وقت مبكر من صباح اليوم التالي متشبثة في جانب السرير الذي كدتُ أسقط منه، كان جيرمايا ممددًا وقد شغل معظم مساحة السرير ويشْخِر، غطيته بالجانب الخاص بي من اللحاف، حتى أصبح مطويًّا فيه وكأنه نائم داخل أحد أكياس النوم، ثم غادرتُ.

عدتُ إلى غرفتي، وكنتُ ما لبثتُ أن وضعتُ يدي على مقبض الباب عندما سمعتُ صوت كونراد.

قال: «صباح الخير».

عرفتُ على الفور أنه قد رآني أغادر غرفة جيرمايا.

استدرتُ ببطء، وكان هناك، واقفًا بملابس الليلة الماضية، مثلي تمامًا. لقد بدا أشعث، ومترنحًا للأمام بعض الشيء، وكأنه سوف يتقيأ.

- هل أنت ثمل؟

هزَّ كتفيه كما لو أنه لا يمكنه أن يكون أقل اهتمامًا، ولكن كتفيه كانتا مشدودتين ومتصلبتين.

قال بوقاحة: «ألا يفترض بكِ أن تكوني لطيفة معي الآن؟ مثلما كنتِ مع جير في الليلة الماضية؟».

فتحتُ فمي لأدافع عن نفسي، لأقول إن شيئًا لم يحدث، أو إن كل ما فعلناه هو البكاء على أنفسنا حتى النوم، لكنني لم أرغب في ذلك، لم يكن كونراد يستحق أن يعرف أي شيء.

قلتُ ببطء وتعمُّد: «أنت أكثر شخص أناني قابلته في حياتي. (تركتُ كل كلمة تثقب الهواء كما السهم. لم أرغب قط في إيذاء مشاعر أحد بهذه الشدة في حياتي كلها) لا أصدق أنني اعتقدتُ يومًا أنني أحبك».

شحب وجهه فجأة، وفتح فمه ثم أغلقه، ثم ما لبث أن فعل ذلك مرة أخرى. لم أره من قبل عاجزًا عن الكلام بهذا الشكل.

دخلتُ إلى غرفتي. كانت هذه هي المرة الأولى التي أكون أنا مَن يلقي بالكلمة الأخيرة مع كونراد. لقد فعلتُها. لقد أنهيت الأمر. شعرتُ بالحرية، ولكنها حريةٌ اشتُريَت بثمن باهظ فظيع. لم يكن شعورًا جيدًا بأي شكل ممكن. هل كان لي الحق في قول تلك الأشياء له، بينما كان بالفعل مجروحًا بتلك الطريقة؟ هل كان لي عليه أي حقوق؟ لقد كان يتألم، وكذلك أنا.

عندما عدتُ إلى سريري، دخلتُ تحت الأغطية، وبكيت أكثر، وهنا كنتُ قد بدأت أفكر في أن الدموع قد جفَّت من عينيَّ، أنني لن أكون قادرة على ذرف الدموع مرة أخرى مطلقًا، كان كل شيء خاطئًا.

كيف قضيتُ هذا الصيف بأكمله قلقة بشأن الأولاد، والسباحة، والحصول على درجة جذابة من سمرة البشرة، بينما كانت سوزانا مريضة؟ كيف لهذا أن يحدث؟ بدت فكرة الحياة من دون سوزانا مستحيلة. كانت شيئًا غير معقول؛ لم أستطع حتى تصور ذلك. لم أستطع أن أتخيل ما سيكون عليه الحال بالنسبة إلى جيرمايا وكونراد. إنها أمهما.

لاحقًا في هذا الصباح، لم أنهض من السرير. نمتُ حتى الحادية عشرة، ثم بقيتُ في سريري فحسب. كنتُ أخشى النزول إلى الطابق السفلي ومواجهة سوزانا وجعلها ترى أنني أعرف.

قرابة الظهيرة، دخلت أمي إلى غرفتي من دون حتى أن تطرق الباب.

قالت وهي تتفحص فوضاي: «هيا، انهضي وتألقي».

التقطت سروالًا قصيرًا وتي-شيرت وطوتهما على صدرها.

قلتُ لها وأنا أتقلب على الجانب الآخر: «لستُ مستعدة للنهوض من السرير بعد».

شعرتُ بأنني غاضبة منها، وكأنني قد خُدِعت. كان عليها أن تخبرني، كان عليها أن تحذرني. طوال حياتي، لم أكن أعرف مطلقًا أن أمي تكذب. ولكنها فعلت. كل تلك الأوقات التي كان من المفترض أنهما كانتا تتسوقان فيها، أو في المتحف، أو في رحلاتهما اليومية... لم تكونا فعلًا تذهبان إلى أي من تلك الأماكن. لقد كانتا في المستشفيات، مع الأطباء. اكتشفتُ ذلك الآن. فقط تمنيتُ لو أنني قد لاحظتُ ذلك مسبقًا.

اقتربت أمي مني وجلست على حافة سريري. حكَّت ظهري، وبدا الشعور بأظفارها على بشرتي لطيفًا.

قالت بهدوء: «عليكِ أن تنهضي من سريركِ يا بيلي. أنتِ لا تزالين على قيد الحياة وكذلك سوزانا. عليكِ أن تتحلي بالقوة من أجلها. هي بحاجة إليكِ».

بدت كلماتها منطقية. لو كانت سوزانا بحاجة إلي، إذًا فثمة شيء يمكنني فعله. قلتُ وأنا التفتُ لأنظر إليها: «يمكنني فعل هذا. أنا فقط لا أفهم كيف للسيد فيشر أن يتركها بمفردها هكذا عندما تكون في أمس الحاجة إليه».

أشاحت بنظرها بعيدًا، نحو النافذة، ثم عادت تنظر إليَّ قائلة: «هذه هي الطريقة التي تريد بيك أن تكون عليها الأمور. وآدم هو على ما هو عليه. (ثم احتضنت خدَّيَّ بين يديها) ليس من شأننا أن نقرر».

وجدتُ سوزانا في المطبخ، تعد كعك «المافنز» بالتوت. كانت تتكئ على طاولة المطبخ تُقَلِّب الخليط في وعاء معدني كبير. كانت ترتدي فستانًا آخر من فساتينها المنزلية القطنية، وأدركتُ أنها ظلَّت ترتدي هذا النوع من الفساتين طيلة الصيف، لأنها فضفاضة. لقد أخفت مدى نحافة ذراعيها، وكيف كانت عظمتي ترقوتها بارزتين من تحت جلدها. لم تكن قد رأتني بعد، وكنتُ أميل إلى الهرب قبل أن تفعل. ولكنني لم أهرب. لم أستطع.

قلتُ: «صباح الخير يا سوزانا».

بدت نبرة صوتي عالية وزائفة، ليست كنبرتي الطبيعية على الإطلاق.

رفعت رأسها وابتسمت قائلة: «إننا بعد الظهر. لا أعتقد أن هذا يعتبر صباحًا بعد الآن».

قلتُ وقد كنتُ لا أزال بجانب الباب: «مساء الخير إذن».

سألتني بنبرة خافتة: «هل أنتِ غاضبة مني أيضًا؟».

رغم أن عينيها بدوتا قلقتين.

فأجبتها وأنا أقترب منها من الخلف وأطوِّقها بذراعيَّ من حول بطنها: «لا يمكنني أن أغضب منكِ أبدًا».

وضعتُ رأسي في الفراغ بين رقبتها وكتفها، كانت رائحتها كالزهور.

قالت بنبرتها الخافتة نفسها: «ستعتنين به، أليس كذلك؟».

- مَن؟

استطعت الشعور بخدَّيها يشكلان ابتسامة.

- أنتِ تعرفين مَن.

فهمستُ وأنا لا أزال أعانقها بشدة قائلة: «أجل».

فتنهدت وقالت: «عظيم. إنه يحتاج إليكِ».

لم أسألها مَن الذي كانت تقصده بكلامها، لم أكن بحاجة إلى ذلك.

- سوزانا؟

- همم؟

- عديني بشيء.

- أي شيء.

- عديني بأنكِ لن ترحلي أبدًا.

فقالت دون تردد: «أعدكِ».

تنفستُ الصعداء، ومن ثم تركتها وأنا أسألها قائلة: «هل يمكنني مساعدتكِ في إعداد الكعك؟».

- أجل من فضلِك.

ساعدتها في تحضير السكر البني والزبدة ودقيق الشوفان. وأخرجنا الكعك من الفرن مبكرًا لأننا لم نستطع الانتظار، وأكلناه بينما كان لا يزال يشع بخارًا ولزجًا من الداخل.

أكلتُ ثلاثة. وبينما كنتُ جالسة معها، وأراها وهي تدهن كعكتها بالزبدة، شعرتُ بأنها ستبقى هنا إلى الأبد.

بطريقة ما، وصل بنا الحديث إلى التحدث عن الحفلات الراقصة والرَقَصَات. تحب سوزانا التحدث عن أي شيء يخص أمور الفتيات؛ قالت إنني الشخص الوحيد الذي يمكنها التحدث معه حول هذا النوع من الأشياء. فمن المؤكد أن أمي لن تفعل ذلك معها وبالطبع ولا كونراد ولا جيرمايا كذلك. وإنما أنا فقط، ابنتها المزعومة.

قالت: «تأكدي من أنك سترسلين إليَّ صورًا لكِ من حفلكِ الراقص الأول».

لم أذهب إلى أي من حفلات الترحيب أو التخرج الخاصة بمدرستي بعد. لم يطلب أحد مني مرافقته، ولا أشعر بالرغبة في ذلك حقًّا. فإن الشخص الوحيد الذي أردتُ الذهاب معه لم يكن في مدرستي.

قلتُ لها: «سأفعل، وسأرتدي الفستان الذي اشتريته لي الصيف الماضي».

- أي فستان؟

- ذلك الذي اشتريته لي من المركز التجاري، ذا اللون الأرجواني التي تشاجرتِ أنتِ وأمي بسببه في ذلك اليوم. أتتذكرين؟ لقد وضعتِه في حقيبتي؟».

تجهَّم وجهها في شيء من الارتباك وقالت: «لم أشتر لكِ هذا الفستان. كانت لوريل ستفقد عقلها لو فعلتُ ذلك. (ثم راق وجهها وابتسمت.) لا بد أن والدتك قد عادت واشترته لكِ».

- أمي؟ لن تفعل أمي هذا أبدًا.

- تلك هي أمك، هذا هو أسلوبها.

- ولكنها لم تقل قط...

تلاشى صوتي. لم أفكر حتى في احتمال أن تكون أمي هي مَن اشترته لي.

- لن تفعل ذلك. هذا ليس من شيمها. (مدَّت سوزانا يدها عبر الطاولة وأمسكت بيدي) أنتِ أكثر فتاة محظوظة في العالم لكونها أمك، اعلمي هذا جيدًا.

بدت السماء رمادية، وكانت ثمة برودة منعشة في الهواء. خمَّنتُ أنها ستمطر قريبًا. كان الجو ضبابيًّا جدًّا بالخارج لدرجة أن الأمر استغرق مني دقيقة لأعثر عليه. وها قد فعلتُ أخيرًا، على بعد نحو نصف ميل. دائمًا ما ينتهي بنا المطاف على الشاطئ. كان جالسًا، وركبتاه مضمومتان إلى صدره، لم ينظر إليَّ عندما جلستُ بجانبه، ظلَّ يحدق إلى المحيط فحسب.

كانت عيناه أشبه بهاوية قاتمة، وكأنهما مجرد تجويفين. كانتا خاويتين تمامًا. لقد رحل الفتى الذي اعتقدتُ أنني أعرفه جيدًا، لقد بدا تائهًا للغاية وهو جالس هناك.

شعرتُ بذلك المَيل القديم. تلك القوة الجاذبة، تلك الرغبة في العيش بداخله، أينما كان في هذا العالم، سأعرف أين أجده، وسأفعل ذلك. سأجده وآخذه إلى المنزل. سأعتني به، تمامًا كما أرادت سوزانا.

تحدثتُ أولًا قائلة: «أنا آسفة، آسفة حقًّا. أتمنى لو أنني كنتُ أعرف...».

قال: «أرجوكِ توقفي عن الكلام».

فهمستُ وقد بدأتُ في النهوض: «أنا آسفة».

لطالما كنتُ أقول الشيء الخطأ.

قال كونراد: «لا ترحلي».

انهارت كتفاه، وكذلك وجهه. ولكنه أخفى ذلك بيديه. لقد بدا وكأنه قد عاد في الخامسة من عمره مرة أخرى، كلانا كنا كذلك.

قال: «أنا غاضب جدًّا منها».

بدت كل كلمة تخرج منه مثل هَبَّة من الهواء المركَّز. أحنى رأسه، وكتفاه مكسورتان ومنحنيتان. لقد كان يبكي أخيرًا.

راقبته في صمت. شعرتُ كما لو أنني كنتُ أتطفل على لحظة خاصة، لحظة لم يكن ليسمح لي برؤيتها لو لم يكن في كرب شديد، فإن كونراد القديم كان يحب إبقاء الأمور تحت سيطرته.

هذا الجذب القديم، هذا المَدُّ الذي يعيدني إليه من جديد. ظللتُ عالقة في هذا التيار، أعني، الحب الأول. ظلَّ حبي الأول يجعلني أعود إلى هذا، أعود إليه. ما زال يخطف أنفاسي بعيدًا، بمجرد القرب منه. كنتُ أكذب على نفسي طوال الليلة السابقة، معتقدة أنني قد تحررتُ، معتقدة بأنني قد تخليتُ عنه. لا يهم ما الذي قاله أو فعله، لن أتخلى عنه مطلقًا.

تساءلتُ ما إذا كان من شأن قُبلة أن تخلِّص شخصًا ما من ألمه. لأن هذا هو ما أردتُ فعله، أن آخذ كل حزنه منه وأسكبه بعيدًا، أن أريحه، أن أجعل الفتى الذي أعرفه يعود من جديد. مددتُ يدي لألمس الجزء الخلفي من رقبته. جفل إلى الأمام، قليلًا فحسب، ولكنني لم أسحب يدي بعيدًا، تركتها تستريح هناك، لمستُ شعره، ثم أدرت رأسه نحوي، وقَبَّلته. بتردد في البداية، ومن ثم بدأ هو في تقبيلي، وها قد أصبحنا نتبادل القُبَل. كانت شفتاه دافئتين ومتعطشتين. كان متعطشًا إليَّ، محتاجًا إليَّ. اجتاح عقلي ضوء أبيض نقي مُعمٍ، وكانت الفكرة الوحيدة التي تدور به هي: *أنا وكونراد فيشر نتبادل القُبَل!*

إن سوزانا تحتضر، وأنا أُقَبِّل كونراد.

كان هو مَن انسحب أولًا.

قال بصوت أجش مبحوح: «أنا آسف».

لمستُ شفتيَّ بظهر أصابعي وسألتُ: «على ماذا؟».

لم أستطع التقاط أنفاسي.

- لا يمكن لهذا أن يحدث بهذا الشكل. (سكت لبرهة، ثم أردف) إنني بالفعل أفكر فيكِ. هل تعلمين أن.. أنا فقط لا أستطيع... هل يمكنك... هل يمكنك أن تظلي هنا معي فحسب؟

أومأتُ برأسي. كنتُ خائفةً من أن أفتح فمي.

أمسكتُ بيده وضممتها بقوة داخل يدي، وشعرتُ بأن هذا كان أكثر شيء صحيح فعلته منذ وقت طويل. جلسنا هناك على الرمال، متشابكي الأيدي، كما لو كان هذا شيئًا قد اعتدنا فعله دائمًا. بدأت السماء تمطر، مطرًا خفيفًا في البداية.

ضربت قطرات المطر الأولى الرمال، ثم تخَرَّزَت قطراته فوق حبَّات الرمال وتدحرجت بعيدًا.

بدأ المطر يشتد، وأردتُ أن أنهض وأعود إلى المنزل، ولكني استطعتُ القول بأن كونراد لم يُرد ذلك. لذا بقيتُ جالسة معه هناك، ممسكة بيده من دون قول كلمة واحدة. شعرتُ أن كل شيء يبدو بعيدًا جدًّا، وكأنه ليس في العالم سوانا.

الفصل الرابع والأربعون

قُرب نهاية الصيف، تباطأ كل شيء، وبدأ كل شيء يبدو وكأنه جاهز للانتهاء. بدا الأمر مثل أيام الثلوج. في ذات مرة كانت ثمة عاصفة ثلجية كبيرة، ولم نذهب إلى المدرسة لمدة أسبوعين كاملين. وبعد فترة أردتُ فقط الخروج من المنزل، حتى لو كان هذا يعني الذهاب إلى المدرسة. كان وجودي في المنزل الصيفي مشابهًا لذلك. فحتى الجنة من الممكن أن تكون خانقة. يمكنك الجلوس على الشاطئ من دون فعل أي شيء لمرات عديدة حتى تبدأ في الشعور بأنك صرت مستعدًا حقًّا للذهاب. لطالما شعرتُ بهذا قبل أسبوع من مغادرتنا، وبعد ذلك بالطبع، عندما يحين الوقت فعلًا، لم أكن أبدًا مستعدة للذهاب. كنتُ أشعر بالرغبة في البقاء للأبد. يا له من تناقض تام، لأنه بمجرد أن نركب السيارة، ونبدأ في السير مبتعدين، كان كل ما أريد فعله هو القفز منها والعودة إلى المنزل الصيفي.

اتصل بي كام مرتين، وفي المرتين لم أجب، تركت الهاتف يرن حتى ذلك الإشعار بترك رسالة صوتية. في المرة الأولى التي اتصل فيها، لم يترك رسالة. وفي المرة الثانية قال: «مرحبًا، هذا كام... آمل أن أستطيع رؤيتك قبل

أن يغادر كلانا. ولكن إن لم يحصل، فَـــــــ... حسنًا، لقد كان من اللطيف حقًّا التسكع برفقتك. إذن، أجل، هذا كل شيء. عاودي الاتصال بي، إذا أردتِ».

لم أكن أعرف ماذا أقول له. لقد أحببتُ كونراد وعلى ما يبدو أنني سأظل أحبه إلى الأبد. سأقضي حياتي كلها أحبه بطريقة أو بأخرى. ربما سأتزوج، ربما سأكوِّن عائلة، ولكن لا يهم. لأن ثمة قطعة من قلبي، تلك التي يعيش الصيف فيها، ستظل ملكًا لكونراد للأبد. كيف عساي قول تلك الأشياء لكام؟ كيف أخبره بأنه ثمة قطعة محفوظة له، أيضًا؟ لقد كان أول فتى يخبرني بأنني جميلة. لا بد لشيء كهذا أن يدخل في الحسبان، ولكن كان من المستحيل عليَّ إخباره بأي من تلك الأشياء. لذا فعلتُ الشيء الوحيد الذي استطعتُ التفكير في فعله. تركتُ الأمر على ما هو عليه، لم أتصل به.

مع جيرمايا كان الأمر أسهل. بقولي هذا أعني أنه كان متهاونًا معي. لم يسبب لي أية متاعب، لقد تظاهر بأن الأمر لم يحدث، كما لو أننا لم نقل أيًّا من تلك الأشياء في غرفة التلفاز، واستمر في إلقاء النكات ومناداتي «بيلي بوتون» تمامًا كعادته.

لقد فهمتُ كونراد أخيرًا. أعني، فهمتُ ما كان يقصده بقوله إنه لا يستطيع التعامل مع أي من هذا، معي. أنا أيضًا لم أكن مستعدة. كل ما أردتُ فعله هو قضاء كل ثانية في المنزل، مع سوزانا.

أن أستمتع بآخر قطرة من الصيف، والتظاهر بأنه كان مثل الصيف الذي سبقه، هذا كل ما أردته.

الفصل الخامس والأربعون

كم كنتُ أكره اليوم الذي يسبق مغادرتنا، لأنه كان يوم التنظيف، وعندما كنا أطفالًا، لم يُسمح لنا بالذهاب إلى الشاطئ على الإطلاق، لكيلا نجلب المزيد من الرمال إلى المنزل. لقد غسلنا جميع الملاءات وكنسنا كل الرمال، وتأكدنا من أن جميع ألواح ركوب الأمواج والعوَّامات كانت في الطابق السفلي، نظفنا الثلاجة، وجهزنا الشطائر لنأكلها في طريقنا للعودة إلى المنزل. دائمًا ما تكون أمي على رأس القيادة في هذا اليوم. كانت هي مَن تصر على أن يكون كل شيء نظيفًا ومرتبًا على أكمل وجه. حتى يكون على حد قولها: «جاهزًا تمامًا للصيف المقبل». ما لم تكن تعرفه هو أنه كان لسوزانا عمَّال نظافة يأتون للتنظيف بعد مغادرتنا وقبل أن نعود.

لقد ضبطتُ سوزانا وهي تتصل بهم ذات مرة، لترتب موعدًا. وقد غطَّت سماعة الهاتف بيد واحدة وهمست وقد شعرت بالذنب قائلة: «لا تخبري أمك يا بيلي، اتفقنا؟».

أومأتُ برأسي. لقد بقي سِرًّا بيننا، وقد أحببتُ ذلك. في الواقع، كانت أمي تحب التنظيف ولم تؤمن مطلقًا بالاعتماد على مدبرات المنزل أو الخادمات أو أي أشخاص آخرين يفعلون ما تعتبره عملنا. كانت تقول: «هل ستطلبون من

شخص آخر أن ينظف لكم أسنانكم، أو يربط أحذيتكم، فقط لأنكم تستطيعون ذلك؟» وكان الجواب لا.

«لا تقلقي كثيرًا بشأن الرمال». كانت سوزانا تهمس لي بذلك عندما تراني أكنس أرضية المطبخ للمرة الثالثة. وكنتُ أستمر في الكنس على أية حال، فقد كنتُ أعرفُ ما ستقوله أمي إذا شعرت بأي حبيبات من الرمال في قدميها.

في تلك الليلة كنا نتناول كل ما تبقى في الثلاجة على العشاء، تلك هي عادتنا. سخَّنت أمي اثنتين من البيتزا المجمدة، وأعادت تسخين شعرية «لو مين» وأرزًا مقليًّا، وأعدت سلطة من الكرفس الباهت والطماطم، وكان هناك أيضًا حساء البطلينوس، ونصف طبقٍ من لحم الريَّش، بالإضافة إلى سلطة البطاطس الخاصة بسوزانا التي قد أُعِدَّت منذ أكثر من أسبوع. لقد كانت مجموعة متنوعة من الأطعمة التي لا يشعر أحد بالرغبة في أكلها.

ولكننا فعلنا، جلسنا حول طاولة المطبخ وتناولنا الطعام من الأطباق المغطاة بورق الألومينيوم. ظلَّ كونراد يختلس النظرات إليَّ، وفي كل مرة أبادله النظرة، كان يشيح بنظره بعيدًا. أنا هنا، أردتُ أن أقول له ذلك، أنا ما زلتُ هنا. كنا جميعًا هادئين جدًّا حتى كسر جيرمايا الصمت تمامًا ككسر طبقة الكراميل الصلبة التي تغطي حلى «الكريم بروليه».

قال: «سلطة البطاطس طعمها أشبه برائحة الفم الكريهة».

فقال كونراد: «أعتقد أنك قد عضضت شفتك العليا ليس إلا».

ضحكنا جميعًا، شعرتُ بالارتياح لسماعي ضحكاتنا، فكوننا قادرين على الضحك، يعني أننا كنا أي شيء آخر عدا كوننا حزانى.

ثم قال كونراد: «قطعة اللحم هذه يغطيها العفن».

وبدأ جميعنا في الضحك مرة أخرى، شعرتُ أنني لم أضحك منذ وقت طويل.

رفعت أمي بؤبؤي عينيها قائلة: «هل سيقتلك إن أكلت القليل من العفن؟ فلتكشطه فحسب. أعطني إياها. سآكلها أنا».

رفع كونراد يديه مستسلمًا، ومن ثم طعن قطعة اللحم بشوكته وأسقطها في طبق أمي بطريقة احتفالية.

- استمتعي بها يا لوريل.

قالت أمي: «أقسم بأنكِ تفسدين هذين الولدين بتدليلك لهما يا بيك. (بدا كل شيء طبيعيًّا في تلك اللحظة، مثل أي ليلة أخرى) لقد كبرت بيلي على أكل بقايا الطعام، أليس كذلك يا بين؟».

وافقتُ قائلة: «أجل. لقد كنتُ طفلة مُهمَلة لا تتغذى إلا على الطعام القديم الذي لم يقبل به أي شخص آخر».

كتمت أمي ابتسامة، ودفعت سلطة البطاطس نحوي.

قالت سوزانا وهي تلمس كتف كونراد وخد جيرمايا: «إنني أدللهما بالفعل. إنهما ملاكان، لمَ عساي ألا أفعل؟».

نظر الوَلَدان إلى بعضهما بعضًا عبر الطاولة لثانية.

ثم قال كونراد: «أنا ملاك. ولكن يمكنني القول إن جيرمايا أقرب إلى كونه «شاروبيم»».

مدَّ يده وفرك شعر جيرمايا بقوة، وأبعد جيرمايا يده قائلًا: «إنه ليس ملاكًا. إنه الشيطان بعينه».

بدا الأمر كما لو أن شجارهما قد مُحيَ. حينما يتعلق الأمر بالأولاد يكون كذلك؛ يتشاجرون ثم ينتهي الأمر وكأنه لم يكن.

التقطت أمي قطعة اللحم الخاصة بكونراد بشوكتها، ونظرت إليها، ثم أنزلتها مرة أخرى.

قالت وهي تتنهد: «لا أستطيع أكل هذه».

فعلَّقَت سوزانا قائلة وهي تضحك وتزيح شعرها عن عينيها: «قليل من العفن لن يقتلكِ. (ثم رفعت شوكتها في الهواء) أتعرفين ما الذي من شأنه أن يفعل؟».

حدَّق جميعنا إليها.

فقالت بنبرة انتصارية: «السرطان».

كان لديها أفضل تعبيرات وجه مخادعة عرفها الإنسان، حافظت على تعبير وجهها الجاد لثوانٍ أربع كاملة قبل أن تنفجر في نوبة من الضحك، أخذت تمرر أصابعها في شعر كونراد حتى ابتسم أخيرًا. كان من الواضح أنه لا يريد ذلك، ولكنه فعل، من أجلها.

قالت: «اسمعوا. إليكم ما سيحدث، إنني أذهب إلى إخصائي العلاج بوخز الإبر، وأتناول الأدوية، وما زلتُ أحارب بأقصى ما أستطيع. يقول طبيبي إن هذا أقصى ما يمكنني فعله في هذه المرحلة. أرفض وضع المزيد من السموم في جسدي أو قضاء المزيد من الوقت في المستشفيات. هذا هو المكان الذي أرغب في الوجود فيه، مع الأشخاص الأهم بالنسبة إليَّ».

- حسنًا

قلناها جميعًا، على الرغم من أن الوضع لم يكن «حسنًا» بأي شكل أو طريقة أو هيئة. ولن يكون كذلك أبدًا.

أكملت سوزانا كلامها قائلة: «لا أريد قضاء آخر أيامي عالقة في غرفة مستشفى. على الأقل أريد أن أرحل وأنا مستمتعة بسمرة البشرة الجذابة تلك، أريد أن أكون في لون سمرة بيلي نفسه».

ثم أشارت إليَّ بشوكتها.

قالت أمي: «بيك، إذا كنتِ تريدين أن تكوني في لون سمرة بيلي نفسه، فستحتاجين إلى مزيد من الوقت. هذا ليس شيئًا يمكنك تحقيقه في صيف واحد. إن فتاتي لم تولد سمراء البشرة، الأمر يستغرق سنوات. وأنتِ لستِ مستعدة بعد».

قالتها هكذا، ببساطة، ومنطقية.

سوزانا ليست مستعدة بعد، ولا أحد منا كذلك.

بعد العشاء، ذهب كل منا في طريق مختلف لحزم أمتعته. كان المنزل هادئًا للغاية، مكثتُ في غرفة نومي، أحزم ملابسي وأحذيتي وكتبي، حتى حان دور حزم ثوب سباحتي، لم أكن مستعدة لهذا بعد، أردتُ السباحة لمرة واحدة

أخرى، ارتديتُ ثوب سباحتي المكوَّن من قطعة واحدة وكتبتُ ملاحظتين، واحدة لجيرمايا، وأخرى لكونراد. وعلى كل منهما كتبتُ الآتي: «فلنذهب للسباحة عند منتصف الليل. قابلني بعد عشر دقائق». مررتُ الملاحظة من تحت عتبة كلا البابين ومن ثم ركضتُ إلى الطابق السفلي بأسرع ما يمكنني ومنشفتي تتطاير خلفي كالعَلَم. لم أستطع ترك الصيف ينتهي هكذا. لا يمكننا مغادرة هذا المنزل من دون أن نحظى بلحظة جيدة واحدة، تجمعنا جميعًا.

كان المنزل معتمًا، وشققتُ طريقي إلى الخارج دون أن أضيء أيًّا من الأنوار، لم أحتج إلى ذلك، فقد كنتُ أحفظه عن ظهر قلب.

بمجرد أن خرجتُ، غُصتُ في المسبح. لم أغص إلى ذلك العمق الذي كنت أصل إليه عندما يرميني الأولاد في الماء. ولكنها المرة الأخيرة في هذا الصيف، وربما تكون الأخيرة على الإطلاق، في هذا المنزل، على كل حال. كان القمر ساطعًا وناصع البياض، وبينما كنتُ أنتظر الولدين، أخذتُ أطفو على ظهري أعدُّ النجوم وأستمع إلى المحيط. عندما ينحسر المدُّ هكذا، كانت الأمواج تهمس وتخرخر، وكأنني أستمع إلى تهويدة. تمنيتُ أن أبقى إلى الأبد، في هذه اللحظة. كأن تتجمد بداخل إحدى تلك كرات الثلج البلاستيكية، لحظة واحدة صغيرة مجمَّدَة من الزمن.

خرجا معًا، ولدا بيك. أعتقدُ بأنهما قد التقيا بعضهما بعضًا على الدَرَج. كان كلاهما يرتدي سروال السباحة الخاص به. خطر لي أنني لم أرَ كونراد في زيٍّ سباحته طوال الصيف، وأننا لم نسبح في هذا المسبح منذ ذلك اليوم الأول. وأنني قد سبحتُ مع جيرمايا في المحيط مرة أو اثنتين فقط. بالكاد كان هناك وقت للسباحة هذا الصيف، باستثناء المرَّات التي سبحت فيها مع كام وتلك التي سبحتُ فيها بمفردي. جعلتني تلك الفكرة أشعر بحزن لا يوصف، لأن هذا الصيف كان ينقضي، وبالكاد قد سبحنا معًا.

قلتُ وأنا لا أزال طافية على ظهري: «مرحبًا».

غمس كونراد إصبع قدمه في الماء وقال: «إنه بارد نوعًا ما للسباحة، أليس كذلك؟».

فزعقتُ بصوت عالٍ: «جبان كالدجاجة! فقط اقفز وتجاوز الأمر».

نظرا إلى بعضهما بعضًا، ثم ركض جيرمايا وقفز قفزة سريعة، وتبعه كونراد مباشرة. أحدث كلاهما دفقتين كبيرتين وابتلعتُ طنًّا من الماء لأنني كنتُ مبتسمة، ولكني لم أهتم.

سبحنا حتى الجانب العميق ورفرفتُ بقدميَّ في الماء حتى أظل عائمة، مدَّ كونراد يده وأبعد قُصَّتي عن عيني. كانت لفتة صغيرة، ولكن جيرمايا قد رآها، فاستدار، وسبح بالقرب من حافة المسبح.

شعرتُ بالحزن للحظة، ثم فجأة، ومن العدم، أتتني ذكرى، شعرتُ بها مضغوطة في قلبي مثل ورقة شجر بداخل كتاب. رفعتُ ذراعيَّ في الهواء ودرتُ حول نفسي، وكأنني راقصة باليه مائي.

ومع الدوران بدأتُ أتلو من ذاكرتي:

«ماجي وميلي ومولي وماي
ذهبن إلى الشاطئ للعب (في أحد الأيام)
وعثرت ماجي على صَدَفة تغني
بعذوبة جعلتها تنسى أحزانها
وصادقت ميلي نجمة بحر ضائعة
بدت أذرعها كخمسة أصابع صغيرة واهنة».

ابتسم جيرمايا ابتسامة عريضة وقال:

«وطُورِدَت مولي من قِبَل شيء فظيع
وقد سابقها جنبًا إلى جنب في أثناء نفخها للفقاعات
ورجعت ماي إلى المنزل ومعها حجر دائري أملس
حجر صغير كالعالم وكبير كالوحدة...».

ثم قلنا معًا، وكونراد كذلك:

«لأنه مهما خسرنا من أشياء (مثلك أو مثلي)
سنجد أنفسنا دائمًا في البحر»[1].

ثم ساد الصمت بيننا ولم يقل أحد شيئًا. كانت تلك قصيدة سوزانا المفضلة. لقد علَّمتنا إياها عندما كنا أطفالًا، قبل وقت طويل... كنا في إحدى نزهات التمشية في الطبيعة التي تأخذنا فيها، حيث ظلَّت تشير إلى الأصداف وقناديل البحر. في ذلك اليوم، تمشينا على الشاطئ، متشابكي الأذرع، وتلونا تلك القصيدة معًا بصوت عالٍ جدًّا لدرجة أنني اعتقدت بأننا قد أيقظنا الأسماك. كنتُ أحفظها كما أحفظ عهد الولاء[2]، عن ظهر قلب.

قلتُ فجأة: «ربما يكون هذا صيفنا الأخير هنا».

قال جيرمايا وهو يطفو بجانبي: «مستحيل».

فذكَّرته قائلة: «سيلتحق كونراد بالكلية هذا الخريف، وأنت لديك معسكر لكرة القدم».

على الرغم من أن التحاق كونراد بالكُلِّيَّة وذهاب جيرمايا لمعسكر كرة القدم لمدة أسبوعين لم يكن لهما أي علاقة بأمر عدم عودتنا إلى هنا في الصيف المقبل. لم أقل ما كنا جميعًا نفكر فيه، أن سوزانا مريضة، وأنها قد لا تتحسن أبدًا، وأنها هي الخيط الذي يربطنا جميعًا معًا.

هزَّ كونراد رأسه قائلًا: «لا يهم. سنعود دائمًا إلى هنا».

تساءلتُ لثوانٍ ما إذا كان يقصد نفسه وجيرمايا فحسب. ولكنه ما لبث أن قال: «جميعنا».

ساد الصمتُ مرة أخرى، ثم خطرت لي فكرة.

---

(1) جميع الأبيات السابقة من قصيدة «ماجي وميلي ومولي وماي» (maggie and milly and molly and may) من تأليف «إي. إي. كامينجز» (e. e. cummings)، وهي قصيدة من الشعر الحر، فليس لأبياتها نظامًا محددًا للقافية.

(2) التعهد بالولاء لعلم الولايات المتحدة الأمريكية.

قلتُ وأنا أصفق بيديَّ معًا: «دعانا نصنع دوَّامة!».

فقال كونراد وهو يبتسم لي ويهز رأسه: «يا لكِ من طفلة صغيرة!».

ولأول مرة، لم يزعجني وصفه لي بالطفلة الصغيرة، لقد شعرتُ وكأنه إطراء.

طفوت إلى منتصف المسبح ورجوتهما قائلة: «بربكما يا رفاق!».

سبحا إليَّ، وكونَّا دائرة وبدأنا في الركض بشكل دائري بأسرع ما يمكننا.

صاح جيرمايا ضاحكًا: «أسرع! أسرع!».

ثم توقفنا، وأرخينا أجسادنا وتركناها تنجرف في الدوامة التي صنعناها للتو. أرجعتُ رأسي إلى الوراء وتركتُ التيَّار يحملني.

الفصل السادس والأربعون

عندما اتصل، لم أتعرف على صوته، جزئيًّا لأنني لم أتوقع سماعه، وجزئيًّا لأنني كنتُ لا أزال شبه نائمة.

قال: «أنا في سيارتي في طريقي إلى منزلك. هل يمكنني رؤيتك؟».

كانت تشير الساعة إلى الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل. وتبعدُ بوستون مسافة خمس ساعات ونصف. لقد قاد سيارته طوال الليل، لأنه أراد رؤيتي. أخبرته بأن يركن سيارته في آخر الشارع وأنني سألقاه عند الناصية، بعد أن تأوي أمي إلى الفراش، وقال بأنه سينتظر.

أطفأتُ الأنوار وانتظرتُ بجوار النافذة، وأنا أراقب المصابيح الخلفية للسيارات في ترقب، وفور رؤيتي لسيارته، أردتُ أن أركض إلى الخارج، ولكن كان عليَّ الانتظار. كان بإمكاني سماع صوت حركة أمي في غرفتها وعرفتُ أنها ستقرأ في السرير لمدة نصف ساعة على الأقل قبل أن تغفو. بدا الأمر وكأنه تعذيب، بعلمي بأنه ينتظرني بالخارج، وألا أكون قادرة على الذهاب إليه.

في الظلام أرتدي وشاحي وطاقيتي اللذين قد غزلتهما لي نانًا من أجل عيد الميلاد، ثم أغلقُ باب غرفتي وأمشي على أطراف أصابعي على طول الطُرقة المؤدية إلى غرفة أمي، وأضع أذني على الباب. إن الضوء مطفأ ويمكنني سماع شخيرها الناعم. ولم يعد ستيفن حتى إلى المنزل للآن، وهذا من حسن حظي، لأن نومه خفيف تمامًا مثل أبينا.

غفت أمي في النوم أخيرًا، والبيت هادئ وصامت. لا تزال شجرة الميلاد خاصتنا موضوعة. إننا نترك أنوارها مضاءة طوال الليل لأنها تجعلنا نشعر بأجواء عيد الميلاد، وكأنما في أية لحظة، يمكن لـ«سانتا» أن يظهر ومعه الهدايا. لن أكلف نفسي عناء ترك رسالة لها، سأتصل بها في الصباح، عندما تستيقظ وتتساءل أين أنا.

أتسلل نزولًا على الدَرَج، وأتوخى الحذر من درجة السلم التي تصدر صريرًا في منتصفه، ولكن بمجرد خروجي من المنزل، أطير نزولًا على الدرجات الأمامية، وعبر العشب المتجمِّد. إنه يُجرشُ أسفل نعلي حذائي الرياضي. لقد نسيتُ أن أرتدي معطفي، تذكرتُ الوشاح والطاقية، ولكنني لم أتذكر المعطف.

وجدت سيارته على الناصية، بالضبط حيث يجب أن تكون. السيارة معتمة، ليس ثمة أنوار مضاءة، وها أنا أفتح باب مقعد الراكب الأمامي كما لو أنني قد فعلتُ ذلك مليون مرة من قبل، ولكنني لم أفعل. لم أكن بالداخل يومًا، لم أره منذ أغسطس الماضي.

أحني رأسي إلى الداخل، وأنا ما زلتُ لم أدخل، ليس بعد. أريد أن أنظر إليه أولًا، يتوجَّب عليَّ ذلك. إنه الشتاء، وهو يرتدي الصوف الرمادي. إن وجنتيه ورديتا اللون، وقد تلاشت سمرة بشرته الصيفية، ولكنه لا يزال يبدو كما هو.

أقول: «مرحبًا».

ثم أركب.

يقول: «إنكِ لا ترتدين معطفًا!».

فأقول على الرغم من كوني أرتجف وأنا أنطق بكل كلمة: «الجو ليس باردًا لتلك الدرجة».

فيخلع كنزته الصوفية ويسلِّمها لي قائلًا: «هاك، خذي».

أرتديها. إنها دافئة وليست معبأة برائحة السجائر، تبدو معبأة برائحته فحسب. إذن فقد أقلع كونراد عن التدخين في نهاية المطاف. أبتسم تلقائيًّا لمرور تلك الفكرة بخاطري.

أقول له وهو يديرُ المُحَرِّك: «لا أصدق أنكَ هنا بحق».

يبدو خَجِلًا بعض الشيء وهو يقول: «ولا أنا. (يتردد قليلًا) أما زلتِ تريدين المجيء معي؟».

لا أصدق أنه كان عليه أن يسألني أصلًا؛ سأرافقه إلى أي مكان.

أجيبه قائلة: «بلى».

أشعر بأنه ليس ثمة شيء خارج حدود هذه الكلمة، وهذه اللحظة. ليس هناك سوانا فحسب. إن كل ما حدث في الصيف الماضي، وفي كل صيف قبله، قد أدى إلى هذا، وإلى الآن.

مكتبة ياسمين على تلجرام

الصَّيف الذي أُصبحتُ فيه جميلة

"تَحمِلُ هذه الرواية بين طيَّاتها ما تريده كل فتاة في الصيف".

- سارة ديسن، مؤلفة أمريكية

"تُقدِّم رواية الصيف الذي أصبحتُ فيه جميلة توليفة يصعب مقاومتها.. منزل شاطئيّ، وغرام صيفيّ، وصداقة متينة طويلة الأمد. تمنحك تجربة قرائيَّة عذبة ولذيذة".

- ديب كاليتي، مؤلفة رواية Wild Roses

"لو كان بإمكاني العيش بداخل هذا الكتاب المذهل، كنتُ سأفعل. كنت سأستنشق هواء المحيط، وأستمتع بأشعَّة الشمس، وأتسكَّع طوال اليوم مع بيلي، تلك الفتاة اللطيفة الرائعة المَرِحة، وصديقَيْها منذ نعومة أظفارها، جيرمايا وكونراد. كنت سأشاهد ثلاثتهم وهم يتوقفون عن كونهم أطفالًا ويبدؤون في كونهم أكثر من ذلك... وآمل آمل أنه عندما تقع بيلي في الحب -لأنكم تعلمون بأنها ستفعل- فستعطي قلبها للفتى المناسب تمامًا".

- لورين ميراكل، مؤلفة سلسلة The ttyl ورواية Bliss

جيني هان

مؤلفة أمريكية لأدب روايات الشباب وقصص الأطفال، من مواليد 3 سبتمبر 1980م، اشتهرت بسلسلة The Summer I Turned Pretty وسلسلة To All the Boys، وُلدت هان ونشأت في ريتشموند بولاية فرجينيا وهي من أصول كورية أمريكية. التحقت بجامعة نورث كارولينا في تشابل هيل. وفي عام 2006، حصلت على درجة الماجستير في الكتابة الإبداعية.

أعمال أخرى للكاتبة: